AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

غزة
تنتصر على الإبادة

الهدف - فلسطين - العدد 67 (1541) - يناير / كانون ثاني 2025

الجبهـة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي رفيقها القائد الوطني الكبير اللواء

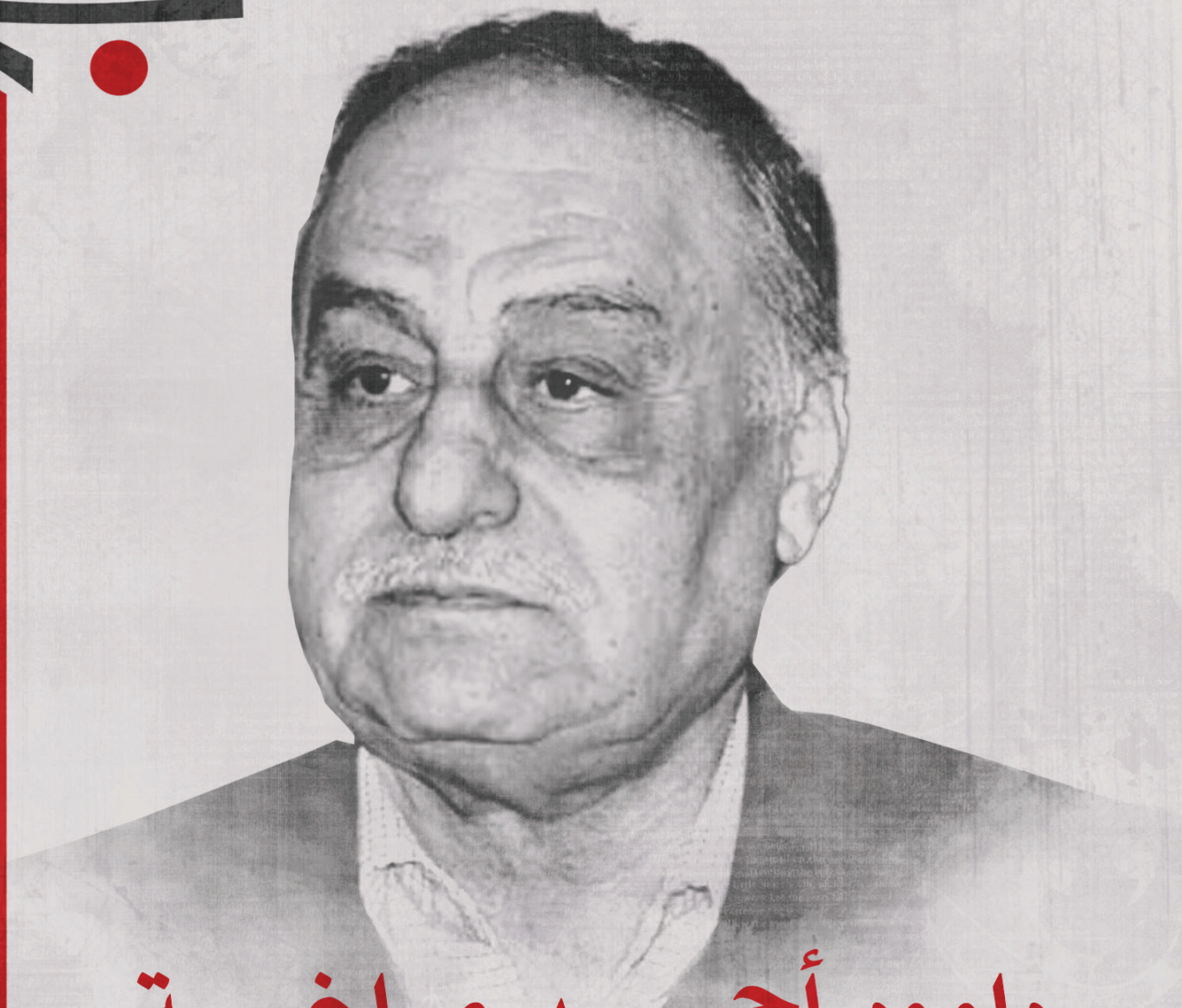

داوود أحمـــد مراغـــة

«أبو أحمد فؤاد»

نائب أمينها العام السابق وأحد أبرز القادة العسكريين للثورة الفلسطينية والذي ترجل يوم الجمعة الموافق 2025/01/17 إثر مرض عضال، وبعد أن أفنى حياته مدافعاً عن قضيته وشعبه، ثابتاً على المبادئ حتى آخر لحظات حياته، تاركاً إرثاً وطنياً ونضالياً يضيء مسيرة الأجيال القادمة

طائر الفينيق في غزة يرفع رايات النصر والحرية والمقاومة

شهدت الأشهر والأيام الأخيرة تطورات وأحداث هامة وتغيرات دراماتيكية على مستوى فلسطين والمنطقة تحمل في جوهرها الآمال والآفاق التي تتطلع إليها شعوب المنطقة.

من طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 وحتى التاسع عشر من يناير 2025 تعرض قطاع غزة لأبشع جريمة عرقية وتلمودية تمثلت بحرب الإبادة والتطهير العرقي، وتدمير كل مقومات الحياة فيه؛ مئات آلاف الشهداء والجرحى والمفقودين والمهجرين والبيوت والمباني والمؤسسات والطرقات المدمرة بهدف اقتلاع أبناء غزة وتهجيرهم من أرضهم، واجتثاث المقاومة وإخضاع القطاع والسيطرة على أراضيه والعودة لبناء المستوطنات فيه، استعداداً لمواصلة ذات المخطط التدميري التصفوي في الضفة الغربية بدعم أميركي وغربي مكشوف ومفضوح وبلا حدود، ولعل ما عبر عنه الرئيس الأمريكي ترامب مؤخراً بضرورة تهجير أهل غزة إلى مصر والأردن وعدد من الدول العربية، ما هو إلا استمرار لمخطط تصفية القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني على أرض فلسطين.

أشهر طويلة من المفاوضات من أجل وقف العدوان رغم كل المآسي والآلام والتضحيات إلا أنها انتهت باتفاق ولو على مراحل لكنه يليق بحجم المعاناة والآمال وإرادة الصمود والثبات والمقاومة، باتفاق يحطم عنجهية العدو الصهيوني وجبروته على صخر التحدي والعزيمة الفلسطينية، ويفرض على العدو استسلاماً وتسليماً بشروط المقاومة والمناعة الوطنية وعزة الشعب الفلسطيني وكرامته، يحرر الآلاف من الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال وباستيلات العدو النازية «مقابر الأحياء»، مقابل أعداد من الأسرى الصهاينة عجز العدو عن تحريرهم بالقوة بمشهد هندسي على طريقة المقاومة يؤكد كسب المعركة الأخلاقية، نعم حرية الأسرى وخاصة المؤبدات والأحكام العالية علامة نصر وعز وفخر ووفاء.

انسحاب قوات العدو الصهيوني من جميع مناطق ومحاور قطاع غزة علامة على فشل وإخفاق العدو بتحقيق أي من أهدافه، عودة مئات آلاف المهجرين الفلسطينيين إلى مناطقهم وأحيائهم وبيوتهم رغم دمارها شبه التام تعني عودة الأمل والتحدي والثبات على الثوابت وعودة كل اللاجئين إلى أراضيهم وديارهم. إن فرض إدخال شاحنات الإغاثة بكل أنواعها لأهل غزة المكلومين رغم ثباتهم وصمودهم، هو بشارة أمل بتعزيز الحضور وتحصين الوجود وإعادة البناء والإعمار. صمود المقاومة والمقاومين والتفاف الشعب حولهم يؤكد مشهد النصر وقدرة الفلسطينيين على إدارة شؤونهم ورسم معالم مستقبلهم وتحديد خياراتهم.

يترافق هذا المشهد مع انسحاب العدو الصهيوني من القرى الحدودية في جنوب لبنان، وعودة أهالي الجنوب حاملين رايات المقاومة وصور الشهداء الأبطال مؤكدين حضور المقاومة وإبقاء اليد على الزناد، استكمالاً لصورة البطولة والتحدي وتأكيداً لخيار المقاومة، وتجسيداً للوحدة والتكامل بين كل جبهات المشاركة والإسناد، وهذا ما أكده أيضاً قادة المقاومة في اليمن والعراق وحلفاء المقاومة في المنطقة والعالم.

يتخوف العدو الصهيوني من التغيير وإسقاط الحكم السابق في سوريا متحسباً لقوى التغيير الجديدة بمشاربهم الفكرية والسياسية المتعددة، ويتطلع بحذر إلى فرحة الشعب السوري بانعتاقه وحريته وأمله ببناء سوريا القوية الموحدة العزيزة التي لا تقبل الضيم أو التعدي على أراضيها وسيادتها. لذا ترى العدو الصهيوني يستغل الظروف الاستثنائية والطارئة فيعتدي ويستبيح الأراضي السورية في الجولان والقنيطرة وحتى مشارف درعا، وكذلك يدمر كل مقدرات سوريا العسكرية والعلمية والفنية، ويسعى بطرق مختلفة لتقسيمها وإضعافها بهدف إخضاعها. لا يعرف هذا العدو ماذا تعني حضارة وثقافة ومكانة سوريا والشعب السوري الذي لم يكن يوماً إلا في مواقع العزة والكرامة ومقاومة الاستعمار وهذا ما نأمله من القيادة السورية الجديدة، لذلك ومن موقع القناعة والوعي العميق والإيمان والثقة عبرت قيادة المقاومة في فلسطين ولبنان وفي كل الساحات عن تقديرها واعتزازها بالشعب السوري وخياره بالتغيير وبناء مستقبله الحضاري المنشود، ليكون منارة لكل دول وشعوب المنطقة ورافعة لمقومات الصمود والتحدي، وقوة إضافية ونوعية لقوى المقاومة الفلسطينية على وجه الخصوص في مواجهة العدو الصهيوني وتحرير كامل الأراضي العربية.

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (67) - (1541) - كانون الثاني (يناير) 2025

أسسها عام 1969

الأديب الشهيد

غسان كنفاني

رئيس التحرير

كايد الغول

مدير التحرير

محمد أبو شريفة

المدير الفني

منير الرفاعي

تصميم الغلاف

جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:

غزة بجوار مشفى الشفاء ـ نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:

hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن

دائرة الإعلام المركزي

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الافتتاحية

- طائر الفينيق في غزة يرفع رايات النصر والحرية والمقاومة — 1

شؤون فلسطينية:

ملف خاص: أبو أحمد فؤاد: الجبهة الشعبية تنعي «أبو أحمد فؤاد»

- سنفتقدك يوم تفتقد الرجال — صلاح صلاح — 11
- اسمك باقٍ... ومأثرتك خالدة! — أحمد بهاء الدين شعبان — 12
- أبو أحمد فؤاد نصف قرن من الرفقة والصداقة — عدنان بدر — 14
- أبو أحمد فؤاد... وصفحات مطويات من حياته — موسى سعيد مراغة — 15
- أبو أحمد فؤاد.. الثائر العربي والقائد المتواضع — في الهدف — 16
- في الهدف: أبو أحمد فؤاد طائر الرعد الفلسطيني — معاد الجحري — 17
- سافر أبو أحمد ولن يعود لكن ستبقى رايتنا حمراء — إبراهيم شريف — 18
- ملف: غزة انتصرت: نائب الأمين العام للجبهة الشعبية: غزة سجلت ملحمة تاريخيّة — 22
- ملحمة القرن في فلسطين مراحل الكفاح والنضال الفلسطيني — نواف الزرو — 25
- غزة تنتصر — وفاء حميد — 27
- من طوفان الأقصى إلى طوفان الوعي.. وانتصرت غزة — أحمد علي هلال — 29
- سيرة ذاتية عن الرفيق جورج حبش في ذكرى رحيله السابعة عشرة.... — غازي الصوراني — 30
- عين الهدف ونبض الحقيقة.. الصحفي أحمد بدير في الذكرى الأولى لاستشهاده — لمى الشطلي — 32

شؤون عربية

- التطورات الإقليمية وانعكاساتها على الأنظمة الخليجية — مسعود أحمد — 35
- الاستنارة والتجديد في الفكر العربي المعاصر — د. سامي الشّيخ محمّد — 36

شؤون دولية

- إيران والتموضع الجديد بعد سقوط الأسد — حمزة البشتاوي — 39
- ترامب والسنوات العجاف في الشرق الأوسط — رضي الموسوي — 40
- قراءة في مشروع «الشرق الأوسط» مجدداً والأسباب الكامنة وراء تعثره — د. ماري ناصيف – الدبس — 43
- فنزويلا.. الفرصة الذهبية لحكم الاشتراكيين — إسحق أبو الوليد — 45
- الرئيس ترامب: أسئلة حول ما في جعبته — علي بدوان — 47

شؤون العدو

- الأسلحة الحرارية المستخدمة في حرب الإبادة على غزة — علي زيدان — 49
- في انشطار المجتمع السياسي الإسرائيلي — موسى جرادات — 51
- انتهاكات جسيمة وتعذيب وحشي في سجون الاحتلال — بسام عليان — 52
- جيش اسرائيل ...نهاية مرحلة بن غوريون — أكرم عطا الله — 54
- الحرب المتنقلة.. والانقسام المستمر !.. — محمد صوان — 55
- سياسة نتنياهو والتحدي الفلسطيني — أحمد عويدات — 57

- دراسات الهدف: الحروب الاقتصادية.. ألمٌ بلا جراح.. وحروب بدون نار — د. أدهم شقير — 59
- أسرى فلسطينيون محررون يرون تعرضهم للإساءة في السجون الإسرائيلية — ترجمة: نور نوارة — 62
- تحقيق الهدف: فلسطينيو سوريا بين العودة واللا عودة — د. انتصار الدنّان — 64

شؤون ثقافية

- حوار الهدف الثقافي: مع الأسير المحرر الكاتب وسام الرفيدي — حوار: محمد أبو شريفة — 65
- نعوم تشومسكي والقضية الفلسطينية — بسام سفر — 68
- حكاية تشبه كلّ الحكايات — محمد بلال — 70
- عبقرية الدم — عبد النور الهنداوي — 71

أبو أحمد فؤاد
وداعاً

وُلد الرفيق القائد في بلدة سلوان شرقي القدس المحتلة عام 1942.

نشأ في كنف عائلة مقدسية مناضلة عُرفت بحبها للوطن ورفضها للاحتلال.

انتمى منذ شبابه المبكر لحركة القوميين العرب، حيث تبلورت مبادئه الثورية في مواجهة المشروع الصهيوني، وانخرط في نشاطاتها السياسية والعسكرية في الأردن وفلسطين، وكان لاحقاً من أوائل المؤسسين للجبهة الشعبية في ديسمبر/ كانون الأول 1967، إلى جانب الرفيق المؤسس جورج حبش وكوكبة من الرفاق المؤسسين.

خاض الرفيق القائد مسيرة نضالية حافلة تقلد خلالها مسؤوليات كبيرة داخل الجبهة حيث أنهى دورات عسكرية متقدمة في مصر وأوروبا الشرقية، وشارك في بناء القدرات العسكرية والتنظيمية للجبهة.

تولى قيادة القطاع الأوسط في الأردن أواخرَ ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، قبل أن ينتقل إلى لبنان عقب خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، حيث قاد العمليات العسكرية للجبهة في جنوب لبنان.

سجل ملاحم بطولية أثناء الاجتياحين الصهيونيين عامي 1978 و1982، وساهم في بناء قواعد المقاومة التي شَكلّت شوكة في حلق الاحتلال.

اختير مسؤولاً للدائرة السياسية للجبهة، ثم نائباً للأمين العام خلال المؤتمر السابع للجبهة عام 2013، ليواصل دوره الوطني في تعزيز نهج المقاومة والوحدة الوطنية.

بيان نعي قائد وطني كبير

الجبهة الشعبية تنعي رفيقها القائد الوطني الكبير اللواء داوود مراغة «أبو أحمد فؤاد» نائب أمينها العام السابق وأحد أبرز القادة العسكريين للثورة الفلسطينية تشبثاً وتمسكاً بنهجه المقاوم تنعي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم أمينها العام ونائبه وأعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وكافة أعضاء وأنصار الجبهة في الوطن والشتات إلى جماهير شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية وأحرار العالم، القائد الوطني الكبير المقدسي اللواء/ داوود أحمد مراغة «أبو أحمد فؤاد»، نائب الأمين العام السابق للجبهة، وأحد أبرز القادة العسكريين للثورة الفلسطينية على مدار تاريخها الطويل، والذي تَرجّل بعد صراع مع المرض، وبعد أن أفنى حياته مدافعاً عن قضيته وشعبه، ثابتاً على المبادئ حتى آخر لحظات حياته، تاركاً إرثاً وطنياً ونضالياً يضيء مسيرة الأجيال القادمة.

محطات بارزة من حياة الرفيق القائد الراحل:

وُلد الرفيق القائد في بلدة سلوان شرقي القدس المحتلة عام 1942.

نشأ في كنف عائلة مقدسية مناضلة عُرفت بحبها للوطن ورفضها للاحتلال.

انتمى منذ شبابه المبكر لحركة القوميين العرب، حيث تبلورت مبادئه الثورية في مواجهة المشروع الصهيوني، وانخرط في نشاطاتها السياسية والعسكرية في الأردن وفلسطين، وكان لاحقاً من أوائل المؤسسين للجبهة الشعبية في ديسمبر/ كانون الأول 1967، إلى جانب الرفيق المؤسس جورج حبش وكوكبة من الرفاق المؤسسين.

خاض الرفيق القائد مسيرة نضالية حافلة تقلد خلالها مسؤوليات كبيرة داخل الجبهة حيث أنهى دورات عسكرية متقدمة في مصر وأوروبا الشرقية، وشارك في بناء القدرات العسكرية والتنظيمية للجبهة.

تولى قيادة القطاع الأوسط في الأردن أواخرَ ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، قبل أن ينتقل إلى لبنان عقب خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، حيث قاد العمليات العسكرية للجبهة في جنوب لبنان.

سجل ملاحم بطولية أثناء الاجتياحين الصهيونيين عامي 1978 و1982، وساهم في بناء قواعد المقاومة التي شَكلّت شوكة في حلق الاحتلال.

اختير مسؤولاً للدائرة السياسية للجبهة، ثم نائباً للأمين العام خلال المؤتمر السابع للجبهة عام 2013، ليواصل دوره الوطني في تعزيز نهج المقاومة والوحدة الوطنية.

مَثّل الجبهة في العديد من جولات الحوار الوطني الفلسطيني، بما في ذلك حوارات المصالحة في القاهرة عامي 2017 و2021، مؤكداً أن الوحدة على قاعدة المقاومة المسلحة هي السبيل الأنجع لتحقيق تطلعات شعبنا.

رغم معاناته من المرض في الأشهر الأخيرة، ظل الرفيق أبو أحمد فؤاد حاضراً بقلبه وفكره، متابعاً تطورات النضال الفلسطيني، منشغلاً بمتابعة الحرب الصهيونية المدمرة على قطاع غزة، وكان مؤمناً بحتمية انتصار المقاومة، ورأى في صمود غزة وبسالة مقاومتها دليلاً على قدرة الجيل الفلسطيني الجديد على خلق معادلات جديدة تضع الاحتلال في مأزق وجودي.

رغم انشغاله الدائم بهموم الوطن والمعركة مع الاحتلال كانت القدس حاضرة في قلبه وعقله، وظل يتطلع بشوقٍ إلى أن يتكحل برؤية القدس محررة من قيود الاحتلال، ويسير في أزقتها ويتنفس عبق تاريخها المقاوم، مؤمناً بأنها ستظل دوماً عاصمة فلسطين الأبدية ودرة النضال الفلسطيني.

نتقدم في الجبهة الشعبية بأحر التعازي إلى جماهير شعبنا وأمتنا وأحرار العالم وإلى عائلة الرفيق الكبير الراحل، وعموم رفاقه وأصدقائه وكل من عرفه وأحبه، ونعاهدهم جميعاً على أن نبقى أوفياء لإرثه النضالي ومبادئه الثورية.

وإننا، وإذ نودع اليوم قائداً وطنياً كبيراً واستثنائياً وفذاً نؤكد التزامنا بالسير على دربه، والتمسك بالثوابت الوطنية والمبادئ التي دافع عنها، وفي مقدمتها المقاومة بجميع أشكالها حتى تحرير كل ذرة تراب من فلسطين.

المجد والخلود للرفيق القائد الوطني الكبير

المقاومة مستمرة... والنصر قادم لا محالة

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

17يناير/ كانون الثاني2025

بيان عسكري
كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

عهداً على الأيام ألا تهزموا فالنّصرُ يَنبتُ حيثُ يَرويه الدّمُ

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعَي رفيقها القائد الوطني الكبير اللواء داوود مراغة «أبو أحمد فؤاد» نائب الأمين العام السابق للجبهة الشعبية وأحد أبرز القادة العسكريين للثورة الفلسطينية

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفيقها القائد الوطني الكبير اللواء داوود مراغة «أبو أحمد فؤاد» نائب الأمين العام السابق للجبهة الشعبية وأحد أبرز القادة العسكريين للثورة الفلسطينية.

والذي ترجل يوم الجمعة الموافق 2025/01/17 بعد صراعٍ مع المرض، وبعد أن أفنى حياته مدافعاً عن قضيتنا وشعبنا، ثابتاً على المبادئ حتى آخر لحظات حياته، تاركاً إرثاً وطنياً ونضالياً يضيء مسيرة الأجيال القادمة.

وعلى الرغم من معاناته من المرض في الأشهر الأخيرة، ظل الرفيق أبو أحمد فؤاد حاضراً بقلبه وفكره، متابعاً تطورات النضال الفلسطيني، منشغلاً بمتابعة الحرب الصهيونية المدمرة على قطاع غزة، وكان مؤمناً بحتمية انتصار المقاومة، ورأى في صمود غزة بأهلها ومقاتليها وبسالة مقاومتها دليلاً على قدرة الجيل الفلسطيني الجديد على خلق معادلات جديدة تضع الاحتلال في مأزق وجودي.

وعلى الرغم من الألم الكبير بفقدان رفيقنا وكافة أبطالنا الذين لم يستكينوا يومًا، فإننا نؤكد على أن هذا المصاب لن يزيدنا إلا إصراراً وثباتاً بالاستمرار على نهج الشهداء بالنضال والقتال حتى أخر قطر ة دم للتحرير الشامل والناجز ودحر الاحتلال عن كامل ترابنا الوطني الفلسطيني واستعادة شعبنا لكافة حقوقه المسلوبة.

يا جماهير شعبنا البطل .. يا أحرار أمتنا والعالم

نعاهدكم نحن في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ونعاهد رفيقنا الراحل ودماء شهدائنا وأبطالنا على امتداد ساحات القتال بأن نبقى الأوفياء لمن عبدّوا طريق الحرية بدمائهم ولم يرضوا بغير الطريق المستضيء بالدّم طريقًا للحرية والاستقلال.

بطاقة عسكرية تعريفية من حياة الرفيق القائد الراحل «داوود مراغة / أبو أحمد فؤاد»:

- وُلد الرفيق القائد في بلدة سلوان شرقي القدس المحتلة عام 1942.
- نشأ في كنف عائلة مقدسية مناضلة عُرفت بحبها للوطن ورفضها للاحتلال.
- انتمى منذ شبابه المبكر لحركة القوميين العرب، حيث تبلورت مبادئه الثورية في مواجهة المشروع الصهيوني، وانخرط في نشاطاتها السياسية والعسكرية في الأردن وفلسطين، وكان لاحقاً من أوائل المؤسسين للجبهة الشعبية في ديسمبر/كانون الأول 1967، إلى جانب الرفيق المؤسس جورج حبش وكوكبة من الرفاق المؤسسين.
- خاض الرفيق القائد مسيرة نضالية حافلة تقلد خلالها مسؤوليات كبيرة داخل الجبهة حيث أنهى دورات عسكرية متقدمة في مصر وأوروبا الشرقية، وشارك في بناء القدرات العسكرية والتنظيمية للجبهة.
- تولى قيادة القطاع الأوسط في الأردن في أواخر ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، قبل أن ينتقل إلى لبنان عقب خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، حيث قاد العمليات العسكرية للجبهة في جنوب لبنان.
- سجل ملاحم بطولية أثناء الاجتياحين الصهيونيين عامي 1978 و1982، وساهم في بناء قواعد المقاومة التي شَكلّت شوكة في حلق الاحتلال.
- اختير مسؤولاً للدائرة السياسية للجبهة، ثم نائباً للأمين العام خلال المؤتمر السابع للجبهة عام 2013، ليواصل دوره الوطني في تعزيز نهج المقاومة والوحدة الوطنية.
- مَثّل الجبهة في العديد من جولات الحوار الوطني الفلسطيني، بما في ذلك حوارات المصالحة في القاهرة عامي 2017 و2021، مؤكداً أن الوحدة على قاعدة المقاومة المسلحة هي السبيل الأنجع لتحقيق تطلعات شعبنا
- توفي في دمشق / سورية، يوم الجمعة الموافق 17 يناير / كانون ثاني 2025.

عهدنا ثأراً أبديًا لا يزول

المجد للشهداء والحرية للأسرى والشفاء للجرحى

وغدًا سينحسر الضباب عن التلال .. وإننا حتمًا لمنتصرون

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
17 يناير / كانون الثاني 2025

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تُشيّع نائب الأمين العام للجبهة

أبو أحمد فؤاد

الشعبية تشيع القائد الوطني والقومي نائب الأمين العام السابق للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اللواء أبو أحمد فؤاد

بحضور قادة وممثلي فصائل المقاومة الفلسطينية، والدكتور سمير الرفاعي سفير دولة فلسطين لدى سورية، وقيادة وكوادر وأعضاء وأنصار الجبهة الشعبية وحشد غفير من أبناء المخيمات الفلسطينية، شيعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العاصمة السورية دمشق اللواء أبو أحمد فؤاد.

انطلق موكب التشييع من جامع الماجد إلى مخيم اليرموك يوم السبت (2025/1/18)، حيث حمل النعش على أكتاف رفاقه، وعلت هتافات المشيعين بالتأكيد على مواصلة مشوار الشهيد حتى تحقيق الأهداف التي ناضل من أجلها.

وبعد أن ووري الجثمان الثرى ألقى الرفيق عمر مراد عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية مسؤول الدائرة السياسية كلمة، جاء فيها أننا:

«نودع اليوم قامة كبيرة من رجال الثورة والكفاح المسلح قائداً تاريخياً شهدت له كل ساحات القتال في قلب فلسطين، والأردن، ولبنان... قائداً سياسياً وطنياً قومياً أممياً أصيلاً. نودع اليوم رفيقنا نائب الأمين العام السابق اللواء «أبو أحمد فؤاد»، وأضاف بأن الرفاق وكل الأخوة «أقسموا في المقاومة أن يواصلوا مسيرة الثورة والكفاح حتى تحقيق الأهداف وتحرير فلسطين»، وأكد بأننا «نودع قائدنا في الوقت الذي يحتفي فيه شعبنا بانتصار غزة، وأهل غزة، وبنادق الثوار مشرعة معلنة هزيمة العدو الصهيوني الفاشي الذي سلم بالانسحاب الكامل من غزة، وتحرير الأسرى نسور الحرية رغم حرب الإبادة والتطهير العرقي والدمار الشامل».

ووجه الرفيق عمر مراد التحية لأبطال عملية طوفان الأقصى وكل المقاومين والفدائيين ولكل قوى المقاومة ولكل الدول التي وقفت مع شعبنا وأهلنا في غزة مساندين أو مشاركين أو داعمين.

الجبهة الشعبية تتقبل التعازي بالرفيق أبو أحمد فؤاد في سورية ولبنان والأردن وتونس والجزائر وألمانيا

بعد تاريخ حافل بالنضال، رحل عن عالمنا النائب السابق للأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اللواء أبو أحمد فؤاد، وبهذه المناسبة الحزينة، تقبلت الجبهة الشعبية التعازي بالرفيق القائد أبو أحمد فؤاد، على مدار يومين في صالة نقابة الأطباء في دمشق.

كان في استقبال المعزين نجل الفقيد أحمد مراغة وزوجته وبناته وعدد من قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يتقدمهم عضوا المكتب السياسي الرفاق أحمد أبو السعود وعمر مراد، ومسؤول فرع سوريا د. محمد أبو ناموس، وأعضاء من اللجنة المركزية العامة، الرفاق ليلى خالد، نعمت عيسى، ود. ماهر الطاهر، وأبو علي حسن. وعدد من الرفيقات والرفاق في الجبهة الشعبية

تقدم بواجب العزاء السفير الفلسطيني لدى سوريا، د. سمير الرفاعي. والأمين العام «للجبهة الديمقراطية» فهد سليمان. والأمين العام « للجبهة الشعبية القيادة العامة» د. طلال ناجي.

كما حضر مصطفى الهرش عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني، وأحمد الكردي عضو المكتب السياسي لجبهة التحرير الفلسطينية وأبو مجاهد ممثل عن حركة الجهاد الإسلامي إضافة إلى خالد عبد المجيد ممثل جبهة النضال.

ومن الجانب السوري حضر قدري جميل الأمين العام لحزب الإرادة الشعبية، وممثل عن حزب العدالة والتنمية السوري، الرفيق عبد الله منيني ممثل الحزب السوري القومي الاجتماعي، ونجم الدين الخريط، الأمين العام للحزب الشيوعي السوري الموحد، إضافة إلى عدد كبير من الشخصيات الثقافية والفكرية والاجتماعية والوطنية، وحشد من أبناء المخيمات الفلسطينية في سوريا.

وأقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مختلف المخيمات الفلسطينية في سورية مجلس عزاء للرفيق القائد الشهيد أبو أحمد فؤاد بحضور فصائل المقاومة وفعاليات جماهيرية وشبابية، شملت منطقة ركن الدين، مخيم جرمانا، مخيم السيدة زينب، مخيم سبينة ، مخيم خان الشيح ، مخيم خان دنون ومخيم النيرب في حلب و مخيم حمص (مخيم العائدين)، مخيم حماة، ومخيم اللاذقية.

وفي في لبنان تقبلت الجبهة الشعبية التعازي بالراحل الكبير يوم الاثنين (2025/1/20)، في نقابة الصحافة في بيروت. وذلك بحضور قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان

ولجنتها المركزية العامة والفرعية، وسفراء دول شقيقة وصديقة وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد في لبنان، ووزراء ونواب سابقين وحاليين، وشخصيات اعتبارية ووطنية لبنانية وفلسطينية، وفصائل المقاومة واللجان الشعبية الفلسطينية، والأحزاب والقوى الوطنية والإسلامية اللبنانية في لبنان وبيروت ورؤساء أحزاب فلسطينية ولبنانية وممثلي عن الاتحادات والنقابات ورجال دين ومؤسسات ثقافية وتربوية واجتماعية.

ألقى كلمة الجبهة نائب مسؤولها في لبنان، مسؤول العلاقات السياسية عبد الله الدنان قال فيها: «نلتقي اليوم في وداع رجلٍ آمن بالفكرة، وقاتل دفاعاً عنها حتى الرمق الأخير، وهو القائد الذي كان يرفض المساومة وأنصاف الحلول، والمؤمن بأن المقاومة بكل أشكالها، وفي مقدمتها المقاومة المسلحة، هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين».

وكانت قيادة الجبهة قد تلقت العديد من رسائل التعزية بالفقيد الراحل الكبير أبو أحمد فؤاد من فصائل المقاومة الفلسطينية واللجان الشعبية والأحزاب والقوى الوطنية والإسلامية وشخصيات وطنية واعتبارية وأصدقاء الراحل.

كما تحدث كل من عضو القيادية السياسية في حركة المقاومة الإسلامية حماس في لبنان الدكتور أيمن شناعة، وأمين سر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح في لبنان الحاج فتحي أبو عردات، و نائب مسؤول وحدة العلاقات الفلسطينية في حزب الله الشيخ عطالله حمود مستذكرين مزايا الفقيد الكبير أبو احمد فؤاد، ومقدمين التعازي للأمين العام للجبهة، وقياداتها ورفاقها.

كما تقبلت الجبهة التعازي في مكاتبها بمخيمات لبنان، مخيم عين الحلوة، ومخيم البص جنوب لبنان، ومخيمي نهر البارد والبداوي، شمال لبنان، وقد حضر التأبين عدد كبير من الشخصيات السياسية والاجتماعية والإعلامية، وألقيت كلمات أشادت بالراحل الكبير.

وفي العاصمة الأردنية عمان أقام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الاردني بيت عزاء للرفيق القائد أبو أحمد فؤاد يوم الثلاثاء (2025/1/21)، وشارك حشد كبير من الجماهير الأردنية و من قادة الأحزاب والقوى الوطنية والنقابية والفعاليات الشعبية والاجتماعية، وكان في استقبالهم في مقر الحزب الرفيق د. سعيد ذياب أمين عام الحزب وأعضاء المكتب السياسي، حيث عبروا عن تأثرهم البالغ لرحيل القائد الفذ في هذه المرحلة العصيبة والحاسمة من النضال الوطني الفلسطيني والعربي في مواجهة المشروع الصهيوني.

وقد ألقى الرفيق الأمين العام كلمة رحب فيها بالسيدات والسادة الحضور، وتحدث عن دور الرفيق الراحل القيادي الصلب في مسيرة النضال الفلسطيني والكفاح المسلح، والتصاقه بالنضال طوال سنوات عمره.

وفي تونس العاصمة أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والتيار الشعبي ــ تونس، فاعلية مشتركة تحت عنوان (اللحظة العربية الراهنة: تحديات ومهام) وذلك بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لرحيل الحكيم جورج حبش، ورحيل القائد أبو احمد فؤاد. وبحضور د.عابد الزريعي ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتونس، والسيد رينالدو بوليفار سفير جمهورية فنزويلا البوليفارية في تونس وليبيا، والسيدة مريام مارتينيز سفيرة جمهورية كوبا بتونس، وممثل عن سفارة روسيا، وممثلين عن سفارة فلسطين، وممثلين عن الجالية الماليه بتونس. وأعضاء مجلس نواب الشعب (كتلة لينتصر الشعب) والأمين العام لحزب الوطد الاشتراكي، وثلة من الكوادر والمناضلين. وذلك يوم 25 يناير 2025 بمقر التيار الشعبي. وتمثل برنامج الفاعلية أولا في القاء الكلمات الرسمية، بداية بكلمة التيار الشعبي التي القاها الرفيق محسن النابتي عضو المكتب السياسي، مرحبا باسم التيار والجبهة الشعبية بالضيوف، واكد خلالها على أهمية العلاقة النضالية بين التيار والجبهة الشعبية، واستعرض جانبا من تجربة ونضال الراحلين جورج حبش وأبو احمد فؤاد.

واستقبلت قيادة الجبهة، يتقدمها ممثلها في الجزائر الرفيق نادر القيسي، وفود المعزين من أبناء الجالية الفلسطينية، وسفارة دولة فلسطين، وممثلين عن الفصائل الفلسطينية، إضافة إلى الأشقاء من السفارة الصحراوية في الجزائر، وعدد من الرفاق في منظمة الجبهة بالجزائر.

وعبّر المشاركون في العزاء عن اعتزازهم بمسيرة الرفيق الراحل، مؤكدين على دوره البارز في مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني، ووفائه للمبادئ الثورية التي نذر حياته لها.

كما شدد الحاضرون على أهمية الاستمرار في نهجه النضالي وتصعيد المواجهة ضد الاحتلال حتى تحقيق أهداف شعبنا في الحرية والاستقلال والعودة.

ويأتي هذا التأبين في سياق الوفاء لرمز من رموز النضال الفلسطيني والجبهاوي الذين شكلوا على مدار العقود الماضية ركائز أساسية في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وترسيخ خط الكفاح المسلح والثوري حتى تحقيق كامل الحقوق الوطنية.

وبدعوة من لجان فلسطين الديمقراطية في ألمانيا، وبمناسبة مرور أسبوع على وفاة أبو أحمد فؤاد أُقيمت يوم السبت، 25 يناير 2025، بيت عزاء في العاصمة برلين حضره مجموعة من القوى الفلسطينية والعربية التي أكدت على إرثه النضالي.

في كلمته التي ألقاها، قال إبراهيم إبراهيم، ممثل لجان فلسطين الديمقراطية في ألمانيا: «كان الرفيق أبو أحمد فؤاد مثالاً في الثبات على المبادئ والقيم. لم يعرف يومًا التردد أو المساومة، وظل متمسكًا بنهج المقاومة حتى آخر لحظة من حياته. نؤكد اليوم، ونحن نودع هذا القائد الجبهاوي العروبي والتقدمي، أننا سنبقى على العهد متمسكين بالمبادئ التي أفنى حياته من أجلها.»

أجمعت كلمات ممثلي القوى الفلسطينية والعربية على دور أبو أحمد فؤاد التاريخي ونضاله المستمر. أكد المتحدثون أنه كان نموذجًا للمناضل الذي لم ينحنِ أمام التحديات، ودائمًا في مقدمة الصفوف دفاعًا عن فلسطين والأمة العربية.

بطاقة شكر وتقدير

تتقدم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعائلة القائد الوطني والقومي الرفيق أبو أحمد فؤاد بالشكر والتقدير لكل من عبر عن تضامنه مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برحيل رفيقها القائد الوطني والقومي اللواء أبو أحمد فؤاد ولكل من حضر مجلس تقبل التعازي في العاصمة السورية دمشق ولكل من اتصل وأبرق معزياً من القوى السياسية الفلسطينية والسورية والفعاليات والشخصيات الفلسطينية والسورية ووسائل الإعلام، والفعاليات الثقافية والاجتماعية والشخصيات الاعتبارية والوطنية الفلسطينية والسورية.

باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعائلة الرفيق القائد أبو أحمد فؤاد نجدد العهد والوعد له ولكل الشهداء، ولجماهير شعبنا بأننا سنبقى على العهد حتى تحقيق كامل الأهداف التي ناضلنا من أجلها.

المجد والخلود للشهداء الأبرار
وإننا حتماً لمنتصرون

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ سورية
الثلاثاء 21 كانون الثاني 2025

سنفتقدك يوم تفتقد الرجال

صلاح صلاح - أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بدأ مبكّرًا مقاتلاً في الجهاز العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الذي انتقل معها من قاعدتها الصلبة حركة «القوميين العرب».

كان من المؤسسين الأوائل للقواعد العسكرية في غور الأردن، لينطلق منها للقيام بدوريات أو تنفيذ عمليات ضد مواقع العدو الصهيوني المحتل في الضفة الغربية، بالإضافة إلى نقل الأسلحة وتأمين تواصل الإمداد مع خلايا ومجموعات العمل السري التي تشكلت في العديد من مدن الضفة الغربية بعد النكسة عام 1967.

معركة الكرامة والانتصار الكبير الذي حققته فتحَ آفاقًا واسعة أمام التحاق أعداد كبيرة إلى العمل الفدائي، مما استوجب زيادة عدد القواعد العسكرية وانتشارها في مساحات واسعة في الأغوار والمخيمات المحيطة بالمدن الأردنية، تم تكليف المقاتل الشجاع أبو أحمد فؤاد مسؤولًا يتنقل على أكثر من قاعدة للعمل الفدائي في القطاع الأوسط من الأغوار.

عندما قلب النظام الأردني ظهر المجَنْ للعمل الفدائي وانتقل الملك من ادعاءاته بأنه «الفدائي الأول» إلى «العدو الأول»، اشترك الفدائي أبو أحمد فؤاد في جميع المعارك التي تحرش بها الجيش الأردني بمواقع الفدائيين، وصولًا إلى العدوان الوحشي فيما سميّ مجازر «أيلول الأسود» عام 1970، ثم حرب تصفية وجود العمل الفدائي في الأردن عام 1971 في جبال جرش وعجلون.

بانتقال الثقل الأساسي للعمل الفدائي إلى لبنان وما اقتضاه من إعادة ترتيب الأوضاع في الهيئات القيادية للجبهة الشعبية، تسلّم الرفيق أبو أحمد قيادة العمل العسكري مزودًا بتجربة غنية اكتسبها من دوره في ساحة الأردن، هذه التجربة استندت إلى دروس نظرية وعملية مستفادة من دورات متقدمة، بدأها في الجمهورية العربية المصرية في عهد القائد القومي عبد الناصر الذي في عهده وبالإتفاق معه قررت حركة القوميين عام ١٩٦٤ البدء بالعمل الفدائي شرط ألا يؤدي إلى توريط الجمهورية العربية المصرية في حرب ليست مستعدة لها لذلك، رفعت الجبهة في حينها شعار: «العمل الفدائي فوق الصفر وتحت التوريط.»

بعدها خضع لدورة في الصين التي اكسبته تجربة لا تضاهى في أسلوب حرب العصابات التي تري الجبهة أنه الأسلوب الأفضل للفلسطينيين في مواجهة العدو الإسرائيلي، والتي ركزت بشكل أساسي على دور الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة والحاضنة الشعبية الواسعة لتحقيق الانتصار .

استثمر الرفيق أبو أحمد فؤاد هذه الخبرة النظرية والعملية التي اكتسبها إلى أقصى الحدود، في تعامله كقائد بكل تواضع وبلا استعلاء على رفاقه المقاتلين، يستمع إلى ملاحظاتهم وآرائهم، يتفهم مشاكلهم الخاصة والنضالية ويعمل على معالجتها، ويكافئ المبادرين والمبدعين في الوقت نفسه، كان حاسمًا وقاسيًا في محاسبة أي عنصر يسيء إلى رفيق آخر أو يخرج عن المبادئ والقيم التي تحرص عليها الجبهة الشعبية في التعامل مع المواطنين.

المسلك اليومي الأخلاقي والتعامل مع الناس بكل أدب واحترام هو التزام الخروج عند خط أحمر لا يجوز تجاوزه.

كان الرفيق أبو أحمد قائدًا عسكرياً ميدانيًا يتواجد دائمًا مع المقاتلين، لا يفارقهم إلا للضرورات العمل لم يميزه عنهم سوى كونه صاحب القرار الذي يلتزم به قبلهم، ليكون قدوة لهم.

هنا يحضرني مثل من الاجتياح الاسرائيلي «لجنوب لبنان» عام ١٩٧٨ وكانت قوات الجبهة مسؤولة عن محور منطقة صور، وقد فوجئ القائد أبو أحمد بانسحاب قوات المقاومة من الفصائل الأخرى إلى ما بعد الليطاني لكن الرفيق أبو أحمد مع القيادة العسكرية رفضوا الانسحاب وأصروا على البقاء في مدينة صور التي كانت خالية من سكانها إلا هم يتعرضون والمدينة إلى القصف من القطع الحربية الإسرائيلية من عرض البحر ، وكان تقديره مع رفاقه أن العدو ينوي القيام بإنزال بحري إلى المدينة مع ذلك قرروا الدفاع عن المدينة بحياتهم.

بعد انتهاء الحرب شكّل وفد من مدينة صور زيارة للرفيق أبو أحمد والقيادة العسكرية لشكرهم وتقديرهم على موقفهم الشجاع الذي لم يحمِ المدينة من إنزال إسرائيلي لو لم يكونوا في داخلها فقط، وإنما لأنهم أيضا حموا ممتلكاتهم.

هاج غضب الأخ أبو عمار عندما علم بالإنسحاب غير المنظم وبدون تعليماته لقواته من الجنوب، وذهب بنفسه ليأمرها بالعودة، لكن بعد أن تمكّن العدو من احتلال مساحات واسعة من المحاور التي انسحبوا عنها، ثم شكّل قيادة عسكرية جديدة لمتابعة سير المعركة تحت مسؤولية الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المجلس العسكري الفلسطيني الموحد الذي كان برئاسة الأخ أبو عمار.

هذه هي مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية تخرج من ملحمة لتدخل بأخرى منذ الانتداب البريطاني إلى الاغتصاب الصهيوني إلى العدوان الرجعي العربي وصولا

إلى بطولات شعبنا الفلسطيني في غزة العزة وفي الضفة الأبية، شعب أسطوري ومقاومة تحقق المعجزات هزيمة واضحة للعدو الإسرائيلي، لا يستطيع تغطيتها مهما حاول من وسائل الخداع والتضليل . حماس والمقاومة لازالت موجودة بكل عنفوانها تصدم العدو بمفاجأة تلو الأخرى ولم يستطع أن يسترجع أيا من أسراه إلا بموافقة المقاومة والتفاوض معها مع أنه يدّعي القضاء عليها ،وهذه مسيرة العودة المليونية من جنوب غزة إلى شمالها تفقأ عينه وتصيبه بالدوار.

في المقابل انتصار المقاومة بيّن لا مجال لتمويهه، نفرض على العدو الانسحاب الكامل من القطاع، إطلاق سراح الأسرى ، إعادة الإعمار، فتح المعابر ورفع الحصار ،اليوم الثاني يقرره الفلسطينيون المنتصرون .

علينا أن نفرح فرحا من الأعماق لهذا الانتصار العظيم الذي يتحقق في غزة لكن فلتبقَ عيوننا تنظر إلى ما يجري في الضفة التي سيحاول العدو أن يُدفّعها ثمن هزيمته في غزة مستعيناً بسلطة متهاوية متخاذلة .

نستذكر في هذا اليوم رحيل قائدنا ، ورمز ثورتنا ، ومنير طريقنا للثقة اللا محدودة بالشعب وقدرته على تحقيقه الانتصارات إذا توفرت له قيادة وطنية ملتزمة بتحقيق الأهداف لا تساوم لا تتنازل ، لا تتراجع أمام أي ضغوطات مهما كان مصدرها. قيادة شجاعة جريئة تعرف كيف تميز بين العدو والصديق وتتعامل مع كل منهم بما يستحقه.

نستذكر القائد القومي الأممي المؤسس لحركة القوميين العرب والجبهة الشعبية د.جورج حبش يردد « تستطيع طائرات العدو أن تقصف مدننا وتقتل الأطفال والشيوخ والنساء، ولكن لا تستطيع قتل إرادة القتال فينا «وفي كلمة للشعب الفلسطيني يحذر حكيم الثورة « إن فلسطين هي الهدف الراهن والاستراتيجي، فلا تجعل من خلافاتنا وصراعنا الداخلية على السلطة الوهمية والتي هي تحت الاحتلال مجالاً لانتصار الآخر علينا «.

اسمك باق... ومأثرتك خالدة!

أحمد بهاء الدين شعبان - الأمين العام للحزب الاشتراكي المصري

«اسمك مجهول.. ومأثرتك خالدة» هو ترجمة النقش المحفور على النُصب التذكاري للجندي المجهول، في حديقة «ألكسندروفسكي» في موسكو، تخليداً لذكري مئات الآلاف من الشهداء الأبطال، مجهولي الأسماء، الذين ضحوا بحياتهم الغالية فداءً للوطن والحرية، وقد اخترت وأنا أكتب هذه الكلمات عن أحد معلمي الكبار، ورفيق الدرب والمسار، القائد «أبو أحمد فؤاد»، أن أُدخل بعض التعديل على هذه الكلمات البسيطة والبليغة، لعنوان كلماتي المُستقى من هذا النص البليغ، فراحلنا العَلَم والمُعَلِّم، الذي غادرنا منذ أيام، وترك خلفه مآثره الخالدة، كان ملء السمع والبصر، حتى فترة وجيزة، وسيبقى اسمه معلوما للصديق والعدو، وذكره محفوفا بالاحترام والإجلال، وبصمته النبيلة خالدة على العديد من الإنجازات والمآثر.

علاقتي بالقائد الكبير لم تكن محض علاقة عادية، وإنما كانت رابطة وثقى تجمع بين رفيقين، من وطن عربي واحد، وإن كان مُمزقاً بفعل تدخُّلات خارجية وأسباب داخلية عديدة، ومن بلدين عربيين مُهمين، فلسطين ومصر، ارتبطا بمصير مُشترك، بفعل عوامل الجيرة ومفاعيل التاريخ، ولذا فقد وَحَّدَ بينهما التشارك في حلم واحد، والعمل الدؤوب باتجاه تحقيق الأمل الواعد، وربطتهما وشائج النضال السامية، التي لا يشوبها البحث عن منفعة ذاتية، أو التصارع حول مواقع أو مكاسب رخيصة، وإنما زانها احترام كامل مُتبادل، ومني، لقائد مُجرب، ومُناضل مُتمرس، زاهد في متع الدنيا الصغيرة، يحيا من أجل يوم تتحرر فيه أرضه، ويمنح ذوب وجدانه لقضية شعبه وقضيتنا: تطهير التراب الوطني الفلسطيني من رجس الإمبريالية والصهيونية.

وقد كان من نِعم الحياة أن لقاءاتي بالعزيز الراحل، تعدّدت، في العقود الأخيرة، بصورة متواترة، لأسباب عديدة، أولها: تكرار زيارة وفود الفصائل الفلسطينية الوطنية التقدمية إلى القاهرة، للمشاركة في جلسات المباحثات حول أوضاع القضية وتطوراتها الإيجابية والسلبية، وجلهم من أصدقائي الحميمين، وفي مقدمتهم كان الرفيق «أبو أحمد فؤاد»، خاصةً في الفترة التي تولى فيها مسؤولية نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وثانيها: تكرار زياراتي إلى بيروت للمشاركة في الأنشطة المقاومة للتطبيع مع العدو الصهيوني، والمُساندة لصمود الشعبين الشقيقين: الفلسطيني واللبناني، والتي تزايدت بعد تشكيل «الجبهة العربية التقدمية»، بمبادرة رفاق من لبنان وتونس والمغرب وسوريا وموريتانيا، وليبيا، ودول عربية أخرى عديدة، في القلب منها فلسطين ممثلة في «الجبهة الشعبية»، التي مثَّلها في لجنتها التنفيذية الرفيق «أبو أحمد» وأطراف مناضلة أخرى. وثالثاً: حينما شرَّفني الرفيق القائد «جورج حبش»، باختياري عضواً بمجلس أمناء «مركز الغد العربي للدراسات» والذي أسسه «الحكيم» بعد اعتزاله العمل التنظيمي المباشر، واختاره منبراً لمواصلة نضاله الفكري والثقافي، من مقره في دمشق، وكانت لقاءاتنا به، تتم غالباً في حضور ومشاركة الرفيق «أبو أحمد»، الذي تحلت إسهاماته دائماً بالموضوعية وسداد الرأي، والرصانة والترفُّع عن فُحش القول، والتركيز على «لُب القضية»: ما الذي يخدمها ويُضيف إليها في بداية ونهاية المطاف، كما شرّفني الرفيق «أبو أحمد» بأن نتشارك في صياغة كتيب توعوي صغير حمل عنوان: «الشرق الأوسط الجديد: بين المقاومة وبدايات النهوض الشعبي».

وقد كان لدى الرفيقين الراحلين، «الحكيم» و«أبو أحمد»، إدراكاً ثاقباً لخطورة وأهمية دور مصر التاريخي والحضاري في المنطقة، وكذلك فيما يخص القضية الفلسطينية ومساراتها، في فترات نهوض مصر وصعود المد القومي والنضالي فيها، والأخطر في فترات تراجع هذا الدور وبروز الاتجاهات الانعزالية والتابعة المُهيمنة عليها.

وهو إدراك صحيح، تثبت الأيام صدقه، فمصر ـ مهما أرجف المُرجفون ـ هي قوة فاعلة، إن لم تكن «القوة الفاعلة»، وعامل مؤثر للغاية في الوضع العربي، سلباً وإيجاباً، خاصةً منذ أقدم «أنور السادات» على توقيع اتفاقية «كامب ديفيد» والصلح مع العدو الصهيوني، وفتح بوابات «التطبيع» العربي البائس أمام العدو لاجتياح المنطقة، الأمر الذي رفضه الشعب المصري رفضاً قاطعاً، وما زال، حتى الآن، رغم أن النظام المصري كان أول من سعى في هذا الطريق المحفوف بالعار والمخاطر.

وقد كان للرفيق «أبو أحمد» ذات النظرة الصحيحة لأهمية الدور المصري وانعكاساته المُباشرة، وخطورته في كل الأحوال، بالنسبة للواقع العربي عموماً وبالنسبة للقضية الفلسطينية على وجه التحديد، وهي ذات النظرة التي أوضحها الرفيق «جورج»، بقوله: «إن دور مصر في المنطقة هو الأساس، وخروجها عن ساحة الصراع خسارة كبيرة لنا جميعاً، ستترك آثاراً سلبية هامة في كفاحنا ومسيرتنا، وعلينا أن نبذل جهدنا الأقصى لكي نقاوم مسار تصفية القضية، حتى تعود مصر إلى سابق عهدها ودورها».

وإضافة إلى الخبرة السياسية الرفيعة التي تراكمت عبر السنين لدى الراحل الكبير، فإنه كان يمتلك وعياً عميقاً، وفهماً ناضجاً لمضمون وركائز «حرب التحرير الشعبية»، وخبراتها المُتراكمة لدى الشعوب الصديقة، التي سبقت الشعب الفلسطيني في خوض غمارها، ومن نافل القول إنه كان أحد أعمدة العمل الفلسطيني المسلّح، جامعاً في معيته خبراتها في الاتحاد السوفييتي السابق، وكوبا، والصين، وفيتنام، وغيرها.. وكنت دائماً ما أتساءل كيف يتسنى لمناضل فذ مثله، قاد، ورفاقه، جانباً لا يُنسى من معارك التصدي للعدوان الصهيوني، مثلما حدث في أعوام 1978، 1982، وغيرهما، بصلابةٍ واقتدار، أن يكون على هذه الدرجة من الرقّة والدماثة، والترفّع والحنو، ورهافة الخلق والحس الإنساني الراقي، إلّا أن يكون ابناً باراً لهذا الشعب الفلسطيني الأسطوري، الذي حيّر العالم كله، بصبره وصموده، وقوة بأسه وعظمة احتماله؟!

****

وقفت أمام شاشة التلفزيون أشهد المنظر الملحمي، الذي تتقاطر فيه جموع أبناء الشعب الفلسطيني العظيم، في طوابير لا نهاية لها، مُتحديةً التدمير والمجازر، والجوع والعطش والبرد والمرض، والخطر الداهم من كيان القتلة الإرهابي الذي لا يأبه لقيمة أو يمتثل لقانون...

أنظر إلى الطوابير المُتدفقة، في رحلة العودة إلى «الأطلال» المقدّسة، ضاربةً عرض الحائط بمُخطّطات «التهجير» المزعوم، وهي تحمل أغراضها البائسة، وتحتضن أجداث شهدائها، وتتحرك بعجائزها وشبابها، بمرضاها ومُصابيها، فيما تتحدى، هازئةً ساخرةً، القتلة وأسيادهم، و«ترامب» وأوهامه، وحلف «الناتو» وصنائعه، وعرب الهرولة والانبطاح ومساخرهم!

وأدركت أن مثل هذا الشعب الأبي لا يُمكن أن تهزمه قوة مهما طغت أبداً، وأن الدنيا كلها لو اجتمعت لكي تمنعه من نيل حقه المشروع في الحياة الكريمة، ما استطاعت أن تقف دون تحقيقه لغايته المُستحقة... وعرفت من أين أتى «أبو أحمد فؤاد»، الراحل / الحاضر، بكل هذا الرقي وتلك الصلابة؟!

وتذكرت ما كتبه «برتولد بريخت» ذات مرّة: «الفوز العظيم ألّا تُمَكِّنَ طاغية من القضاء عليك... لتبقى بعده»... فهكذا فعل الشعب الفلسطيني، وشهداؤه وراحلوه.. وهكذا فاز الرفيق «داود أحمد مراغة» بالبقاء في وجدان شعبه، ووجداننا جميعاً.

أبو أحمد فؤاد
نصف قرن من الرفقة والصداقة

عدنان بدر ـ كاتب سياسي سوري

أبو أحمد بالنسبة لي ليس مجرد مناضل أفنى عمره في خدمة القضية الفلسطينية، ولا ذلك القائد العسكري الميداني ثم السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بل هو بالإضافة لذلك، الرفيق والصديق العزيز على امتداد أكثر من نصف قرن.

اللقاء الأول كان في منطقة العرقوب بجنوب لبنان.

كان ذلك في عام 1970حيث قمنا مع الرفيق غسان كنفاني بزيارة قواعد الجبهة في منطقة الحدود اللبنانية الفلسطينية، فاستقبلنا الرفيق أبو أحمد بابتسامته المليئة بالطيب والمودة. وبعد أن قضينا وقتاً أطلعنا فيه على أوضاع القاعدة والرفاق المقاتلين، رتب لنا جولة على القواعد الفدائية المنتشرة في تلك المنطقة التي كانت تعرف بـ (فتح لاند).

ثم تكررت لقاءاتنا سواء في زيارات أخرى للقطاع العسكري أم في زيارات أبو أحمد لبيروت حيث كان يمر علينا في مجلة (الهدف). وفي كثير من الأحيان كانت مهماته تستدعي منه المبيت في العاصمة فنمضي السهرة برفقته لدى الرفيقين العزيزين ملوح وبسام أبو شريف وغيرهما من الرفاق والأصدقاء.

ثم ازدادت لقاءاتنا بعد انتقاله إلى المكتب العسكري للجبهة في العاصمة. وأذكر هنا أنه عندما تعرض الرفيق بسام لمحاولة الاغتيال الإسرائيلية عام 1972 (بعد اغتيال غسان بأقل من أسبوعين) واحتاج في مستشفى المقاصد لكمية كبيرة من الدم، قام الرفيق أبو أحمد على رأس مجموعة من الرفاق المقاتلين بالتبرع بكل ما لزم من دمائهم وكان لتلك المبادرة دور أساس في إنقاذ حياته.

وأذكر أيضاً أنه عندما قامت منظمة «الصاعقة» التابعة للنظام السوري باقتحام صحيفتي «المحرر» و«بيروت» عام 1975، وأنقذتني مغادرتي المبكرة من الاغتيال الذي كان من أهداف تلك العملية التي قضى فيها عدد من الزملاء والعاملين في الصحيفتين، واتصلت هاتفياً بالرفيق أبو أحمد فور معرفتي بالحادثة، فطلب مني الانتقال على الفور إلى مكتبه في مخيم شاتيلا وأرسل معي سيارة مرافقة عليها «دوشكا» مع عدد من الرفاق المقاتلين إلى مكتب «بيروت» الذي كان المهاجمون قد غادروه قبل قليل.

وأذكر أيضاً وأيضاً أن الرفيق الدكتور جورج حبش قد دعاني ربيع 1975 لمرافقته في جولة على القواعد العسكرية للجبهة من أجل مناقشة مشروع «الفكر العسكري للجبهة الشعبية» مع الرفاق المقاتلين في تلك القواعد، وكنا خلال تلك الجولة التي دامت أربعة أيام في رفقة وضيافة الرفيق أبو أحمد.

وخلال تلك الجولة التي حصلت في فترة اقتحام القوات السورية للأراضي اللبنانية، كلفني الحكيم بالخروج من لبنان للتواصل مع قادة المعارضة السورية. ثم تعذر علي الرجوع إلى لبنان بعد اكتمال السيطرة الأسدية عليه. فأمضيت أربع سنوات في العراق ثم غادرت إلى فرنسا. وعندما عدت إلى سورية عام 2004 تجددت اتصالاتي مع الجبهة حيث اللقاءات المتكررة مع الحكيم وأبو أحمد في مكتب الجبهة بدمشق.

كنت قد انتهيت من كتابة «مطار الثورة... في ظل غسان كنفاني» وقدمت للحكيم نسخة بخط اليد للاطلاع، فاستدعى السكرتيرة وأعطاها المخطوطة لطباعة نسخة منها على الآلة الكاتبة. ومضت الأيام والأشهر دون أن يفاتحني الحكيم بالأمر، فاقتنعت بأنه ربما يكون هناك اعتراض ما على الموضوع، لأفاجأ بعد وفاة الحكيم بفترة غير قصيرة باتصال هاتفي من الرفيق أبو أحمد، يسألني بلهفة عما هي قصة هذا المخطوط الذي وجده في درج السكرتيرة.. فاستغرب أنه كتابي الذي كنت قد أعطيته للحكيم. وعندما سأل السكرتيرة عن الموضوع تبين أنها لم تنسخه ولم تعده للحكيم مدعية أنه لم يكن لديها في حينه ورق كاف لطباعته.

أبدى أبو أحمد إعجابه الشديد بالكتاب متأسفاً على عدم اطلاع الحكيم عليه، وعرض علي موضوع طباعته ونشره. وهكذا كان فتم نشره وتوزيعه عن دار كنعان دون أن يمر على رقابة وزارة الإعلام، رغم أن فيه تناولات سلبية للنظام الأسدي.

واستمر التواصل واللقاءات بيننا على امتداد تلك الفترة فكان منها دعوتي من قبل الرفيق أبو أحمد عام 2009 لإلقاء محاضرة في مخيم النيرب عن الشهيد غسان كنفاني، ثم إلقاء المحاضرة نفسها في مخيم خان الشيح.

طبعاً كانت علاقتنا العائلية تزداد توطداً على امتداد هذه الفترة فكان يزورنا في كل صيف في بلدتنا مشتى الحلو أحياناً مع العائلة، وأحياناً مع بعض الرفاق.. والصيف الوحيد الذي أخل فيه بهذا الموعد السنوي كان الصيف الماضي بسبب المرض.

فكان آخر لقاء لنا في صيف 2023 وكانت فيه هذه الصورة المرفقة في بستاننا.

ألف رحمة على روحه الطيبة. وأحر التعازي لعائلته الكريمة ولجميع رفاقه في الجبهة الشعبية.

أبو أحمد فؤاد..
صفحات مطويات من حياته

موسى سعيد مراغة ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

تحملني الذاكرة إلى الماضي غير القريب وتحديداً إلى أواسط ستينيات القرن الماضي. كنت حينها في سنواتي الثمانية من العمر. وأشحذ الذاكرة الآن لأنقب عن بقايا ما بقي من أحداث ومواقف عشتها في قريتي سلوان جارة القدس وحامية أقصاه.

ومن تلك الذكريات التي لها علاقة بابن عمنا القائد المشتبك والثوري الراسخ القدمين في النضال وميادين القتال ودروب الكفاح أبو أحمد فؤاد أو كما نطلق عليه وبلهجة قريتنا داهود مراغة.

من أولى صفحات الذاكرة التي لا يزال يختزنها الفكر وتعيش في الروح تلك الحادثة التي وصلت أخبارها إلى (حارة آل مراغة) التي تطل على (بير أيوب) وتجاور (حارة اليهود اليمنيين) التي سكنوها قبل إنشاء دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

تلك الأخبار القادمة من القدس والتي أفادت باعتقال داهود مراغة الذي كان يشارك في إحدى المظاهرات في المدينة المقدسة، ولأسمع من رجال العائلة أن سبب الاعتقال لأنه قومي عربي، وكان يشارك في مظاهرة تأييداً لحركة القوميين العرب وللرئيس المصري الخالد جمال عبد الناصر.

كلام كبير كان عصي الفهم على صبي لم يغادر ملاعب الطفولة ومراتع الصبا ويغيب داهود مراغة في سجون النظام الأردني لعدة أشهر وأظنها ثلاثة، وعند إطلاق سراحه وقدومه إلى منزل العائلة أذكر أنه تم له استقبال حافل، وإلى الآن أذكر الأسلاك الكهربائية التي تحمل مصابيح الإنارة التي انتشرت وعلقت على مدخل البيت وامتدت إلى ساحة منزل العائلة.

وينقطع شريط الذكريات عند هذه الحادثة، ولتحدث بعد سنوات نكسة حزيران في العام 1967 ولنغادر قريتنا سلوان ويكون النزوح إلى الأردن لعلة عمل والدي الذي كان ضابطاً في الجيش الأردني.

وفي الأردن انقطع التواصل الحقيقي مع أبو أحمد داهود مراغة لوجوده أكثر الوقت كقائد عسكري في الجبهة الشعبية، حيث كان تمركزه في أغوار الأردن على تخوم فلسطين.

ومن الأحداث التي عرفتها وسمعتها في تلك الفترة أنه كان دائم اللقاءات والتواصل مع ابن عمومته (أبو موسى) الضابط في لواء الأميرة عالية والذي كان متموضعاً في منطقة الأغوار الأردنية وفي قرى الكرامة والشونة وما جاورهما.

ولأن أبو موسى كان على تواصل مع الفدائيين الذين كانت قواعدهم تنتشر في تلك المنطقة وهو الذي كان ينقلهم بسيارته إلى مناطق قريبة من نهر الأردن في طريقهم إلى داخل فلسطين لتنفيذ عملياتهم الفدائية داخل الأرض المحتلة.

وفي هذه الأثناء يلتقي الاثنان أبو موسى وأبو أحمد والذي عرفه في تلك الفترة على المناضل الوطني الدكتور جورج حبش وأبو علي مصطفى وغيرهم من قيادات الجبهة التي كانت تزور قواعد الفدائيين في الأغوار الأردنية.

المناضل والفدائي والثائر أبو أحمد والذي كان يمضي جل وقته متنقلاً بين القواعد في الأغوار وبين كمائن المقاتلين ومشاغله السياسية والتنظيمية والعسكرية في تلك الفترة قبل أيلول عام 1970، كان يقتنص سويعات قليلة يعود فيها إلى عمان العاصمة، ليأخذ قسطاً من الراحة في بيت عمته في أحد جبال عمان (جبل النظيف) وحيث كنا نسكن أيضاً، وأذكر أني شاهدته مرة يزورها برفقته شاب آخر يقال له عبد الرحيم ملوح، والذي كان يقود سيارة نوع فولكس فاجن أتى بها الاثنان إلى تلك الزيارة القصيرة.

وبعد أحداث أيلول عام 1970 في الأردن وانتقال فصائل الثورة الفلسطينية إلى سورية ولبنان، وبطبيعة الحال انتقلنا نحن كعائلة إلى سورية بعد أن انضم والدي إلى الثورة الفلسطينية تاركاً المناصب والمكاسب والرتب في الجيش الأردني دفاعاً عن الثورة ومصطفاً إلى جانب كل المناضلين من أخوته ورفاقه الذين انضموا كذلك إلى قوات الثورة الفلسطينية.

وفي سورية تصبح العلاقة أقرب وأكثر تواصلاً مع أبي أحمد، خاصة أن ظروفه لم تكن تسمح لا بشراء منزل ولا استئجار آخر.

وأقمنا نحن كعائلة في إحدى مناطق دمشق (حي ركن الدين) وفي تلك الفترة 1970/ 1971 يقرر أبو أحمد الزواج، وكانت شريكته في هذا المشروع المناضلة والفدائية إحسان برناوي شقيقة الفدائية والأسيرة الأولى فاطمة برناوي.

ونظراً للظروف التي أسلفت، نعطي لأبي أحمد وعروسه غرفة في الشقة التي كنا نستأجرها في تلك الفترة.

صحيح أنه لم يكن يقيم كثيراً في البيت، وأكثر أوقاته في المواقع ومكاتب الجبهة حيث كان العمل النضالي مستحوذاً على جل وقته، وفي تلك الفترة يرزق أبو أحمد وزوجه بطفلتهما (عبير) التي تربت بيننا وكواحدة من أفراد العائلة وبعدها بفترة قصيرة ينتقل أبو أحمد وعائلته إلى لبنان

حيث استقر هناك.

ولعلي أتذكر الآن وبعد زواجه بفترة قصيرة، أراد أن يخرج مع زوجته الجديدة في مشوار خاص، واتفقا أن يذهبا إلى إحدى دور السينما، وباعتباره لا يعرف شيئاً عن دور السينما انتدبني لأرافقهما وأدلهما إلى إحدى تلك صالات العرض السينمائية في دمشق، وقادتني قدماي إلى منطقة الصالحية وتحديداً إلى إحدى دور السينما والتي تحمل اسم سينما دنيا، وإلى اليوم وبعد مرور ما يقارب أكثر من خمسين سنة لا زلت أذكر اسم الفلم الإنكليزي وبطله الممثل الكوميدي (نورمان ويسدوم) وحمل الفلم اسم بائع الحليب...

وفي لبنان وفي جنوبه تحديدا حيث انتشرت قوات الثورة الفلسطينية لمختلف الفصائل ...وجمع الميدان النضالي والكفاح المسلح ابناء العم ابو موسى وابو أحمد فؤاد .الأول من خلال قيادته الكتيبة الأولى في قوات اليرموك. وبعدها قائدا لقوات العاصفة في جنوب لبنان ومن ثم كقائد للقوات المشتركة الفلسطينية والوطنية اللبنانية. وابو أحمد فؤاد كقائد عسكري في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين...واجتمعا أيضا في المجلس العسكري لقوات الثورة الفلسطينية... وكثيرا ما كان يحتد النقاش في هكذا مواقف وكل يمثل الفصيل الذي ينتمي اليه..ولكن كان الاثنان يغلبان الانتماء لفلسطين وللقربى العائلية..فوق اي انتماء..

ويقول أبو موسى بعفويته ودماثته لن أختلف ولن أخاصم أبو أحمد حتى لا يقول رجال ونساء آل مراغة في سلوان : « إن أبوموسى خاصم ابن عمومته أمام الغرباء...».

وبعد خروج الثورة الفلسطينية من لبنان عام 1982، عاد أبو أحمد واستقر في سورية، وهذه المرة من دون عائلة حيث حدث الطلاق وسفر الابنة الوحيدة واستقرارها في عمان نظراً لظروف عملها.

وفي تسعينيات القرن الماضي يقرر أبو أحمد من جديد تطليق حياة العزوبية وليقع اختياره على إحدى بنات مختار آل موعد في مخيم اليرموك، ولتذهب جاهة لطلب القرب من آل موعد وكان على رأس تلك الجاهة القائدان الكبيران الراحلان أبو موسى وأبو علي مصطفى رحمهما الله، وكنت شخصياً حاضراً والتي تكللت بالزواج وإنجاب ثلاثة أبناء.

كانت هذه بعض المحطات والأحداث التي اختزنتها الذاكرة، وشذرات من مواقف بقيت عالقة في تلافيف القلب والروح.

والذي يعرف عن أبي أحمد فؤاد أنه وهب وقته وحياته وفكره للعمل والنضال، ولم يكن يأبه لحياته الشخصية ولا للمكاسب الذاتية، وكم كان والدنا رحمه الله يدعوه إلى منزلنا عندما كانت المرحومة الوالدة تطهو شيئاً من الأكلات الفلسطينية الشهيرة في المناسبات، ولكن رحمه الله إما كان يعتذر أو يحضر متأخراً مفوتاً على نفسه أكل وجبة الجريشة أو المسخن وذلك كرمى لعيون فلسطين وكرمى التزاماته العملية.

رحمك الله أبو أحمد ولذكراك الخلود..

في الهدف

أبو أحمد فؤاد
طائر الرعد الفلسطيني

غزة وهي تنفض عن أرضها وهوائها ومائها وما تبقى من أشلاء بيوتها وأشجارها غبار الموت، لتعطي ابتسامتها للشمس ذات صباح لا يشبه كل الصباحات، وحينما أغمض أبو أحمد فؤاد عينيه ليرقب الحلم وهو يتحقق، وليخفق قلبه بعدئذ بأهازيج النصر، كانت غزة تبتسم ملء أرضها وتاريخها وجسارة رجالها، الذين ظلوا منغرسين جذوراً دافئة لوطن مازال يقوم عشية كل موت ليبث الحياة، هذا ما رآه أبو أحمد فؤاد وهو يصعد إلى السماء روحاً صلبة، وإرادة بالحياة لا تلين، يذهب شهيداً إذاً في إثر من سبقه من شهداء شهود وقادة ومناضلين مطوفاً في ظلال جورج حبش وأبو علي مصطفى ووديع حداد وغسان كنفاني ومن ساروا على الدرب الطويل، ولا تطوى سنين الكفاح من أجلها/ فلسطين كلها.

فلسطين الرؤيا والهدف والمصير، وهكذا نعرف إلى أين يذهب الشهداء والشهود إثر طوفان لا حدَّ له، أعلن قيامة الأرواح لتحلق عالياً مزنرة بشمس ذلك الصباح.

أبو أحمد فؤاد على طريق القدس، ليلتحق بهم رمحاً فلسطينياً سامقاً وراية ونشيداً، وماذا يقول الشهيد للشهيد حينما يمنح جسده فضة لترابها، وتنبجس الينابيع من جديد، وهو من مشى على درب آلامه حاملاً صليبه بشارة ذلك النصر المُنتَظر... جولة في حرب مفتوحة، كُتبت سطورها في الآفاق غزة: إننا عدنا من الموت لنحيا، كما شأن القائد المناضل أبو أحمد فؤاد الذي صعد مطمئناً على شعب وثورة تستحقان فجراً مختلفاً، شعب الصامدين الذين مازالوا قابضين على حجر الشمس.

سافر أبو أحمد ولن يعود لكن ستبقى رايتنا حمراء

معاذ الجحري ـ عضو اللجنة المركزية للنهج الديمقراطي العمالي ـ المغرب

غادرنا إلى الأبد، أبو أحمد فؤاد، أحد أكبر فرسان العطاء في الثورة الفلسطينية، وذلك في الساعات الأولى من يوم الجمعة 17 يناير 2025. سافر ولن يعود، لكن ستبقى رايتنا حمراء.

لقد خلف رحيل هذا القائد الفذ حزنا وأسى ولكن أيضا اعتزازا به والتفافا حوله من طرف مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية والقوى الثورية عبر العالم وخاصة في منطقتنا، مشرقها ومغربها.

رحل، وقد خلف رصيدا حافلا بالكفاح، السياسي والعسكري، وعلاقات واسعة ومتشعبة تركت بصمتها في النفوس.

تفيد الشهادات التي جمعتها من رفاق قياديين التقوا به أو عايشوه من المغرب وخارجه، أن الفقيد كان يتمتع بعلاقات متقدمة ومتنوعة تمتد لسنوات مع قوى اليسار المغربي وخاصة مع النهج الديمقراطي(النهج الديمقراطي العمالي). قام أبو أحمد بزيارة المغرب ثلاث مرات في 2004، 2006 و2011. وكان ذلك في إطار مهام نضالية مع قوى تقدمية وديمقراطية أو في إطار المؤتمر القومي العربي. وفي كل مرة كان يصر على عقد لقاء مع قيادة النهج الديمقراطي حيث يضع هذه الأخيرة في صورة تطورات الأوضاع والصراع المرتبط بالقضية الفلسطينية.

ليس من باب المديح، إذا قلنا إن أبو أحمد كانت له نظرة ثاقبة للأمور وقدرة مهمة على رصد ملامح المستقبل حول عدد من القضايا منها الانتفاضة الثانية، اندلاع الحرب مع العدو الصهيوني في جنوب لبنان ودور حزب الله فيها وقدرة الشعب الفلسطيني على الصمود والثبات.

كان يؤكد أن حل الدولتين واتفاق أوسلو مناورة صهيونية وأن الكيان الصهيوني سيستمر في التوسع والاستيطان وقضم الأراضي وأنه غير مستعد للسماح بقيام دولة فلسطينية.

كان يؤكد أيضا وبقوة، على عدم الارتهان للأنظمة العربية الرجعية وعدد من المؤسسات الرسمية وكان متتبعا جيدا لما يروج داخل مؤتمراتها.

باختصار كانت له قدرة هائلة على تحليل الأوضاع وينهل من الينابيع التي صممها ورفاقه من جيل المؤسسين للشعبية.

كان أبو أحمد يمتلك وعيا راسخا وقناعة عميقة بالعمل الوحدوي بين القوى التقدمية وكان له دور أساسي في تأسيس اللقاء اليساري العربي. كان يؤمن ويميز بين مستويات عدة للوحدة والتنسيق والعمل المشترك مع القوى اليسارية والقومية والإسلامية. يسعى ما أمكن إلى البحث عن ممكنات التوافق التي لا تخل بالمبدأ.

له حس قومي حاد، وحدوي إزاء الفصائل الأخرى ، كان من دعاة توحيد غرفة العمليات أثناء مواجهة العدو ، وقد طبقت في معركة طوفان الأقصى وقبله.

كان إنسانا متواضعا ومنفتحا، لا يشتكي، يفضل الأكل في المطاعم الشعبية البسيطة، يحب الحياة، يحب الفن والغناء والطرب الشامي على وجه الخصوص. كانت ذاكرته خزانا كبيرا، فيحكي تفاصيل طويلة عن التدريب العسكري والعمليات الفدائية واختطاف الطائرات...

يستمع إليك بهدوء وينخرط معك بسهولة في تبادل الأفكار وتقاسم الحكي.

كان حقا نموذجا لقائد ثوري يحظى باحترام كبير من طرف كل القوى والشخصيات.

آخر مرة التقيته، كان بالرباط صحبة إبراهيم شريف إبراهيم، قائد حركة وعد البحرينية، ومشينا في المدينة القديمة (السويقة) قبل التحاقهما باجتماع مع المكتب المركزي للجمعية المغربية لحقوق الإنسان كنت قد ساعدت على ترتيبه. كان ذلك في يناير 2011 قبيل أيام من هروب الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي وحوالي أسبوعين من انفجار ثورة 25 يناير في مصر.

وبقينا على تواصل دائم. لا أنسى مكالمته لي قبل اندلاع طوفان الأقصى بشهور، كان يخطط لعقد لقاء.

ولما بدأت حرب الإبادة، تكثف تواصلنا. وكلما أرسلت له تغطية عن النضالات العارمة التي دعت لها الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع يكتب «كل التقدير للشعب المغربي العظيم» ولما أكتب له سننتصر، يرد نعم ، نعم، نعم...

وكذلك كان، وعدت المقاومة ووفت.

أبوأحمد فؤاد..
الثائر العربي والقائد المتواضع

إبراهيم شريف ـ الأمين العام الأسبق لجمعية العمل الوطني الديمقراطي البحريني «وعد»

ارتحل عنا في السابع عشر من يناير الجاري المناضل الكبير والرفيق العزيز أبو أحمد فؤاد بعد عمر مديد وإسهامات كبرى كمناضل فلسطيني وقومي عربي.

تعرفت إلى أبي أحمد شخصيا قبل حوالي ربع قرن عن طريق رفيقنا الراحل القائد عبدالرحمن النعيمي، القامة القومية الكبيرة الذي جعل قضية فلسطين بوصلته ومركز اهتمامه. وقد جمعتني مع الرفيق أبي أحمد لقاءات كثيرة بصفتنا ممثلين في الأمانة العامة لمؤتمر الأحزاب العربية، وأعضاء في المؤتمر القومي العربي، ورفاقا في تنظيمين تربطهما علاقات رفاقية عتيقة بسبب الأصول التنظيمية الواحدة الممتدة من حركة القوميين العرب. وقد كنت محظوظا برفقة أبي أحمد في المؤتمرات والسفر واللقاءات مع رفاق ومناضلين من مختلف الأقطار العربية الذين يجمعهم حبهم وتقديرهم لهذا المناضل الفذ.

كثير من رفاق أبي أحمد في البحرين مازالوا يتذكرون تلك التظاهرة التي حاصرت السفارة الأمريكية في الخامس من أبريل/نيسان 2002 تأييدا للانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) وتنديدا بمواقف الولايات المتحدة المؤيدة للكيان الغاصب. كان أبو أحمد متواجدا في البحرين لحضور المؤتمر القومي العربي الذي عقد دورته السنوية في البحرين باستضافة جمعية «وعد». وقد تدخل رجال الأمن بعنف لفض التظاهرة السلمية عندما اقتربت من مبنى السفارة، وأغرقوا المحتجين بالقنابل المسيلة للدموع ورموهم بوابل من الرصاص المطاطي. كان الرفيق أبو أحمد بمعية رفيقه عبدالرحمن النعيمي يقفان على بعد عشرات الأمتار من مبنى السفارة الأمريكية بمنطقة الزنج عندما استطاع أحد الشباب اعتلاء مبنى السفارة ورفع علم فلسطين قبل أن تباغته قوات الأمن بقذائف من الرصاص المطاطي أصابت إحداها رأسه في مقتل. كان محمد جمعة الشاخوري ثاني شهيد بحريني على طريق فلسطين، سبقه في نيل هذا الشرف الرفيع الشهيد مزاحم الشتر الذي كان متطوعا مع الثورة الفلسطينية واستشهد بعد أن اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان عام 1982.

خلال العقد الأول من هذه الألفية زار أبو أحمد البحرين عدة مرات لحضور مؤتمرات بينها المؤتمر الذي كان يعقد كل عامين لجمعية العمل الوطني الديمقراطي «وعد». تعود العلاقة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية في البحرين ووريثتها جمعية «وعد» إلى فترة حركة القوميين العرب عندما التحق بالحركة المناضل عبدالرحمن النعيمي ورفيق دربه عبدالنبي العكري وقبلهما وبعدهما مئات من الشباب البحريني الذين أيقظت نكبة فلسطين فيهم الوعي القومي وأهمية العمل المنظم. وقد امتدت هذه العلاقات بين التنظيمين حيث عمل بعض رفاقنا صحفيين في مجلة الهدف وساهم آخرون في الدفاع عن بيروت أثناء الاحتلال الإسرائيلي عام 1982، كما كانت تطور العمل بين المنظمات الطلابية للجبهتين إلى علاقة تحالفية عميقة خاصة في منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الأمريكية.

رحل عنا الرجل الذي كانت حياته نموذجا للسياسي الملتزم والعسكري المنضبط والإنسان الودود المتواضع، الذي لا تكتمل زيارتنا لبيروت إلا بجلستين أو ثلاث معه ننهل فيها من علمه العسكري وتحليله السياسي، ويطلعنا فيها على تفاصيل لا نسمعها في الإعلام حول مجريات الثورة. وفي لقائنا الأخير معه في بيروت في يونيو/ حزيران 2024 حدثنا باطمئنان عن قدرات المقاومة في صد العدوان على غزة فجاءت الخاتمة كما توقع، جاء وقف إطلاق النار في الوقت الذي كان يغادرنا مستريحا لهذه الخاتمة الأسطورية التي حققتها المقاومة بكل فصائلها، ومنها مشهد طوفان «العودة» المهيب لسكان غزة الأبطال إلى بيوتهم ومدنهم وبلداتهم المدمرة في شمال القطاع.

اليوم نودع أبا أحمد فؤاد، الرجل الذي أنهى مشواره العسكري ومهمته النضالية على أكمل وجه، نودعه باسمه الذي بدأ به حياته، داوود مراغة ابن سلوان المقدسية، ونستذكر دوما أننا كنا أصدقاء ورفاق درب لقائد عظيم من قادة الثورة الفلسطينية، لثائر عربي من مدرسة حكيم الثورة جورج حبش، تعلمنا منه قيمة الالتزام ومعنى التواضع الثوري، رجل أفنى حياته مدافعا عن حق شعبه في الحرية والعدالة والعودة.

غزة انتصرت

تصريح صحفي

الجبهة الشعبية تهنئ الأسيرات والأسرى بتحررهم عبر صفقة مشرفة جسّدت تضحيات شعبنا العظيمة

تتقدّم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتهنئة إلى جميع الأسيرات والأسرى الأبطال الذين نالوا حريتهم اليوم بفضل صفقة تبادل مشرفة عكست حجم التضحيات الجسام التي قدّمها شعبنا الصامد ومقاومته الباسلة في سبيل تحريرهم.

تخصّ الجبهة بالتهنئة الرفيقة المناضلة خالدة جرار (أم يافا)، والرفيقة المناضلة عبلة سعدات (أم غسان)، وجميع الأسيرات اللواتي جسّدن صمود المرأة الفلسطينية في مواجهة سياسات القمع والتنكيل والإهمال الطبي التي ينتهجها الاحتلال بحق الأسرى.

قدّم شعبنا تضحيات جسيمة من أجل تحرير أسراه الذين أفنوا زهرات أعمارهم في مواجهة العدو، فذلك هدفٌ سام متجذّر في وجدان شعب مقاوم لا يقبل الظلم ولا يساوم على كرامته.

تجدّد الجبهة عهد المقاومة بتحرير جميع الأسيرات والأسرى من سجون الاحتلال دون استثناء.

الحرية لكافة الأسرى... المجد للشهداء... والنصر لشعبنا البطل

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
مكتب الشهداء والأسرى والجرحى
19يناير/ كانون الثاني 2025

مسودة اتفاق التهدئة في غزة

المرحلة الأولى (42 يوماً):

1. الوقف المؤقت للعمليات العسكرية المتبادلة من قبل الطرفين، وانسحاب القوات الإسرائيلية شرقاً وبعيداً عن المناطق المكتظة بالسكان إلى منطقة بمحاذاة الحدود في جميع مناطق قطاع غزة بما في ذلك وادي غزة (محور نتساريم ودوار الكويت)

2. وقف مؤقت للنشاط الجوي (للأغراض العسكرية والاستطلاع) في قطاع غزة لمدة 10 ساعات في اليوم، ولمدة 12 ساعة في أيام إطلاق سراح المختطفين والأسرى.

3. عودة النازحين إلى مناطق سكناهم، والانسحاب من وادي غزة (محور نتساريم ودوار الكويت):

أ- في اليوم السابع (بعد إطلاق سراح 7 من المحتجزين) تنسحب القوات الإسرائيلية بالكامل من شارع الرشيد شرقاً حتى شارع صلاح الدين، وتفكك المواقع والمنشآت العسكرية في هذه المنطقة بالكامل، والبدء بعودة النازحين إلى مناطق سكناهم (دون حمل سلاح أثناء عودتهم)، وكذلك حرية الحركة للسكان في جميع مناطق القطاع، ودخول المساعدات الإنسانية من شارع الرشيد بدءاً من أول يوم ودون معوقات.

ب- في اليوم الـ 22، ستنسحب القوات الإسرائيلية من وسط القطاع (خاصة محور نتساريم، ومحور دوار الكويت) شرق طريق صلاح الدين إلى منطقة قريبة من الحدود، وسيتم تفكيك المواقع والمنشآت العسكرية بالكامل، كما ستستمر عودة النازحين إلى أماكن سكناهم (دون أن يحملوا معهم السلاح أثناء العودة إلى منازلهم) في شمال القطاع، كما ستستمر حرية التنقل للسكان في جميع مناطق القطاع.

ج- بدءاً من اليوم الأول سيتم إدخال كميات مكثفة وكافية من المساعدات الإنسانية ومواد الإغاثة والوقود (600 شاحنة يومياً على أن تشمل 50 شاحنة وقود، منها 300 للشمال) بما في ذلك الوقود اللازم لتشغيل محطة توليد الكهرباء والتجارة والمعدات اللازمة لإزالة الركام، وإعادة تأهيل وتشغيل المستشفيات والمراكز الصحية والمخابز في كل مناطق قطاع غزة، واستمرار ذلك في جميع مراحل الاتفاق.

4. تبادل الرهائن والأسرى بين الجانبين:

أ- خلال المرحلة الأولى، تطلق حماس سراح 33 من المحتجزين الإسرائيليين (أحياء أو جثامين) من نساء (مدنيات ومجندات) وأطفال (دون سن 19 من غير الجنود) وكبار السن (فوق سن 50) ومدنيين جرحى ومرضى، بمقابل أعداد من الأسرى في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، وذلك وفقاً للتالي:

تطلق حماس سراح جميع المحتجزين الإسرائيليين الأحياء من النساء المدنيات والأطفال (دون سن 19 من غير الجنود)، بالمقابل تطلق إسرائيل سراح 30 من الأطفال و النساء مقابل كل محتجز(ة) إسرائيلي(ة) يتم إطلاق سراحهم، بناء على قوائم تقدمها حماس حسب الأقدم اعتقالاً.

ب- تطلق حماس سراح جميع المحتجزين الإسرائيليين الأحياء كبار السن (فوق سن 50 عاماً) والمرضى والجرحى المدنيين، بالمقابل تطلق إسرائيل سراح 30 أسيراً من كبار السن (فوق 50 عاماً) والمرضى مقابل كل محتجز(ة) إسرائيلي(ة)، بناء على قوائم تقدمها حماس حسب الأقدم اعتقالاً.

ج- تطلق حماس سراح جميع المجندات الإسرائيليات اللواتي على قيد الحياة، بالمقابل تطلق إسرائيل سراح 50 أسيراً من سجونها مقابل كل مجندة إسرائيلية يتم إطلاق سراحها (30 مؤبداً، و20 يقضون أحكاماً أخرى ولا يتبقى لهم أكثر من 15 عاماً) بناء على قوائم تقدمها حماس.

باستثناء عدد متفق عليه من السجناء (100 سجين على الأقل) سيتم مناقشة حالتهم في المرحلة الثانية من الاتفاقية...

سيتم إطلاق سراح عدد متفق عليه (50 على الأقل) من السجناء الذين يقضون أحكاماً بالسجن المؤبد في الخارج أو في غزة.

5. جدولة تبادل المحتجزين والأسرى بين الطرفين في المرحلة الأولى:

في اليوم الأول من الاتفاق ستطلق

حماس سراح 3 رهائن إسرائيليين (مدنيين)....

وفي اليوم السابع من الاتفاق، ستطلق حماس سراح أربعة إسرائيليين آخرين (مدنيين)...

وبعد ذلك ستطلق حماس سراح ثلاثة مختطفين إسرائيليين إضافيين كل سبعة أيام، أولاً النساء (مدنيين وجنوداً)، وسيتم إطلاق سراح جميع المختطفين الأحياء قبل إعادة الجثث...

في الأسبوع السادس ستطلق حماس سراح جميع من تبقى من المحتجزين المدنيين المشمولين في هذه المرحلة، بالمقابل تطلق إسرائيل سراح عدد متفق عليه من الأسرى الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، وفق القوائم التي ستقدمها حماس.

بحلول اليوم السابع ستنقل "حماس" معلومات عن عدد المختطفين الإسرائيليين الذين سيتم إطلاق سراحهم في هذه المرحلة.

ج- في الأسبوع السادس (بعد إطلاق سراح هشام السيد وأفرا منغيستو اللذين ضمن إجمالي 33 مختطفاً تم الاتفاق على إطلاق سراحهم في المرحلة الأولى من الاتفاق)، سيفرج الجانب الإسرائيلي عن 47 من أسرى صفقة شاليط الذين تم سجنهم للمرة الثانية.

د- في حال لم يصل عدد المختطفين الإسرائيليين الأحياء المقرر الإفراج عنهم إلى العدد 33، يستكمل العدد من الجثامين من نفس الفئات لهذه المرحلة، بالمقابل، ستطلق إسرائيل في الأسبوع السادس سراح جميع النساء والأطفال (دون سن 19 سنة) الذين تم اعتقالهم من قطاع غزة بعد 7 أكتوبر 2023.

هـ- ترتبط عملية التبادل بمدى الالتزام ببنود الاتفاق، بما في ذلك إيقاف العمليات العسكرية من قبل الجانبين، وانسحاب القوات الإسرائيلية، وعودة النازحين ودخول المساعدات الإنسانية.

6. لن يتم اعتقال الأسرى الفلسطينيين الذين سيتم إطلاق سراحهم مرة أخرى بنفس التهم التي اعتقلوا بسببها سابقاً، ولن يبادر الجانب الإسرائيلي بإعادة اعتقال الفلسطينيين المفرج عنهم لقضاء ما تبقى من محكوميتهم. ولن يُطلب من السجناء الفلسطينيين الذين سيتم إطلاق سراحهم التوقيع على أي وثيقة كشرط لإطلاق سراحهم.

7. لن تعتبر مفاتيح تبادل المخطوفين والأسرى في المرحلة الأولى المفصلة أعلاه أساساً لمفاتيح التبادل في المرحلة الثانية.

8. في موعد أقصاه اليوم السادس عشر، تبدأ المفاوضات غير المباشرة بين الجانبين بشأن الاتفاق على شروط تنفيذ المرحلة الثانية من هذا الاتفاق، بما في ذلك تلك المتعلقة بمفاتيح تبادل الأسرى والأسرى بين الجانبين (الجنود وبقية الرجال). ويجب التوصل إلى اتفاقات بشأن هذه المسألة قبل نهاية الأسبوع الخامس من هذه المرحلة.

9. ستواصل الأمم المتحدة ووكالاتها والمنظمات الدولية الأخرى، أعمالها في تقديم الخدمات الإنسانية في كل مناطق قطاع غزة، وسيستمر ذلك في جميع مراحل الاتفاقية.

10. البدء بإعادة تأهيل البنية التحتية (الكهرباء والماء والصرف الصحي والاتصالات والطرق) في جميع مناطق قطاع غزة، وإدخال المعدات اللازمة للدفاع المدني، ولإزالة الركام والأنقاض، وسيستمر ما ورد أعلاه في جميع مراحل الاتفاقية.

11. سيكون من الممكن إدخال المستلزمات والمتطلبات اللازمة لإنشاء مراكز إيواء للنازحين الذين فقدوا بيوتهم خلال الحرب (ما لا يقل عن 60 ألف مسكن مؤقت- كرفان- و200 ألف خيمة).

12. بعد إطلاق سراح جميع الجنود الإسرائيليين، سيصل عدد أكبر من العدد المتفق عليه من الجرحى العسكريين إلى معبر رفح لتلقي العلاج الطبي، وسيزداد عدد الأشخاص وكذلك المرضى والجرحى الذين يُسمح لهم بالمرور عبر معبر رفح، وسيتم إزالة القيود المفروضة على استخدام المسافرين المعبر وحركة البضائع والتجارة.

13. البدء في تنفيذ الترتيبات والخطط اللازمة لعملية إعادة الإعمار الشامل للمنازل والمباني المدنية والبنية التحتية المدنية التي دُمّرت نتيجة الحرب وتعويض المتضررين بإشراف عدد من الدول والمنظمات، من ضمنها مصر وقطر والأمم المتحدة.

14. جميع الإجراءات في هذه المرحلة، بما في ذلك الوقف المؤقت للعمليات العسكرية من قبل الجانبين، والإغاثة وجهود توفير أماكن المأوى، وانسحاب القوات، وما إلى ذلك، ستستمر في المرحلة الثانية طالما استمرت المفاوضات حول الشروط. ويستمر تنفيذ المرحلة الثانية من هذا الاتفاق. وسيبذل ضامنو هذا الاتفاق قصارى جهدهم لضمان استمرار هذه المفاوضات غير المباشرة حتى يتمكن الطرفان من التوصل إلى اتفاقات بشأن شروط تنفيذ المرحلة الثانية من هذا الاتفاق.

المرحلة الثانية (42 يوماً):

15. الإعلان عن عودة الهدوء المستدام (وقف دائم للعمليات العسكرية وجميع الأنشطة العدائية) وسيدخل حيز التنفيذ قبل البدء بتبادل المحتجزين والأسرى بين الجانبين – جميع من تبقى من الرجال الإسرائيليين الموجودين على قيد الحياة (المدنيين والجنود) – مقابل عدد يتفق عليه من الأسرى في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، وانسحاب القوات الإسرائيلية بالكامل خارج قطاع غزة.

المرحلة الثالثة (42 يوماً):

16. سيتم تبادل جثامين ورفات الموتى التي بحوزة الطرفين بعد الوصول لهم والتعرف عليهم.

17. سيبدأ تنفيذ خطة إعادة إعمار قطاع غزة لمدة من 3 إلى 5 سنوات، بما في ذلك المنازل والمباني المدنية والبنية التحتية المدنية، وتعويض المتضررين كافة بإشراف عدد من الدول والمنظمات، منها مصر وقطر والأمم المتحدة.

18. فتح المعابر والسماح بحركة الأشخاص والبضائع.

الجهات الضامنة للاتفاق:

قطر، مصر، الولايات المتحدة

غزة سجلت ملحمة تاريخيّة بصمودها البطولي

أكد نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرفيق القائد جميل مزهر أن غزة سجّلت ملحمةً تاريخية بصمودها البطولي في مواجهة العدوان الصهيوني المدعوم أمريكياً، محوّلةً القطاع المحاصر منذ 16 عاماً إلى مقبرة للعدو وكابوس يزلزل كيان الاحتلال.

وقال مزهر في كلمة بثتها الفضائيات يوم الثلاثاء (2025/1/21): «المقاومة الفلسطينية بكل أذرعها العسكرية صمدت 471 يوماً، كسرت خلالها كبرياء العدو، وأجبرته على التراجع والاعتراف بهزيمته شمال القطاع، رغم الدعم الأمريكي اللامحدود"، مشدداً على أن غزة أصبحت نموذجاً يُدرّس في الأكاديميات العسكرية بقدرتها القتالية وثباتها الأسطوري، وليس فقط بصمودها الميداني.

وتطرّق إلى فشل الاحتلال في الوصول إلى الأسرى الذين تخفيهم المقاومة منذ أكثر من 470 يوماً، قائلاً: "لقد انتصرت غزة في الميدان وعلى مستوى الرواية أيضاً، وأثبتت أن الحق لا يُقهر".

كما وجّه مزهر تحية فخر إلى المقاومة في الضفة المحتلة، وخاصة أبطال جنين، ونابلس، وطولكرم، وإلى جبهات الإسناد في لبنان، واليمن، والعراق، وإيران، مؤكداً أن هذه الجبهات استنزفت العدو وقدّمت الشهداء دفاعاً عن فلسطين.

وفي سياق حديثه عن قادة المقاومة الذين ارتقوا شهداء، قال مزهر: "نحيي القادة العظام في ملحمة الطوفان، سماحة السيد حسن نصرالله، إسماعيل هنية، يحيى السنوار، صالح العاروري، والرفيق نضال عبد العال، وكل من قدم روحه فداءً لفلسطين".

وحول الأوضاع السياسية، شدد مزهر

على أن الجبهة الشعبية والقوى الوطنية عملت بكل الوسائل السياسية والدبلوماسية لوقف العدوان، إلا أن الاحتلال لم يفهم إلا لغة القوة، مؤكداً أن غزة "كسرت لاءاته وخطوطه الحمر"، وأن أي ترتيبات لما يسمى بـ "اليوم التالي" لن تكون إلا "بإرادة فلسطينية خالصة، بعيداً عن أي مخططات صهيونية".

كما تعهّد بأن تعمل القوى الفلسطينية على مواجهة التحديات المقبلة، وتعزيز صمود الشعب، وإعادة الإعمار، وإطلاق إستراتيجية وطنية موحدة للتصدي لمخططات الاحتلال في الضم والتهجير والاستيطان والتهويد.

وفي ختام كلمته، وجّه مزهر التحية للأسرى الأبطال، وعلى رأسهم الرفيق أحمد سعدات، ومروان البرغوثي، وحسن سلامة، وعاهد أبو غلمى وكافة الأسيرات والأسرى، مؤكداً أن تحريرهم بات قريباً، وأن "صفقة تبادل المحتجزات الصهيونيات مقابل مئات الأسرى هي صفعة جديدة في وجه الاحتلال".

واختتم حديثه برسالة واضحة للعالم: "غزة ستحيا وستزدهر، والطغيان سيسقط، وشعب فلسطين سينتزع حريته رغم أنف العدو المحتل وداعميه".

تم التعامل معنا بقسوة كبيرة وتعرضنا للاعتداء بالضرب قبيل الإفراج عنا

خالدة جرار

قالت الأسيرة المحررة والقيادية في الجبهة الشعبية الرفيقة خالدة جرار، إن إدارات السجون «الإسرائيلية» لا تتعامل مع الأسرى والأسيرات كبشر، ووصفت أوضاع السجون في ظل الحكومة «الإسرائيلية» الحالية بأنها الأسوأ منذ احتلال الضفة الغربية عام 1967.

وقالت «لم تكن الظروف بمثل هذه القسوة، سواء من حيث الاعتداء المتكرر على الأسرى والأسيرات أو رش الغاز المستمر، أو رداءة نوعية وكمية الطعام، أو سياسة العزل الانفرادي التي تمارسها سلطات الاحتلال». وأضافت «مكثت 6 أشهر في العزل الانفرادي ، وأشارت جرار إلى أن ما يجري في السجون نتيجة لسياسة الحكومة «الإسرائيلية» الحالية ووزير الأمن القومي المستقيل إيتمار بن غفير الذي يحاول أن يتعامل مع الأسيرات والأسرى وكأنهم ليسوا بشر».

وظهرت لحظة الإفراج عنها فجر الإثنين (2025/1/20) من سجن عوفر غرب رام الله، بمظهر غير مألوف «بيضاء الشعر نحيلة الجسد لا تكاد تقوى على السير».

حيث كانت قد اعتقلت في 26 كانون الأول 2023 من منزلها في مدينة رام الله، وجرى تحويلها إلى الاعتقال الإداري.

وأضافت الرفيقة جرار: «قبيل الإفراج عنا، تم التعامل معنا بقسوة كبيرة جداً وتعرضنا للاعتداء بالضرب في محاولة لإذلالنا وإهانتنا بشكل مقصود متعمد».

وشددت في حديثها على أن قضية الأسرى والأسيرات «جزء من قضايا شعبنا ويجب التصدي بشكل وطني لكل السياسات التي تمارس بحقهم لحين تحررهم جميعاً».

ولفتت إلى عدم تمييز سلطات السجون «الإسرائيلية» بين الأسرى والأسيرات «فالجميع يتلقى معاملة قاسية: استفزاز ليلي، مصادرة كل شيء حتى الملابس، حرمان من الزيارات».

كما تحدثت عن وجود عدد كبير من الأسرى في زنازين انفرادية وظروف قاسية جداً.

خرجنا من قبور كنا نعيش فيها منقطعين عن العالم

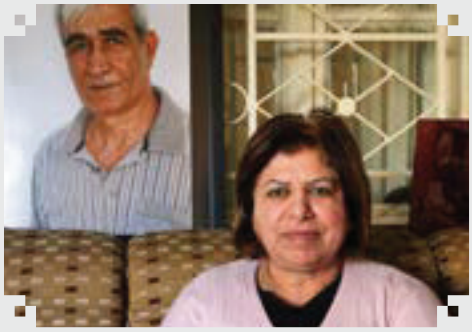

عبلة سعدات

وصفت الأسيرة المحررة عبلة عبد الرسول سعدات ظروف اعتقالها بأنها الأسوأ والأقسى في حياتها، حيث تعرضت لمعاملة قاسية واحتجاز في ظروف غير إنسانية منذ لحظة اعتقالها حتى الإفراج عنها. وقالت السيدة عبلة: «كان الاعتقال مفاجئا ولم أفهم سبب احتجازي، قال لي المحقق إنني أشكل خطرا على أمن الاحتلال، وهي جملة يستخدمها الاحتلال لتبرير أي اعتقال إداري بحق الفلسطينيين».

قضت سعدات 12 يوما في العزل الانفرادي في زنزانة ضيقة، حيث مُنعت من الخروج أو الاستحمام، واعتبرتها أصعب التجارب في حياتها، وقالت: «نحن خرجنا من قبور للأحياء التي كنا نعيش بها منقطعين عن العالم جميعه بشكل كامل، نخرج ساعة واحدة فقط في اليوم ومعظم الأحيان لا نرى الشمس، والتغذية السيئة للأسيرات والأسرى جميعهم أصبح لديهم أمراض عديدة في المعدة والأمعاء لسوء التغذية، والهزلان في الجسد والضعف الشديد وعدم توفر احتياجات الأسيرات الخاصة في السجن». وأضافت ورغم المعاناة، يبقى الإصرار والعزيمة أقوى من كل محاولات كسرهن.

عبلة سعدات التي اعتُقلت في 17 أيلول سبتمبر 2024 هي زوجة الرفيق المناضل أحمد سعدات، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، المعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ 18 عاماً أكدت في تصريحات لها لوكالات الأنباء أن زوجها أحمد سعدات سيكون من ضمن الأسرى الذين سيتم الإفراج عنهم في المرحلة المقبلة من صفقة التبادل.

وأفرجت قوات الاحتلال عن الأسيرة المحررة عبلة سعدات في 19 يناير 2025، ضمن صفقة تبادل الأسرى التي شملت 90 أسيرة وشبلا مقابل 3 أسيرات إسرائيليات.

على مدار 24 عاماً من الاعتقال لم أفقد إيماني بأن المقاومة ستخرجني

وائل الجاغوب

أكد القيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأسير المحرر وائل الجاغوب، في تصريحات له بعد تحرره من سجون الاحتلال يوم الأحد (2025/1/26) ، وسط استقبال شعبي ووطني وجبهاوي مهيب: «التجربة طويلة وصعبة ونضالية، لكنها تُمثل تجربة الشعب الفلسطيني المناضل ومناضليه. حيثما توجد نقطة اشتباك، نجد أنفسنا حاضرين، سواء في السجون أو الآن في الضفة.»

وفي تعقيبه على قرار الاحتلال بمنع مظاهر الاحتفاء بتحرر الأسرى، شدد الجاغوب على أن القرار للشعب الفلسطيني وحده، قائلاً: «لا يوجد احتلال يقرر. الشعب الفلسطيني صاحب هذه الأرض هو من يقرر، وهو صاحب الحكاية، وهو من يقرر مصيره.»

وأضاف: «نُعزي بكل الشهداء الذين قدموا أرواحهم في سبيل التحرير. التحرير والانتصار لن يتحققا بسهولة، والمطلوب من الجميع أن يكونوا أوفياء لدماء الشهداء وتضحياتهم، وأنا بدوري سأكون وفياً لهذه الدماء.»

واختتم الجاغوب حديثه بالإشارة إلى إيمانه الراسخ بالمقاومة كطريق لتحرير الأسرى، قائلاً: «على مدار 24 عاماً من الاعتقال لم أفقد إيماني بأن المقاومة ستخرجني. كنت على يقين، حتى وأنا في العزل، بأن المقاومة ستنجح في تحرير بقية الأسرى.»

القضية الفلسطينية لا تسوّى إلا بالمقاومة

محمود عيسى أبو حجر

من بلدة سالم شرق نابلس بعد وصوله للأراضي المصرية وتحرره بصفقة المقاومة يوم الأحد (2025/1/26)، قال بأن القضية الفلسطينية لا تسوى إلا بالمقاومة ولا نأخذ حقوقنا إلا بالمقاومة وهذه صفقة غزة الكبرى ، وغزة وإن دمرت فستبقى منتصرة، وأكد بأن مقاومة غزة اختصرت الإرادة الفلسطينية وما تعبر عنه هذه الإرادة.

محمد حسن غالي

عاشت فلسطين حرة عربية.. عاشت المقاومة..

بهذه الهتافات التي أطلقها الأسير المحرر الرفيق محمد حسن غالي من قطاع غزة وسط جموع المهنئين والذي أدى التحية العسكرية لرفاقه المقاتلين الذين استقبلوه فور تحرره يوم الخميس (٢٠٢٥/١/٣٠)، وصرح بأننا تعرضنا للتعذيب الشديد داخل سجون الاحتلال حتى الساعات الأخيرة، وتوجه بالشكر لأهل غزة على صمودهم والترحم على الشهداء.

ملحمة القرن في فلسطين
مراحل الكفاح والنضال الفلسطينيين
في مواجهة المشروع الاستعماري الصهيوني المتوحش...!

نواف الزرو ـ كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ الأردن

ليس من قبيل المبالغة والتهويل الحديث عن ملحمة القرن والكفاح والنضال الفلسطيني، أو عن الصمود الفلسطيني الأسطوري، أو عن شعب الجبارين في مواجهة أعتى وأشرس عدو وحشي إجرامي على وجه الكرة الارضية، وليس من قبيل المبالغة أن نوثق بأن أهلنا في غزة سطروا في مواجهة الحرب الإبادية الصهيونية الممتدة على مسافة زمنية متصلة لم تتوقف دقيقة واحدة عن الفتك والقتل والتدمير والتهجير لمدة خمسة عشر شهراً، من أكتوبر/2023 إلى كانون الثاني/2025 ملحمة القرن في فلسطين بكل مضامينها ودلالاتها الكبيرة والتاريخية.

فحرب الإبادة الصهيونية في غزة هي الأشرس والأشد وحشية ودموية في العصر الحديث متجاوزة بذلك أهوال الحربين العالميتين الأولى والثانية، كما أن حجم الدمار الذي خلفته «إستراتيجية الضاحية» الصهيونية في غزة تجاوز أهوال الدمار الذي أصاب مدينة درزدن الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية، بين -13 14 شباط 1945 حيث تمّ إلقاء 3900 طنّ من القنابل بواسطة 722 طائرة بريطانيّة أسفرت عن قتل 25 ألف إنسان وتدمير المدينة، ناهيكم عن التهجير الداخلي لأكثر من مليوني فلسطيني بكل ما ترتب وما يزال عليه من معاناة هائلة وخاصة للنساء والأطفال، وناهيكم كذلك عن التدمير الشامل للبنية التحتية الفلسطينية وللمجتمع المدني الحضاري الفلسطيني والمحو الواسع لكل ما هو فوق سطح الأرض في غزة على نحو فاق كل التوقعات والتصورات بل وفاق كل الكوابيس في هذا السياق الإبادي...!

يضاف إلى كل ذلك حالة الحصار والتجويع المرعبة التي فرضها الاحتلال على امتداد مساحة مدن وبلدات ومخيمات قطاع غزة على مدى خمسة عشر شهراً، والتي عانى منها على نحو خاص مئات آلاف الأطفال الفلسطينيين....!

ولكن رغم كل هذه الأهوال الكبيرة التي لم يسبق مثيل لها في التاريخ، إلا أن شعبنا الفلسطيني سطر صموداً ملحمياً في ملحمة البقاء على قيد الحياة ..!.

ليسجل الشعب الفلسطيني بذلك فصلاً جديداً في ملحمة الصمود والكفاح والنضال الممتدة والطويلة التي تعود إلى بدايات ظهور المشروع الاستعماري الصهيوني.

وفي ضوء ذلك لا بد لنا هنا من أن نستحضر مراحل ومحطات مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني لنوثق:

في مواجهة المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني الاقتلاعي في فلسطين، الذي تعود بداياته العملية إلى نحو قرن وخمسة وثمانين عاماً (المؤتمر الأوروبي في لندن 1840) والذي أنتج عملياً نكبات متلاحقة ألمت بالشعب الفلسطيني، وأصبحت تشكل تراكماً عبر هذا الزمن، ما يمكن أن نطلق عليه "الهولوكوست الفلسطيني المفتوح"، انطلقت كذلك مسيرة طويلة من النضال والكفاح والصمود والبقاء الفلسطيني المفتوح، لتشهد فلسطين مراحل ومحطات وأحداثاً ملحمية أسطورية عز نظيرها في التاريخ البشري، لتبلغ في هذه الآونة ذروة الصراع والصدام مع المشروع الصهيوني، وبلا مبالغة فنحن نتحدث عن موسوعة المقاومة والنضال والصمود والبقاء الفلسطيني، لا بل يمكننا القول إنه أصبحت هناك في كل بيت وفي كل عائلة فلسطينية لوحات وقصص وحكايات ملحمية في النضال والتضحيات اليومية في مواجهة جيش ومستعمري الاحتلال.

لقد أدرك الشعب العربي الفلسطيني مبكراً جداً خطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ أن اتخذت شكلاً منظماً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فانطلقت مسيرة المقاومة الفلسطينية بكافة أشكالها، مع بدايات الغزو البشري الصهيوني الاستيطاني لفلسطين، ولم تهدأ يوماً منذ ذلك الوقت، ولكنها كانت في حالة مد وجزر بفعل الأحوال والموازين والإمكانات وتأثيرات المحيط العربي والإقليمي والدولي، وتنوعت المقاومة لتشمل العمل السياسي والعسكري والثورات والانتفاضات والهبات والاعتصامات والمظاهرات في مواجهة تحالف الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني، وما تزال مسيرة المقاومة والنضال الفلسطيني مستمرة بأشكالها المتنوعة حتى اللحظة الراهنة.

وفي التوثيق فإن بدايات اليقظة والمقاومة الفلسطينية للوجود الصهيوني تعود على وجه التحديد إلى عام 1878 حينما أقامت الحركة الصهيونية مستعمرتها الأولى "بيتح تكفا" على أنقاض قرية الملبس الفلسطينية، فانتفض

أهالي القرية ضد الغزو الاستيطاني، وبعدها بأربع سنوات فقط، أي في عام 1882أقدمت الحركة الصهيونية على إقامة ثلاث مستعمرات أخرى هي:

-"ريشون لتصيون" على أراضي قرية عيون قارة.

-"روش بينا" على أراضي قرية الجاعونة.

-"زخرون يعقوب" على أراضي قرية زمارين.

وفي عام 1891، قدم عدد كبير من وجهاء القدس مذكرة احتجاج إلى الباب العالي في الأستانة يطالبونه بالتدخل لمنع الهجرة اليهودية وتحريم امتلاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وفي العام التالي لاحظ أهالي قرية الخضيرة وملبس "بتاح تكفا" تنامي عدد المستوطنات اليهودية في أراضيهم، فقاموا بهجوم مسلح عليها أسفر عن سقوط قتلى من الطرفين، وفي الفترة نفسها ظهرت كتابات يهودية في الصحف الأوروبية تحذر من ثورة عربية وشيكة بسبب عمليات الهجرة اليهودية التي بدأ العرب يلتفتون إليها.

ولم تقتصر الأطماع الصهيونية على فلسطين وحدها آنذاك، بل امتدت إلى شرق الأردن كذلك، ويعتبر الهجوم الذي شنه الأهالي هناك عام 1898 على مستوطنة أقيمت في منطقة جرش أول عمل عسكري في الأردن ضد الوجود الصهيوني.

*أشكال وأدوات النضال والكفاح الفلسطيني

وفي السجل النضالي الكفاحي للشعب الفلسطيني منذ ذلك التاريخ، استخدم الشعب الفلسطيني كل أشكال وأدوات النضال والكفاح المتاحة بين يديه وهي:

أولاً: النضال المسلح- منظمات وفصائل وكتائب وألوية وفرق كان شعارها: دم – حديد- نار- وتحرير كامل فلسطين من البحر إلى النهر.

ثانياً: النضال الشعبي- اعتصامات - مسيرات - مظاهرات – وصدامات- ومقاطعات اقتصادية.

ثالثاً: النضال السياسي – مؤتمرات عربية وغربية – وعرائض احتجاجية، ونشاطات وفعاليات سياسية هدفها إيصال الرأي والموقف الفلسطيني إلى الرأي العام الدولي .

رابعاً: الإعلام- وشهد عام 1900 حملة ضخمة لجمع التوقيعات على عرائض تمنع بيع الأراضي للمهاجرين اليهود. ونشطت وسائل الإعلام العربية في هذه التوعية، فكانت لكتابات الشيخ رشيد رضا (1865-1935) على صفحات جريدة المنار أثراً كبيراً، ومن الصحف العربية التي نبهت أيضاً إلى الخطر الصهيوني جريدة الكرمل في حيفا سنة 1909 وشن صاحبها نجيب نصار حملة شعواء على «الصهيونية"، وكذلك جريدة فلسطين التي نشر صاحبها عيسى داود العيسى سلسلة مقالات أسهمت في زيادة الوعي الوطني الفلسطيني حول أخطار الهجرة الصهيونية.

*مراحل النضال والكفاح الفلسطيني:

كما خاض الشعب الفلسطيني مراحل من النضال الشامل التي يمكن توزيعها زمانيا وتكثيفها بالعناوين التالية:

*الأولى -1878 1917، وتميزت ببدايات الوعي واليقظة العربية لخطورة الهجرة والاستيطان الصهيوني، وشهدت العديد من الصدامات ما بين المزارعين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود.

*الثانية: 1917-1948، أي منذ إطلاق "وعد بلفور، وشهدت هذه المرحلة أوسع وأشد الحراكات والثورات والانتفاضات والمسيرات والمظاهرات الفلسطينية، في التصدي لأكبر وأخطر هجمة صهيونية بريطانية على فلسطين، فكانت هناك ثورة العشرين التي عمت كافة المدن الفلسطينية، ثم جاءت المرحلة من 1929ـ 1934: وهي مرحلة النهوض الشعبي للحركة الفلسطينية، حيث شاركت قطاعات وفئات شعبية واسعة في النشاط السياسي الوطني من العمال والفلاحين والطلاب والمثقفين والطبقة الوسطى، وهي مرحلة الصدام المباشر مع بريطانيا وأسباب ذلك: القمع البريطاني لثورة 1929 "البراق" وتجاهل بريطانيا توصيات لجنة شو وسيون وازدياد قوة الحركة الصهيونية وتزايد الهجرة اليهودية الجماعية.

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة ثورة 1936ـ1939: وهي سلسلة من الأعمال المسلحة لمقاومة الانتداب البريطاني المساند والمؤيد للهجرة اليهودية وإضرابات عامة ومظاهرات شعبية.

ثم مرحلة الحرب العالمية الثانية والأربعينات: وكان النشاط الحزبي سيئاً وضعيفاً إذ ساعدت ظروف الحرب على إضعاف الأحزاب وإخماد الثورات.

ثم أخيراً مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية: أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب نهائياً من فلسطين بتاريخ 1948/5/15، وأدى ذلك إلى نشوب الاصطدامات بين العرب واليهود وتم تشكيل قوات باسم الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني.

*الثالثة:1948-1967، وكان الشعب الفلسطيني ومعه الأمة العربية في البدايات في ذروة الصدمة والذهول، ثم سرعان ما جاءت ثورة 23 يوليو التي أحيت الآمال الفلسطينية والعربية في المقاومة والتحرير، وشهدت هذه المرحلة كما هو معروف انطلاقة الرصاصة الأولى والثورة الفلسطينية.

*الرابعة:-1967 الانتفاضة الأولى 1987-1993، وتميزت بالمقاومة المسلحة في الداخل والخارج الفلسطيني، وكانت منظمة التحرير والفصائل والقوى الفلسطينية المختلفة هي التي تقود المقاومة المسلحة ضد الاحتلال .

*الخامسة:-1993 انتفاضة الأقصى 2000، وهي مرحلة الانتفاضة الكبرى الأولى التي أعادت القضية الفلسطينية إلى قمة الأجندات الدولية، واقتحمت كل بيت على وجه الكرة الأرضية، ولكنها ساهمت في ولادة اتفاقية أوسلو السياسية.

*السادسة: انتفاضة الأقصى/ -2000 2013، وهي وفق المعطيات الفلسطينية أسوأ المراحل الفلسطينية، حيث بدأت بانتفاضة الأقصى التي حملت عناوين تحرير القدس والاستقلال، وآلت إلى مفاوضات سياسية عقيمة وظفتها دولة الاحتلال كمظلة لها في تعميق وتكريس الاستيطان والتهويد، وتميزت هذه المرحلة بالمواجهة العسكرية غير المتنادة وبالعمليات الاستشهادية، وبالمقاومة المسلحة، غير أن أبرز عناوينها "المقاومة الشعبية على امتداد مساحة الضفة الغربية».

*السابعة: انتفاضة القدس- السكاكين- 2013-2020: فجر الشعب الفلسطيني خلال هذه السنوات ما عرف بانتفاضة القدس أو انتفاضة السكاكين، وكذلك كانت هبة البوابات الإلكترونية في القدس والتي حقق فيها أهل القدس انتصاراً كبيراً على نتنياهو والاحتلال وأجبروهم على التراجع عن قرار إقامة البوابات الإلكترونية على أبواب الحرم القدسي الشريف.

الثامنة: انتفاضة القدس والأقصى والشيخ جراح وسلوان2021--2023: وتوجت هذه الانتفاضة الكبيرة بظهور كتيبة جنين وعرين الأسود وتصاعد العمليات المسلحة المؤلمة للاحتلال، وخاصة ظاهرة الاشتباك من نقطة الصفر، هذه الاشتباكات المستمرة حتى كتابة هذه السطور والتي تتميز بروحية بطولية عالية جداً استطاعت أن تستقطب الشارع الفلسطيني على نطاق واسع.

التاسعة: حرب الإبادة الصهيونية الوحشية ضد الشعب الفلسطيني في غزة والتي استمرت خمسة عشر شهراً كاملة بلا توقف حتى لمدة دقيقة واحدة عن القتل والتدمير، في الوقت الذي صمد في شعبنا صموداً ملحمياً لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب في مواجهة الإبادة الصهيونية.

غير أن هذه المرحلة تعتبر في تاريخ القضية الفلسطينية من أصعب وأسوأ المراحل، وذلك بسبب الأحوال العربية التي تشهد دماراً وخراباً وانهياراً في الأمن القومي العربي وفي الروحية العروبية لدى ما يعرف بـ «الأعراب» لا مثيل له في التاريخ العربي، وخاصة على مستوى التطبيع الخياني مع العدو الذي يعتبر أخطر ما يواجه القضية الفلسطينية.

لنتوقف في الخلاصة الإستراتيجية لنوثق: إننا أمام صراع وجودي جذري إستراتيجي منذ بداياته الأولى، لا سبيل للتعايش والتطبيع أو التسوية السياسية فيه، وسيبقى هذا الصراع مفتوحاً على أوسع نطاق، إلى أن يحل يوم الدين، يوم التحرير والعودة والخلاص.

غزة انتصرت

وفاء حميد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

أعلن رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار وصفقة تبادل الأسرى بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل في قطاع غزة.

يأتي هذا بعد أكثر من عام ونصف على الصمود الأسطوري للشعب في وجه العدوان الإسرائيلي في حرب الإبادة فقد استطاعت فصائل المقاومة في غزة إبرام اتفاق لوقف إطلاق النار. وإجبار نتنياهو وحكومته المتطرفة المتغطرسة للاضطرار إلى الرضوخ لمطالب المقاومة المحقة والمشروعة، والتي رفضوها مراراً وتكراراً.

فاستقبل سكان قطاع غزة خبر إعلان وقف إطلاق النار بالهتاف والدموع والفرح، بعد حرب صمود واجهه الشعب، التي حرقت فيها الحجر والبشر وراح ضحيتها أطفال ونساء وشيوخ، وإنهاء تقريباً للبنية التحتية للقطاع.

فقد استطاعت المقاومة في غزة أن تعيد القضية للواجهة بعد التضحيات التي قدمتها هي وحاضنتها الباسلة، وإثبات وجود كيان فاشي يضم غلاة المتطرفين الصهاينة الذي يتنكر ليس فقط لحقوق الشعب الفلسطيني، بل ينكر وجوده ويدعو علانية لطرد من تبقى منه على الأرض الفلسطينية وتهجيرهم وإلى حرق وإبادة القرى والمدن التي يخرج منها المقاومون.

فقد استطاعت المقاومة أن تنتصر على الواقع الذي كرسه الاحتلال والدول الداعمة من خلال صمودها التي تخطت ما يمكن أن يفصل في موضوع وقف إطلاق النار بين ما هو مقبول من قبلها وما هو مرفوض.

ومع هذا لم يهدأ الكيان من صب جام غضبه على القطاع بارتكاب المجازر المتتالية، منذ إعلان التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار.

كما هدد وزير الأمن القومي الإسرائيلي ايتيمار بن غفير، وهو عضو من أقصى اليمين أيضاً في الحكومة، بالاستقالة ودعا سموتريتش للانضمام إليه. ولا يملك أي من الحزبين عدداً كافياً من المشرعين في البرلمان لإسقاط الحكومة بمفرده. كما اشترط وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش المنتمي للحزب الديني الصهيوني من أقصى اليمين، «عودة إسرائيل إلى الحرب بهدف تدمير حماس وإعادة جميع الرهائن، فوراً بعد المرحلة الأولى من الاتفاق» كي يبقى في الحكومة، حسبما ذكر في بيان له.

وهنا ننتقل إلى السؤال ما هو اليوم التالي بعد صفقة وقف إطلاق النار؟

تقول صحيفة «يديعوت أحرونوت» بشأن استنزاف شديد تعانيه الوحدات القتالية الإسرائيلية المشاركة في القتال في جبهات متعددة منذ 15 شهراً، وغياب الالتزام، وظهور تصدعات، وتراجع كبير في مستوى الانضباط العسكري داخل الجيش، بالإضافة إلى تدهور ملحوظ في التزام معايير السلامة والانضباط العسكري.

فإن الكيان المحتل الذي عانى من أزمات وانقسامات داخل حكومته قبل حربه على غزة، نراه اليوم يعاني أزمات داخلية بعد مرور عام ونصف على هجوم المقاومة على المستوطنات الإسرائيلية.

نقص في عدد جنود الجيش الإسرائيلي، بحيث تجاوزت خسائره 10 آلاف جندي بين قتيل وجريح، منذ بداية المعارك في الـ7 من تشرين الأول/أكتوبر 2023.

فشل العملية العسكرية في شمال قطاع غزة، لم تحقق هذه العملية هدفها، بل ارتدت على الحكومة الإسرائيلية، فتحولت إلى عامل يدفع الإسرائيليين لوقف الحرب، بسبب الخسائر الكبيرة في صفوف الجنود، واختلاط الأهداف المعلنة للعملية العسكرية (خطة الجنرالات)، عملية شمال قطاع غزة والتي كلفت الجيش العديد من القتلى و الجرحى وأدت إلى تآكل الإجماع على الحرب وأعادت الحساسية الإسرائيلية لمقتل الجنود والتي لم تكن قائمة في السنة الأولى من الحرب.

خيبة أمل اليمين المتطرف ونتنياهو بترامب، حيث لم يدركوا أن أولويات ترامب مختلفة عنهم، بل يرى في استمرار الحرب عائقاً أمام طموحاته.

إضافة إلى أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، في خضم الأزمة التي حدثت للائتلاف الحكومي بعد إعلان بن غفير عن استقالته ووزراء حزبه من الحكومة إذا أقرت الاتفاق، من المرجح أن يميل حزب الصهيونية الدينية برئاسة سموتريتش للبقاء في الحكومة، وذلك من أجل الاستمرار بمشروعه الاستيطاني في الضفة الغربية الذي يعتبره الأهم، وصاحب الأولوية على إسقاط الحكومة.

سيخرج وزراء وأعضاء تيار الصهيونية الدينية ضد الاتفاق بشكل قاس، ويعتبرونه كارثياً على أمن إسرائيل، وسيسوقون بقاءهم في الحكومة بالوعد باستئناف الحرب، وتكثيف الاستيطان في الضفة الغربية.

هنا يجب التفريق بين حزب الصهيونية الدينية برئاسة سموتريتش وحزب عظمة يهودية برئاسة بن غفير في موقفهما من الاتفاق، وذلك بسبب الاختيارات المختلفة لكل منهما؛ فجمهور سموتريتش يتشكل بالأساس من مستوطني الضفة الغربية، وهو حزب المستوطنين بامتياز.

أما جمهور حزب «عظمة يهودية» بقيادة بن غفير فيتنوع بين مستوطنين ويمين محافظ من اليهود الشرقيين على وجه الخصوص، الذين جذبهم خطاب بن غفير الشعبوي في وعوده بتحقيق الأمن الشخصي والتنكيل بالفلسطينيين داخل الخط الأخضر، وتشدده بشأن الأسرى الفلسطينيين في فترة شغله منصب وزير الأمن القومي.

لذلك تعتبر الصفقة عملياً ضربة في صميم خطاب بن غفير، لا سيما فيما يتعلق بالأسرى الفلسطينيين، حيث عمل على التنكيل بهم، وتفاخر بفرض قيود وحشية عليهم، في خطاب عام استهدف مجمل الإسرائيليين، في حين ركز سموتريتش خطابه وعمله على الاستيطان وجمهور المستوطنين.

لذلك فإنه يستطيع تسويق بقائه في الحكومة في صفوف جمهوره، بأن ما حققته الصهيونية الدينية كحزب وتيار في الحكومة الحالية غير مسبوق، وهي فرصة تاريخية لن تتكرر، فإذا خرج من الحكومة، فسينتهي المشروع الاستيطاني الذي يعمل عليه.

كلا الحزبين وحكومة اليمين المتطرف تخطط لإنهاء الوجود الفلسطيني، والسؤال هنا الذي يطرح نفسه هل سيستمر مشروع الاستيطان في قضم أراضي الضفة، وهل ستستمر الحرب على غزة بعد وقف إطلاق النار؟ وهل سيستمر الاحتلال المتهالك بمخططه نحو توسع أكبر ينال كل المنطقة، أسئلة تطرح نفسها جوابها سيكون في المراحل القادمة..

أما بالنسبة للواقع الفلسطيني اليوم يعلن انتصاره رغم ما ألم به من خسارة على مستوى الأفراد والملكية الخاصة وسيشكل مستقبلاً صلباً ترتكز عليه أسس النظريات الحديثة للتحرر الكبير.

من طوفان الأقصى إلى طوفان الوعي وانتصرت غزة

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

ما راكمته ملحمة طوفان الأقصى بوصفها نقطة التحول في مسار المقاومة الفلسطينية المعاصرة، لم يكن محض تحول اعتيادي فقد آل بنتائجه كما مقدماته إلى أن يكون أنبل ظاهرة في القرن العشرين، حيث أُعيدت القضية الفلسطينية (تاريخاً ومقاومة ومصيراً) إلى دائرة الوعي العربي والإنساني والأممي، في مواجهة أعتى غزوة صهيونية إحلالية توسعية بمشروعها المركب لسلب الأرض والذاكرة الفلسطينيين، كما محاولة كي الوعي الفلسطيني والعربي على حدٍّ سواء، وعندما تتحدث النتائج الآن عن تلك المقدمات الموضوعية والتي بدت كضرورة تاريخية لا بأس من مقاربتها في هذه اللحظة الفارقة على المستوى المعرفي قبل غيره من المستويات الأخرى، فقد أنجزت تلك الملحمة العظمى خلاصتها للبشرية قاطبة بأن ثمة شعباً فلسطينياً مازال يقاوم احتلالاً لم يكن على أرضه فقط، وإنما احتلال لذاكرته وتاريخه وثقافته، وبممكناته التي ستبدو نوعية بالقياس إلى آلة الحرب الصهيونية الضخمة، واستثمارها لفورة التكنولوجيا ووسائل الاتصال، فالأمر هنا ليس بهذه البساطة المطلقة لأن ما حدث هو أشبه بالإعجاز وكثيرون ذهبوا إلى مقاربة ما حدث بالأساطير الجديدة، بمعنى شعب أسطوري واجه بقواه الوطنية والحية آلة قتل وإبادة وتجويع وتهجير، وصمد بما يفوق الأربعمئة يوم، لكنه الصامد بالمعنى التاريخي فوق أرضه، والمدافع بكل ما امتلك من وعي عن قضيته وعن وجوده المهدد على الدوام، فالوعي في هذا السياق هو أيضاً حصيلة تراكمية نوعية نقلت الفلسطيني كقضية وجود إلى وعي العالم الحر، وإلى ضمير الإنسانية الذي استيقظ بعضه من سبات عميق بفضل ما استنبتته الفكرة الصهيونية والمشروع الصهيوني في لا وعيه الجمعي، وأن يعي العالم الآن حقائق هذا الوعي الجديد في الضمير الجمعي لا سيما، هذا يعني عودة القضية الفلسطينية إلى سلم الأولويات، بوصفها القضية الأولى على مستوى العالم كله، في مواجهة آخر احتلال عرفه العالم، ولا بد لهذا الوعي من أن يفيض بمعرفته ويشتق قوانينه في الخلاص والتحرر ليس بصرف النظر عن التضحيات الجسام التي مثلت المعادل الموضوعي للمقاومة الشاملة، وبأطيافها المتعددة فلسطينياً وعربياً وعالمياً، انطلاقاً من خصوصية هذا الوعي على المستوى الفلسطيني ومنه إلى الوعي العالمي، ومن هنا ندرك جدلية أثيرة تتكثف في منطق السيرورة والضرورة، اللذين سيخلقان جدلاً آخر للصراع وفهماً أعمق لقواعده الجديدة حتى يكتمل المعنى بالانتصار، وتنداح المأساة لتُستبدل بالبطولة التي لا يمكن لها أن تُختزل بجولة واحدة وبشوط واحد في سياق معركة الوعي، وما يلزمها من أدوات تقتضي تغييراً في بنية التفكير واستعادة لمنهج الثورات وما يصاحب ذلك كله من انقلاب في المفاهيم والمصطلحات والأفكار الجديدة أو المتجددة، والتي لا تنفك على أن تكون حاملة لهذا الوعي وحاضنة له بآن، وبمعنى آخر ما يعود على الكيانية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية بالمزيد من الصلابة والتجذر والانتماء وفهم الهوية بشكل واسع، وذلك أيضاً ما يستدعي خطاباً ثقافياً موازياً، وبمفردات مختلفة وصوغاً مختلفاً، يقارب فعل المقاومة بأفعال الثقافة، على مستوى الثقافة الجامعة والموحدة، وانطلاقاً من استخلاص الدروس والمراجعات التاريخية في ضوء الوعي والمعرفة، لإنشاء ذاكرة جديدة ستمثل دعامة المستقبل، أي فهم معادلة التحرير بجدلية الوعي والمقاومة، وما يستلزم من تحديث الأدوات والرؤى حتى تكتمل الخلاصات وتنتج فكراً يليق بأبعاد طوفان الأقصى ومقارباته المتعددة، ومن مستويات متعددة، وذلك ما يحمل المعنى لدالة النهوض الجمعي والاستشراف الكلي لمعنى فلسطين في الوعي الجمعي والذاكرة الجمعية... وعي لا يتخفف من المساءلة بقصد الإنتاج من جديد، وتصليب الثوابت التي تعني صلابة الشخصية الوطنية، حتى تكون الملحمة مرجعية معاصرة للتفكير الجديد ولفهم ما ينبغي على الثقافة الوطنية الفلسطينية بمكوناتها وخطاباتها، من أن تخلق لدى الفلسطينيين أولاً وعياً مضاعفاً بالهوية، وترسيخاً لفكرة الكينونة ولطالما كان التعبير الأثير عن المقاومة بأنها فكرة، فإن الفكرة ستنمو وتأخذ غير مقام حتى تُنتج بالضرورة مفهوماً عميقاً بالوطن، وكيف نستعيده وعياً ومقاومةً حتى ننتقل إلى حيز الاشتباك المعرفي، في مضارعة الغزو الصهيوني ومشروعه وما يمليه ذلك على الثقافة والمثقفين من أدوار جديدة أكثر حيوية لتظل فلسطين في الوعي حقيقة ثابتة لا تتغير وتظل المقاومة عابرة لأزمانها وأمكنتها، لكنها في المحصلة هي كلمة السر التي لا تتغير ارتقاءً بالوعي الذي نحتاجه في مقاربة فلسطين باستحقاق الطوفان وما بعده، إذن اليوم التالي هو طوفان الوعي بكل ما انطوى عليه الطوفان من معنى تاريخي وإجرائي ومستقبلي.

سيرة ذاتية للرفيق
والصديق الإنسان النبيل والقائد المناضل المثال
جورج حبش
في ذكرى رحيله السابعة عشرة

غازي الصوراني - مفكر وباحث فلسطيني

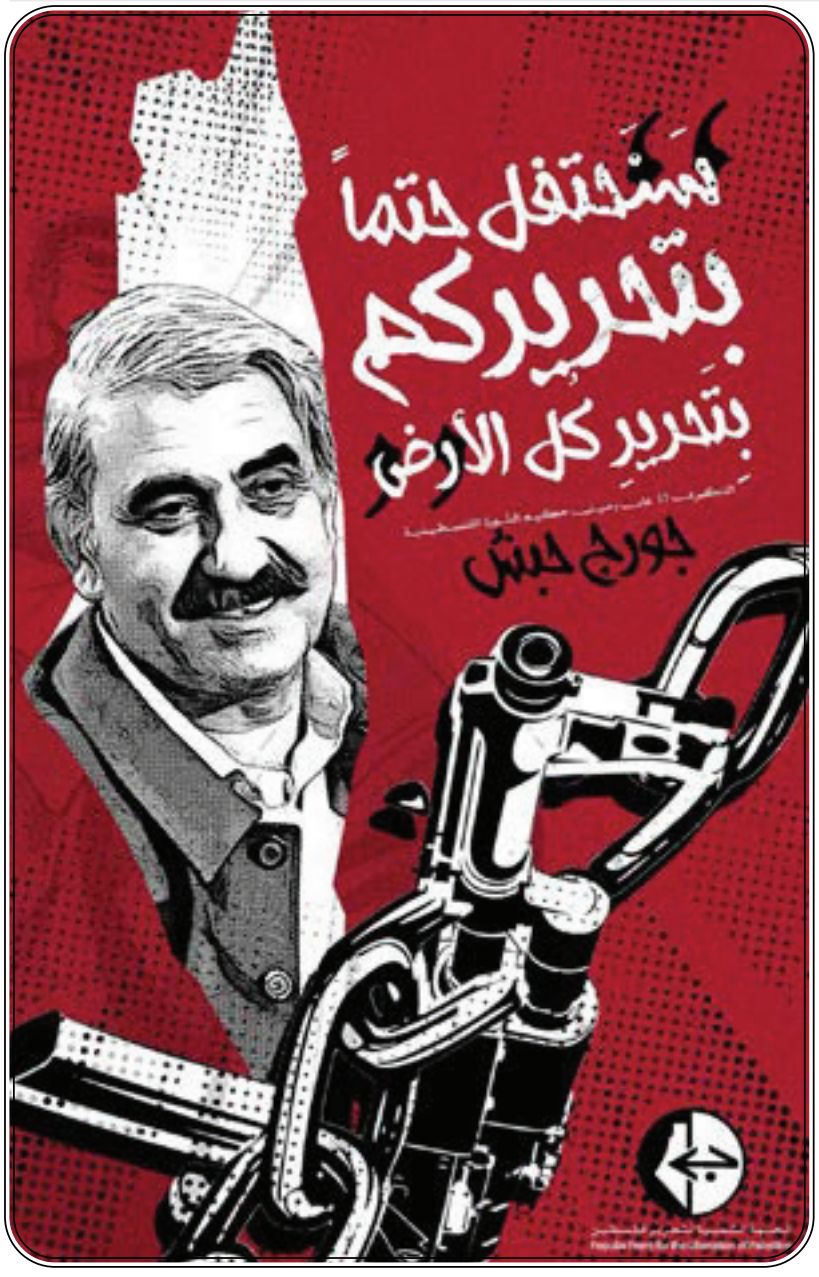

ولد في مدينة اللد الفلسطينية يوم 1926/8/2 لعائلة مسيحية أرثوذكسية ميسورة.

_ أنهى دراسته للمرحلتين الابتدائية والثانوية في يافا والقدس، ثم التحق سنة 1944 بكلية الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت، تخرج فيها طبيباً سنة 1951، وفي أثناء دراسته كان من البارزين في المجال السياسي الذين عملوا من خلال جمعية «العروة الوثقى» في الجامعة، ومن خلال «هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل».

من ناشطي «جمعية العروة الوثقى» في الجامعة الأمريكية في بيروت التي كان الدكتور قسطنطين زريق محركها الأساسي، ثم شارك في تأسيس «منظمة الشباب العربي» التي نشأت سنة 1951 ثم أصدرت نشرة «الثأر» ، وعقدت هذه المنظمة أول مؤتمر لها سنة 1954 برئاسة جورج حبش وانبثق عنها «حركة القوميين العرب»، وكان أبرز أعضاء الحركة وديع حداد وهاني الهندي وأحمد اليماني وأحمد الخطيب وصالح شبل وحمد الفرحان وحامد الجبوري.

_ ترشح للانتخابات النيابية في الأردن في آب 1956.

_ منعت حركة القوميين العرب في الأردن سنة 1957 فاضطر إلى التخفي والعيش في السر، وفي سنة 1958 ذهب إلى دمشق.

_ تزوج في دمشق في أوائل سنة 1961، وبقي فيها طوال فترة الوحدة، وكانت حركة القوميين العرب في هذه الأثناء قد أيدت بقوة الرئيس جمال عبد الناصر، وتولى أحد مؤسسيها (هاني الهندي) إحدى الوزارات في عهد الوحدة.

_ على إثر هزيمة حزيران 1967، قام مع مجموعة من رفاقه في حركة القوميين العرب بتأسيس «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» التي تم الإعلان عن تأسيسها رسمياً يوم 1967/12/11، ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع الجبهة عن منطلقاتها القومية برؤية ماركسية، حرص الحكيم على صيرورتها وتطورها كتوجه ومنهج عمل رئيسي للجبهة الشعبية.

_ أعلن انتماءه وانتماء الجبهة الشعبية إلى الفكر الماركسي – اللينيني وذلك بعد هزيمة حزيران 1967 .

_استمرت علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر وثيقة جداً لكنها بدأت بالفتور في تموز 1970 عندما وافق الرئيس عبد الناصر على مشروع روجرز.

_ عام 1970 اندلعت مواجهات عرفت بـ «أيلول الأسود» بين الثورة والمقاومة من جهة والنظام الأردني من جهة ثانية أسفرت عن إخراج قوات الفدائيين من عمان والأحراش فيما بعد.

- جاء إلى لبنان سنة 1971 بعد انتقال قوات الثورة الفلسطينية إلى الجنوب ومخيمات بيروت.

_ أعلن في 1972/3/14 التوقف عن إستراتيجية خطف الطائرات.

_ أعلن انسحاب الجبهة الشعبية من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أيلول 1974 احتجاجاً على الاتجاه السياسي الجديد للمنظمة والذي عرف ببرنامج النقاط العشر الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني العاشر.

_ كان له إسهام بارز في تأسيس «حزب العمل الاشتراكي العربي» في لبنان وبلدان عربية أخرى.

كان للحكيم جورج حبش دور بارز في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي وجبهة تحرير ظفار والجبهة القومية في اليمن والحزب الثوري في السعودية بهدف إسقاط أنظمة الرجعية والعمالة.

_ حاولت «دولة» العدو الإسرائيلي اعتقاله وقتله أكثر من مرة وكان أبرزها محاولة اختطاف إحدى الطائرات فور إقلاعها من مطار بيروت متجهة إلى بغداد لاعتقادها أنه كان بين الركاب وجرت الحادثة في 1973/8/10.

_ غادر بيروت في آب 1982 مع القوات الفلسطينية وأقام منذ ذلك الحين في دمشق.

كان له شأن في تأسيس جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني المؤلفة من المنظمات المعارضة لقيادة م. ت. ف والتي اتخذت دمشق مقراً لها.

_ عارض اتفاق عمان بين م. ت. ف والأردن الذي وقع في شباط 1986 ودعا إلى إلغائه.

_ أصيب بجلطة دماغية في تونس في 1992/1/17 نقل على إثرها إلى إحدى مستشفيات باريس، وأثار نقله أزمة سياسية داخلية في فرنسا استقال في أعقابها ثلاثة مسؤولين.

_ استقال من الأمانة العامة للجبهة الشعبية في أيلول عام 2000 أثناء عقد المؤتمر العام السادس للجبهة.

_ أسس «مركز الغد العربي» في دمشق سنة 2002.

_ عاش المرحلة الأخيرة متنقلاً بين دمشق وعمان.

موقف الثائر والمفكر الحكيم جورج حبش من الرجعية العربية ...

بالنسبة للرجعية العربية وقوى الكومبرادور وأنظمتها العميلة أكد القائد الراحل جورج حبش في المؤتمر الرابع للجبهة على أن التناقض مع الرجعية العربية هو تناقض رئيسي، كما أن الجبهة لا تؤمن بشعار «عدم التدخل في شؤون الدول العربية في دائرة الصراع، وترى أن التحديد العلمي لموقع «الرجعية العربية»، كقوة من قوى الخصم في المعركة المحتدمة بين الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية من جهة، وبين الإمبريالية والصهيونية من جهة ثانية، يحمي الثورة الفلسطينية من مناورات ومخططات القوى الرجعية، وغيابه يعني غياب الرؤية الواضحة. ولا يعني ذلك أن تقوم الثورة الفلسطينية بمهمة التغيير في البلدان العربية وإسقاط الأنظمة، بل يعني «التحالف مع حركة الجماهير العربية وقواها التقدمية لإسقاط أي نظام عميل للتحالف الإمبريالي/ الصهيوني».

الوفاء لحكيمنا القائد الغائب الحاضر ...

إنني أعتقد أن الوفاء الحقيقي لهذا الغائب الحاضر، لا يتجلى فحسب عبر الاحتفال بذكراه السنوية، بل أيضاً والأهم لا بد أن يتجلى في الإخلاص الحقيقي، العقلاني، الجدلي، لمبادئه وأفكاره الثورية التي اكتسبت لديه مضامين أبعد من معانيها ومظاهرها المتعارف عليها، لأنها مبادئ وأفكار ارتبطت بالأيديولوجية الثورية، الماركسية ومنهجها العلمي الجدلي، بمثل ارتباطها بصيرورة حركة التحرر القومي الديمقراطي والتقدم الاجتماعي والاشتراكية، وهو ترابط جسّد التزام الحكيم الدائم بالجماهير الشعبية الفقيرة في فلسطين وكل أرجاء الوطن العربي باعتبارها صاحبة المصلحة الوحيدة في هذا الصراع ضد التحالف الإمبريالي الأمريكي الصهيوني، وفي الدفاع الحقيقي عن أهداف التحرر الوطني والديمقراطي. ذلك هو المسار الذي حدده القائد الراحل لنفسه ولرفاقه في الجبهة مجسداً بذلك دور المثقف الثوري الذي استطاع أن يضرب لنا مثلاً رائعاً في إقامة العلاقة الجدلية الصحيحة بين المعرفة أو النظرية وبين الفعل والنضال الكفاحي والسياسي، إنها الوحدة بين النظرية والممارسة طريقاً وضمانة وحيدة صوب تحقيق المستقبل المنشود.

_أدخل إلى إحدى مستشفيات عمان في 2008/1/17 لإصابته بجلطة قلبية وتوفى يوم 2008/1/26... المجد والخلود لروحه وذكراه العطرة الخالدة في قلوبنا وعقولنا.

عين الهدف ونبض الحقيقة..

الصحفي أحمد بدير

في الذكرى الأولى لاستشهاده

لمى الشطلي ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

في الغياب تقرأ تعاليم الأرض على أفواه من رحلوا.. وكيف لو كانت الأرض غزة.. وماذا لو كان الحديث من الشهداء.. ماذا لو عبرت الحقيقة من المأساة إلى الصوت والصورة.. هكذا عرفنا صورة غزة وصوتها هكذا تجلّى لنا اسماً عصياً على النسيان ويقرع جدران الخزان بلا توقف.. وهكذا كان أحمد.. الزميل الصحفي أحمد نعيم بدير عبر من الوجود إلى ما بعده، مضى حينما كان ينقل عدد الشهداء هنا أو هناك، أخبرنا عن مرارة أنت تكون منطوياً تحت تعريف الصحفي في حياة لا تؤمن بقسمة العدالة وحرية الصحافة، لأنك في حين غرّة وبلا أي قصد منك تتحول من صفةٍ إلى أخرى هكذا من دون أن تدري..

هو منطق الحرب إذاً حياً في الصوت والصورة للحظات، وشهيداً في لحظة واحدة يقرر بها جيش المغول الوحشي الجديد أن ينتزع الأرواح بلا توقف، في إبادةٍ تقتص من شعب استبسل لأجل معنى الحرية والإنسان وحده، لكن أحمد آثر أن يوثّق بالصوت والصورة ممارسات الاحتلال، لم تردعه الصواريخ التي شقت صدر السماء ولم تخيفه المدافع التي فتكت بالأرض وساكنيها، اختار بملء إرادته أن يكمل معركة الحقيقة حتى لو كانت تركن في خيمة أمام مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح..

أحمد عين الهدف ونبض الحقيقة

عمل أحمد في بوابة الهدف الإخبارية كمحرر ومعد للتقارير وكان أحد أهم أعمدتها، حاملاً على عاتقه رؤية فلسطين وغزة كما يشتهي ويحبّ، متفانياً في العطاء يصبّ الأفكار على الورق تماماً كما سكب دمه في بوتقة الحقيقة، لأن الصلة ما بين العمل والهوية لا يمكن فصلها أبداً، الاحتلال يشتعل من الهوية ويموت غيظاً

ممن يعطيه مرآة تكشف عن وجهه، لأجل هذا كانت مهنة الصحافة في فلسطين هويةً للقتل العمّد، وأحمد دخل تلك المعادلة بإصرار المقاتل العتيد، واختار الاستمرار متحدّياً احتمالات الموت وأوجهه ..

الرفيق الجبهاوي المحارب

انتمى أحمد لكلمات غسان كنفاني «الحقيقة كل الحقيقة للجماهير»، لكن الحقيقة في غزة ممزوجة باللحم والدماء بصرخات الثكالى والمكلومين، ولأنه يعي أنّ انتزاع وجه الحقيقة من أيدي العدو يمكن أن تدفع لأجله روحك، اختار نبل المحارب في خوض المعركة ونقل الصوت والصورة تماماً مثلما علّمنا غسان، فكان كلّ الحقيقة وجع الصوت وأنين الصورة، كان غزّة بكاملها، لك أن تتخيل أن تنقل وجع أرض بجسدٍ واحد، هكذا فعل هكذا أحبّ أن يظهر بعين غزة، لا بأعين العالم، رفيقاً متحدياً قذارة العالم بشجاعةٍ تتخطى ظروف الزمان والمكان والاحتلال..

أحمد الفنان والإنسان القلم الذي لا يموت

يقول محمود درويش ليس شهداؤنا أكبر من الكلمات ولكنهم أكثر من الكلمات، والكثرة في قاموس أحمد تدخل في كلّ تفاصيل حياته كما شخصيته، كثير العطاء والتفاني، وكثير الشغف بالعمل، كثير المحبة، كثير البسمة تلك التي لم تفارقه حتى يوم استشهاده، اليوم في حرب غزة يا رفيقي نتقن جميعاً فن الموت وحدك من آثرت أن تصعد خشبة المسرح ليس كما نحن واقفون ما بين العجز والذكرى. إنما شهيداً يقرأ لكنفاني ويحدّث عن الحكيم جورج حبش ويتلون مع رسومات ناجي العلي تماماً كتلك الزاوية المعلّقة على جدار مكتبك، أيأخذك الإيمان بالقضايا وأصحابها والكتابة عنهم إلى هذا الحد حتى تندمج معهم بصورةٍ واحدة، لكن اليوم يا صديقي صرت معلقاً على جدارية غزة نكتبك نحن بلا توقف..

أحمد الصحفي الشهيد بقلب غزّة

أتدري يا رفيقي بأنك كما غزّتك، عصيٌ على الانكسار تأخذنا إلى حيز الضوء حيث كلماتك ترسم الأرض كما عرفتها من رفاقك الأوائل، رأيناك واقفاً ما بين الخبر والقلم وفي محارب عينيك حكايات النكبة وقهر كلّ اللاجئين ومن مبسمك ينفجر التحدي كما تنفجر غزة مدافعةً عن كل الشعب الفلسطيني، هكذا تجتاز الصحافة حدود الحقيقة إلى المجاز، والحقيقة يا ابن الشجاعية أنّ غزة صمام أمان هذه القضية كما كنت صميم الهدف والمجاز خيار واحد: «نحن باقون وللحلم بقية»، وبقيت أنت حيّاً شهيداً في قلب غزة..

نحن لا نودعك حقاً.. إنما نقول إلى اللقاء يا رفيقي... إلى اللقاء في أرض تشبهنا إلى اللقاء في فلسطين الخالدة..

ولا تحزن قد حملتنا جميعاً معك بتلك القبلة التي تركتها أمك على يديك حينما اختبرنا جميعاً مرارة الفقد..

«فسلامٌ عليك افتقدناك جداً.. وعلينا السلام فيما افتقدنا..»

بيان عسكري
كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

عهدًا على الأيامِ ألا تهزموا فالنّصرُ يَنبتُ حيثُ يَرويهِ الدّمُ

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعي رفيقها المقاتل البطل الشهيد «إضاء محمد السبعين»

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفيقها المقاتل البطل الشهيد «إضاء محمد السبعين / جيفارا»

والذي ارتقى شهيداً خلال تصديه البطولي مع رفاقه وإخوانه الأبطال للعدوان الصهيوني الغاشم على لبنان عند الحدود الفلسطينية - اللبنانية، مسطرًا بدمه أروع معاني التضحية والفداء، ومدافعًا شرسًا عن شعبنا الفلسطيني والأمة العربية ومنتصرًا للمكلومين والمسحوقين من أبناء شعبينا الفلسطيني واللبناني في وجه العدوان الصهيوني المستمر ضد وجودنا وحقنا في تحرير فلسطين من نهرها لبحرها وكافة الأراضي العربية المحتلة.

لقد مثل رفيقنا «جيفارا» نموذجاً للرفيق الملتزم المقاوم لا المساوم المتقدم لصفوف المواجهة، وعلى الرغم من الألم الكبير بفقدان رفيقنا وكافة أبطالنا الذين لم يستكينوا يومًا، فإننا نؤكد على أن هذا المصاب لن يزيدنا إلا إصراراً وثباتاً بالاستمرار على نهج الشهداء بالنضال والقتال حتى أخر قطرة دم للتحرير الشامل والناجز ودحر الاحتلال عن كامل ترابنا الوطني الفلسطيني واستعادة شعبنا لكافة حقوقه المسلوبة واستعادة الأراضي العربية المحتلة في لبنان والثأر لدماء شهدائنا وقادتنا.

يا جماهير شعبنا البطل .. يا أحرار أمتنا والعالم

نعاهدكم نحن في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ونعاهد دماء شهدائنا وأبطالنا على امتداد ساحات القتال بأن نبقى الأوفياء لمن عبدّوا طريق الحرية بدمائهم ولم يرضوا بغير الطريق المستضيء بالدّم طريقًا للحرية والاستقلال.

بطاقة عسكرية تعريفية بالرفيق الشهيد «إضاء محمد السبعين / جيفارا»:

- وُلِد الرفيق الشهيد عام 1996 في مخيم نهر البارد، حيث تربى على مبادئ النضال والثورة، وتعود جذوره إلى عرب الزبيد في فلسطين المحتلة.
- التحق في صفوف الجبهة وجناحها المقاتل صغيراً، مؤمناً بالكفاح المسلح سبيلاً للتحرير والعودة.
- انضم إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في سن مبكر، وكان من أوائل الملتحقين بكتائب الشهيد أبو علي مصطفى.
- تميز شهيدنا البطل بالشجاعة والمبادرة وتعلقه الشديد بفلسطين والبندقية وحلمه بالعودة لأراضينا المحتلة وتحريرها من الصهاينة المغتصبين.
- استشهد على أرض الجنوب اللبناني خلال تصديه للعدوان الصهيوني على لبنان.

عهدنا ثأراً أبديًا لا يزول
المجد للشهداء والحرية للأسرى والشفاء للجرحى
وغدًا سينحسر الضباب عن التلال .. وإننا حتمًا لمنتصرون

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
29 يناير / كانون الثاني 2025

التطورات الإقليمية وانعكاساتها على الأنظمة الخليجية

مسعود أحمد ـ صحفي وكاتب سياسي ـ عُمان

لا شك بأن التطورات الإقليمية ستلقي بظلالها على المنطقة العربية كلها من المحيط إلى الخليج، وقد تحدد وجهتها المقبلة باتجاهات معادية لطموحات جماهيرها في الحرية والديموقراطية والتقدم الاجتماعي، وأن تداعياتها لن تبقى محصورة في رقعة جغرافية محددة. حيث إن المشروع الإمبريالي الأكبر وملحقاته الإقليمية قائم بالأساس على إستراتيجية تتخطى في مضمونها الساحات العربية الملتهبة حالياً، لجهة تركيع الأمة العربية وفرض السيطرة المطلقة على مقدراتها الوطنية وإعادة رسم خارطتها السياسية والاجتماعية على أسس تؤمن وجودها أطول مدة ممكنة.

وانطلاقاً من هذه القاعدة فإنه لن يشفع للذين اندفعوا في تنفيذ مخططاته في مرحلة من المراحل مهما كان حجم الخدمات التي قدموها، ومن المعروف والمعلن والملموس بأن بعض الأنظمة الخليجية كانت في طليعة القوى الإقليمية التي ساهمت في تنفيذ هذه الإستراتيجية المرسومة من قبل الدوائر الاستخباراتية الغربية والصهيونية، ولم يكن مستغرباً أو مستبعداً كل تلك الحيوية السياسية والإعلامية والزج بكل تلك الطاقات والإمكانات اللوجستية والمالية والروحية في تنشيط العصبيات والنعرات العرقية والمذهبية والطائفية المقيتة، هذا المخطط الجهنمي هو من صنع الإمبريالية الكولونيالية، بيد أنها عاجزة عن تحقيقه بتلك البساطة دون ظهير محلي يدعمه بشكل قسري في تفاصيل الحياة الشخصية ومفرداتها اليومية، بحيث تتحول إلى ممارسة حياتية اعتيادية يراد لها أن تكون طبيعية من حيث المظهر والسلوك والخطاب الإعلامي والثقافي، بحيث تغيب الوجود الاستعماري وكافة أشكال الاضطهاد والاستغلال والاستعباد والقهر الطبقي والقومي، ولعل الانزلاق نحو هذا المنحى هو أخطر ما واجهته الأمة العربية في تاريخها الطويل بل وأصعب بآلاف المرات من التجزئة والاحتلال العسكري والتبعية الاقتصادية والسياسية التي كانت ومازالت قائمة. غير أن الدور الخليجي الذي يراه البعض منسجماً مع الالتزام التاريخي بالإستراتيجية الأمريكية، لا يخلو من الحسابات والتقديرات الخاصة، أهمها تصدير أزماتها الداخلية وإبعاد شبح التغيير السياسي قدر الإمكان، ولا ريب بأن الارتدادات الناجمة عن التحولات الإقليمية وتفاعلاتها والتي كان لها دور بارز في تشكيل ملامحها السياسية الراهنة ستعكس نفسها - بخلاف توقعاتها - على دورها وفعاليتها وبما يقلل من أهميتها، حيث إن تدمير الأقطار العربية التي يمكن أن تقف في وجه الأطماع الإمبريالية الكولونيالية والصهيونية والإقليمية ذات النزعات التوسعية ليس مكسباً، بل هو أقصر الطرق إلى منابع الطاقة التي تستأثر بحصة كبيرة من عائداتها دون حسيب أو رقيب، وإن زوال الأسباب التي وضعتها من الناحية التاريخية في دائرة الاهتمام الإمبريالي والصهيوني ستضعف مكانتها الوظيفية، حيث إن القوى السياسية الجديدة وإن كانت تتقاطع معها في الخط السياسي العام لديها برامجها وأجندتها الخاصة وعندما تستقر أوضاعها الداخلية ستتطلع لأدوار محورية في عموم الإقليم ولن تبقى أداة بيد الأدوات، وبحكم جملة خصائص ذاتية وموضوعية ربما تكون قادرة على تسويق خدماتها للقوى الإمبريالية بشكل أفضل، سواء من حيث الاستعدادات أو الإمكانات لتعميق الشرخ النفسي الوطني والقومي، الذي هو كنه الإستراتيجية الإمبريالية والصهيونية، هذا لو فرضنا جدلاً بأن هذا السيناريو سيأخذ مجراه دون معوقات، الأمر الذي قد يفرض على القوى الإمبريالية المراجعة والتقييم ومجاراتها حتى تتمكن من تقليم عناصر وعوامل الصمود الفكري والسياسي والثقافي، ولا نقول اقتلاعها كما تحلم القوى الاستعمارية، لأن ذلك مستبعد نهائياً، وبمجرد ملامسة هذا البعد المفصلي المتجذر والمتأصل في عمق الذهنية الإمبريالية والصهيونية بالتأكيد سيعلي من شأنها، وبما أن شبكة التحالفات الإمبريالية والصهيونية الواسعة والمعقدة لا تعرف الثبات، فإنها لن تجد حاجة ماسة لمراعاتها بعد انتفاء الدواعي التي أملتها ظروف ومعطيات لم تعد موجودة. علاوة على ذلك فإن التعبئة والشحن المذهبي التي قطعت أشواطاً متقدمة في الأوساط الشعبية ستكون عملية ضبطها والسيطرة عليها مكلفة، وستشكل التحولات الإقليمية المستجدة بيئة حاضنة لمثل هذا التوجه العقائدي، وبما أن المسائل متداخلة وتأثيرها متبادل فإن الضخ المالي الهائل الذي قدم للجماعات المسلحة خلال العقدين الماضيين كان على حساب القضايا والمعضلات الاجتماعية الأساسية وقد ولدت بالفعل حالة احتقان لدى قطاعات اجتماعية عريضة أصبحت مضغوطة بالهموم المعيشية، ومن الطبيعي أن تتفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بشكل أكثر حدة من ذي قبل، ومن جانب ستخلق تربة خصبة تنهش الخلايا الأصولية بتلاوينها وصبغتها المذهبية المتشددة، ومن جانب آخر يمكن أن توفر الأرضية الموضوعية للنضالات الوطنية المطلبية والسياسية، وبطبيعة الحال فإن هشاشة تكوينها السياسي والاقتصادي من المرجح أن تجعل منها الحلقة الأضعف في سلم التحالفات الإمبريالية والصهيونية والرجعية، وبحسب المؤشرات الأولية وبعيداً عن التباهي والإنشراح والحبور ووفقاً لمعادلات الربح والخسارة ومعاييرها يمكن إدراجها وإن بدرجات متفاوتة في عداد الخاسرين، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ستتمكن الجماهير الشعبية الخليجية من استثمار مأزقها التاريخي؟ هذا ما ستجيب عليه الأيام القادمة.

الاستنارة والتجديد في الفكر العربي المعاصر

د. سامي الشيخ محمد ـ باحث وأكاديمي من سورية

إذا كانت العقلانيّة والحداثة والتنوير أبرز ثمار المجتمعات الرأسمالية الأوروبية الحديثة، الّتي جاءت على أنقاض المجتمعات الأوروبية التقليدية بما فيها المجتمعات الّتي شهدت ولادة حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، فإنّ بروز تيارات فكريّة عقلانية وحداثية عربيّة معاصرة اتسمت بالاستنارة والتجديد، جاءت على أنقاض فكر حركة الإصلاح الديني الإسلامي وتعدّ ثمرة من ثمار ولادة البرجوازية الوطنية في حقبة الاستعمار الأوروبي المعاصر للمنطقة العربية، بمعنى أنَّ الحقبة الإقطاعية في المجتمعات الأوروبية الوسيطة، وفي المنطقة العربيّة على الرَغم من خصوصيّة كل منها قد أنتجت في مراحلها الأخيرة فكراً إصلاحياً دينيّاً مسيحياً في الغرب، وإسلامياً في الشرق، في حين أنتجت الحقبة الرأسمالية في الغرب الحديث، وفي الشرق المعاصر، فكراً عقلانياً مستنيراً وحداثياً، آخذين بنظر الاعتبار الفوارق القائمة بين المجتمعات الرأسمالية في الغرب، والمجتمعات البرجوازية في المنطقة العربية، وطبيعة العلاقة بين البرجوازية العربية، والرأسمالية الغربية .

على أية حال فقد شهدت المنطقة العربية عامّة، ومصر خاصّة ولادة تيارات فكرية وسياسية اتخذت من الاستنارة والتجديد سبيلاً لها في دعوتها النهضوية المعاصرة متجاوزةً في ذلك دعوات زعماء الإصلاح الديني الإسلامي في العصر الحديث، من هنا سنتناول حركة الاستنارة والتجديد عند أبرز المفكرين والتيارات الثقافية في «مصر» المعاصرة بوصفها أنموذجاً لحركة الاستنارة والتجديد في المنطقة العربية.

لقد شكّل كتاب» الإسلام وأصول الحكم» 1925 للشيخ علي عبد الرّازق منعطفاً هاماً في تاريخ تطور الفكر الإسلامي المعاصر، ذلك أنّه أوّل من قدّم تفسيراً واضحاً للتمييز بين الجانبين الروحي والزمني ليس في مصر فحسب وإنّما في الشّرق العربي أيضاً. إذ شكّل صفعة قويّة لصورة القضاء ومؤسساته الدستورية الزائفة، ولم يكن موضوع إثارة بعض المسائل الدستوريّة والسياسية وما يتصل منها بمسألة الخلافة هو الغرض الأساسي من وراء الكتاب، فقد كان يهدف أساساً إلى فصل الجانب الروحي عن الجانب الزمني في الإسلام، الرفع من شأن الجانب الأول وتنزيهه عن شروط الصيرورة والتحوّل الّتي لا بدَّ أن يخضع لها الجانب الثّاني، ذلك أنَّ الأوّل متّصل بالرؤية البشريّة لمجتمع صالح تتغير فيه الأحكام بتغيّر الأزمان، ويتوزّع فيه النّاس بالوسائل البشريّة للتشريع. (أنظر د. فخري، ماجد، دراسات في الفكر العربي، دار النهار، بيروت 1982)، فجاء كتاب «الإسلام وأصول الحكم» ليشكّل جهداً سياسياً في معركة سياسية حامية، بل وضارية، وقائمة على قدم وساق، فكان تحدياً لعرش وملك بكلّ ما ورائهما من قوّة وإمكانيات، كما يجمع على ذلك معظم المفكرين والباحثين وآية ذلك الأفكار الّتي انطوى عليها الكتاب: « أشهد أن لا إله إلاَّ الله، ولا أعبد إلاَّ إيّاه ، ولا أخشى أحداً سواه، له القوّة والعزّة، وما سواه ضعيف وذليل». (الإسلام وأصول الحكم، ص5).

لقد شكّل علي عبد الرازق، بداية مرحلة جديدة من التفكير في حياة مصر، فتجاوز فكر زعماء حركة الإصلاح الديني الإسلامي بمواقفه الاجتماعية والسياسية، بخاصّة في تحديده لعلاقة الحاكم بالمحكوم، ونفيه لأي شكل من أشكال الحكم الملكي المطلق، فكانت آخر صيحة في الإصلاح الديني الإسلامي هي صيحة علي عبد الرازق في «الإسلام وأصول الحكم»، إنّها ذروة ما وصل إليه الإصلاح الديني من عقلانيّة في علاقته بمسألة السّلطة. (للمزيد أنظر، د. برقاوي، أحمد، محاولة في قراءة عصر النهضة).

فالوعي الّذي تمتع به علي عبد الرازق، شكّل تقدماً ملموساً، وتجاوزاً ظاهراً للواقع الاجتماعي والسياسي السائد في عصره بكل جوانبه، فقد اتخذت مسألة الديمقراطية وضعاً جديداً في عصر ليس له طاقة على احتمال حرية الفكر والتفكير، في عصر غارق في سبات من الجمود الفكري وهيمنة المظاهر الكاذبة باسم الدين الإسلامي وشعائره، ناهيك عن الموقف النقدي من مسألة الخلافة، فهو يرى أنّه مادامت القوّة هي الأساس الّذي ارتكزت عليه الخلافة فكيف يقال إنّها تقوم على مبدأ الإقناع والشّورى وأنّها تتصف بصفة دينيّة أو إلهيّة... لأنَّ تاريخ الخلافة يثبت بما لا يدع مجالاً للشّك أنَّ الخلفاء منذ علي بن أبي طالب إنّما اعتلوا سدّة الخلافة بالسّيف في وجه مقاومة العناصر المختلفة. (أنظر، دراسات في الفكر العربي، ص 281 (

أمّا طه حسين بوصفه أديباً ومفكّراً مجدّداً، اتّخذ من العقل وسيلة في محاكمته لكافة الأمور والظّواهر، فأيقن بأنَّ السّبيل الوحيد للخروج بالأمّة من مستنقع الجهل والتّخلّف هو تنوير العقول ونشر العلم والتّعليم، فتقدم الأمم يقاس بمقدار تطور وانتشار المعارف والعلوم الإنسانيّة فيها، وأهميّة التعلّم والعلم تكمن في كونهما أساسين ضروريّين

لتمكين الشعب من ممارسة الحرية والديمقراطيّة بصورة حضاريّة راقية .

من هنا نظر العديد من الأدباء والمفكرين العرب إلى طه حسين بوصفه رائداً للتنوير في الأدب العربي، إذ يربط بوضوح بين مطلبي الحرية والديمقراطية من جهة، والتعليم من جهة أخرى، الأمر الّذي يدعو إلى ضرورة أن يتعلّم الشّعب إلى أقصى حدود التّعلّم، ففي ذلك وحده الوسيلة إلى أن يعرف الشّعب مواضع الظّلم، وإلى أن يحاسب هؤلاء الّذين يظلمونه، ويذلّونه، ويستأثرون بثمرات عمله .

أمّا مادّة التّعليم فينبغي أن تخدم رقي العقل وصقل الوجدان، والإيمان بالحرّيّة والديمقراطيّة، والعمل على تحقيق الآمال الوطنيّة، واللافت أنَّ طه حسين قد جهر بالقول: إنَّ الثّقافة لا تزدهر في ظلّ الاستبداد الاجتماعي والسياسي، ولا تحيا إلاَّ في جوٍّ من الحرّيّة الاجتماعيّة والسياسية، ولهذا كانت مشاركته في العمل الشّاق في أرض يتخوّفها الكثيرون من المستطيعين بأنفسهم، غير المحتاجين إلى المعونة الماديّة في حياتهم. (أنظر، القلماوي، سهير، مجلة الكاتب، العدد 168، القاهرة) .

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الحياة الفكريّة في عصر حكم البرجوازيّة المصريّة أخذت تتّجه نحو النّماء والتّطوير مع مجيء طه حسين إلى ميدان الحياة الفكريّة، إذ أصبح للعقل مكانة مرموقة قياساً بعهود سابقة، وبدلاً من أن تتوجّه جهود المفكرين المعاصرين إلى إصلاح الدّين ممّا ألمَّ به من بدع وشوائب، فقد انصبّت على إصلاح العقل والارتكان إليه في تسيير أمور الحياة، بمعنى بعد أن كان الدّين إمام المفكّرين الإسلاميين كما هو الحال عند زعماء الإصلاح الدّيني الإسلامي ومن سبقهم، فقد أصبح العقل إمام الفلاسفة والمفكّرين المعاصرين من دعاة الليبراليّة، وهو ما يؤكّده (عثمان أمين) بقوله: «الإمامة إذن هي إمامة العقل عند أصحاب التنوير كما هي في فكر طه حسين» (د. أمين، عثمان، المرجع نفسه، ص 24. (

أمّا النّزعة العقليّة فأكثر ما تجلّت في كتابه الشّهير «في الشّعر الجاهلي» عام 1926، الّذي أثار ضجّة كبيرة حول ما جاء فيه من آراء في تقييم أدبنا القديم، وممّا لا شكّ فيه أيضاً أنَّ الاتّجاهات الليبراليّة في الفكر المعاصر جاءت متأثّرة إلى حدٍّ كبير بليبراليّة الغرب عن طريق الاتّصال الثّقافي بين الشّرق والغرب، فقد أخذت الآراء والأفكار الليبراليّة ترسم اتّجاهاتها في حياة مصر الثقافية المعاصرة، حتّى أنَّ رسالة الدكتوراه الّتي تقدّم بها طه حسين 1914 جاءت في الأدب العربي تحمل طابع الثّورة على المقاييس العربيّة القديمة في نقد الأدب، ولا ننسى أثر سفره إلى فرنسا وإعجابه بالآداب الفرنسيّة، وتعرّفه على مناهج النّقد الأوروبي في ذلك، إذ أصبح يعدّ أكبر الأكاديميين القاهريين تأثيراً في مناهج دراسة الأدب العربي _من وجهة نظر بعض الدارسين .(أنظر، أحمد، خلف الله، أثر القاهرة في نهضة اللغة العربية وآدابها في القرن العشرين، الفكر المعاصر، العدد51، القاهرة، 1969(.

من ناحية أخرى فقد دعا طه حسين بوصفه أنموذجاً للمفكر العقلاني، إلى الأخذ بأسباب الثّقافة الغربيّة، وما تقوم عليه من أسس إغريقية، وتطبيق أساليب النّقد التّاريخي على النّصوص القرآنيّة على النّحو الّذي فعله في كتاب «في الشّعر الجاهلي». (للمزيد، أنظر، د. فخري، ماجد، دراسات في الفكر العربي).

لقد عبَّرت الاتّجاهات الليبرالية عن نفسها في الفكر والأدب العربي المعاصر عن نفسها أوضح تعبير منذ أوائل القرن العشرين على أيدي مفكرين كبار، كـ «لطفي السيد» و«سلامة موسى» و«علي عبد الرّازق» و«طه حسين» وغيرهم، وكنتيجة طبيعيّة لسيادة الاتجاهات الليبراليّة في الفكر، تعددت مصادر الفكر وسادت الانتقائية، بحيث يعسر على الباحث أن يلحظ خطاً مميّزاً للفكر المصري المعاصر يميّزه عن غيره من الثّقافات الأخرى، ففي الوقت الّذي أسفر فيه المنهج الليبرالي عن تحقيق فرصة طيبة في حقل تطوّر الآداب والعلوم وتقدّمها، إلاّ أنّه كشف عن قصوره في جوانب معيّنة، ذلك أنَّ الليبراليّة تعلّم النّاس كيف يتحررون، ولكن لا تعلمهم ماذا يفعلون بالحريّة. (أنظر، معلوم، حسين، قراءات في نقد الفكر الوحدوي، الليبرالية والطريق إلى الوحدة العربية، مجلة الفكر العربي، العدد56، بيروت، 1989)

لذا شكّلت الانتقائية والنّصيّة علامة مميّزة للاتجاه الليبرالي المعاصر. أمّا بالنسبة إلى الاتجاه الديني، فقد اتّخذ شكلاً جديداً منذ أوائل القرن العشرين حتّى منتصفه، إذ برزت اتجاهات جديدة للفكر الديني، جاءت على أعقاب فكر حركة الإصلاح الديني الإسلامي الحديث، ترى أنَّ حضارة الشعوب المتمدنة لم تفلح في تقدّمها بالاعتماد على إصلاح الدين وحده، بل بالاعتماد على نور العقل وتقدّم المعارف والعلوم، غير أنَّ الشّرق المتخلّف يطمح في التقدّم، ومجاراة الحضارات المتقدّمة في العالم، في الوقت الّذي تسيطر فيه شعائر الدين الإسلامي ومناهجه على أوسع ثقافة شعوبه وأدمغة مفكريه، فكان من الضروري للمثقّف العربي المسلم تطوير فكره الديني وإلباسه ثوباً جديداً يتلاءم وروح العصر وثقافته، فبرزت حركة تنويريّة يقف على رأسها عدد من المفكرين المعاصرين: طه حسين، وعباس محمود العقّاد، وتوفيق الحكيم، وعلي عبد الرازق، وغيرهم، هذه الحركة التنويرية في الفكر الإسلامي المعاصر تدعو إلى الأخذ بأسباب العلم، والاعتماد على العقل في التفسير والتأويل بما يحفظ أصالة

الموروث الثقافي، وتقويمه، وتطعيمه بمنجزات العصر، فنشأت مدرسة يحاول أصحابها أن يجدوا موقفاً وسطاً يجمع بين الطرفين، كما حاولوا المزج بين موضوعات القديم وموضوعات الجديد، ومثّلت هذه المدرسة الغالبية العظمى من المثقّفين _كما يرى البعض_. (أنظر، علي، محمد أحمد إسماعيل، المثقّف العربي بين التعريب والأصالة، مجلّة الوحدة، العدد40، الرباط، 1988).

من ناحية أخرى أصبح الشكل الجديد للفكر الديني يتمثّل في انتهاج أسلوب التفكير العقلي للدّين، بعد أن حُسِمَت مسألة العلاقة بين الفكر والدّين، فتجلّت النزعة العقليّة في الفكر الديني الإسلامي بصورة واضحة، وكان من ذلك أن فُتِحَ باب الاستنارة على ثقافة الغرب وآدابه وعلومه، فجاءت مؤلّفات العقّاد، وتوفيق الحكيم، والشيخ علي عبد الرّازق، وطه حسين، وغيرهم من المفكرين الإسلاميين لتشكّل نمطاً جديداً ومتطوّراً للفكر الديني المعاصر، حيث مُدَّت الجسور بين المعرفة العقلية وتعاليم الدّين الإسلامي، فأصبح الفكر الدّيني الإسلامي المعاصر عقلاني النّزعة، يقول العقّاد بهذا الخصوص إنّه: «مع إسلام _ لا يضيق بالفلسفة _ لأنّها تفكير في حقائق الأشياء، لأنَّ التفكير في السماوات والأرض من فرائضه المتواترة». (العقّاد، عباس محمود، التفكير فريضة إسلاميّة، ص73 (

فنجم عن ذلك أن استحال الشّكل الأصولي النّصي للفكر، إلى أشكال عقلانيّة ذلك أنَّ لغة الدّين حتّى تكون مقبولة في زمن انتصار العقل، لا بدّ أن تتجه لمخاطبة العقل، والأخذ بأسباب العلم لتكتب لها الحياة والنّجاح، فكان أن حدثت ازدواجيّة ثقافيّة بين الإسلامي والعلماني، بين الفكرين الشرقي والغربي، فالعلمانيّة هي الثّقافة الأساسيّة للسّلطة وأجهزتها التربويّة والإعلاميّة، والشرقيّة والإسلاميّة هي ثقافة الأغلبية الساحقة من جهة أخرى، فالتقاليد الشرقيّة والمعتقدات الإسلاميّة مازالت قويّة راسخة الجذور لدى الغالبية من المثقّفين بمن فيهم الّذين تغرّبوا وتعلمنوا. (أنظر، سعد، أحمد صادق، أشكال التوصيف الاجتماعي للمثقّف المصري، مجلة الوحدة، العدد40، الرباط، 1988)

على أية حال فقد شهدت المرحلة المعاصرة من تاريخ مصر، اشتداد بروز التيّار التحرري الإسلامي، وبدء تبلور معالم أيديولوجية قوميّة عربيّة، فكان من سمات مرحلة ما بين نهايتي الحربين العالميتين الأولى والثانية أن ازدادت فيها حركة القوميّة العربية تماسكاً وتفتّحاً ونضوجاً، حتّى أنّها تركت آثارها في كافّة أنحاء البلاد العربية، لا في المشرق العربي فحسب. فبدت بوصفها التيّار الفكري والسياسي الأقوى من بين التيّارات السّائدة، والحركة المنسجمة مع تطلعات الجماهير وآمالها، ولكن هذا لا يعني انعدام أثر التيارات السياسية الأخرى، كالتيار القومي المحلّي، والتيّار الإسلامي، والتيّار العلماني اليساري، بل إنَّ بعض هذه التيّارات قد اشتدَّ عوده ولا سيّما التيّار الأخير (للمزيد أنظر، صبّاغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر).

نعم لقد اشتدّ التيار العلماني في الفكر المصري المعاصر، وأصبح الشّكل الجديد المتطور للفكر الاجتماعي والسياسي، وكانت بداية نشوء هذا التيار على أيدي مفكرين عرب كبار، كشبلي الشميّل، وفرنسيس مراش، وغيرهم، غير أنَّ الشكل الجديد للفكر الإسلامي، اتّخذ منحىً تقدمياً عصرياً، فصار أقلَّ تشدّداً عمّا كان عليه في مراحله السابقة إزاء أهم القضايا، الأصالة والمعاصرة، العلم والديمقراطية، الموقف من المدنية الغربية، وصار ينظر إلى العلاقة بين الدين والعلم، وبين الغرب والشرق، على أنّها علاقة تفاعل، وتمازج ثقافي حضاري، لم تكن تستساغ في عهود سابقة على النحو الّذي آلت إليه راهناً، تجلّى ذلك بوضوح في فكر العقّاد رائد الفكر الإسلامي المعاصر، وفي فكر غيره من المفكّرين الإسلاميين.

لقد لعبت مرحلة حكم البرجوازيّة المصرية، دوراً مؤثّراً في تطور وازدهار الفكر العربي المصري المعاصر، حيث تحرّرت الثّقافة نسبياً من القيود الّتي فرضتها عهود الاحتلال الأجنبي على مصر، فبذرت بذور الثّقافة التحررية الليبرالية المعاصرة من خلال التبعية للغرب، الأمر الّذي أسهم في نشرها وفي النّهضة الفكريّة الشّاملة، فقد جرى استيعاب تام للتراث الفكري الإسلامي في أصوله الأولى، وحركيّة هذا الفكر في عدّة مراحل تطوّريّة. بالمقابل شكّلت حركة الاتّجاهات التحديثيّة في الفكر العربي المصري المعاصر، خصوصاً الاتّجاهات الليبراليّة، أحمد لطفي السيد، سلامة موسى...إلخ خطّاً مقابلاً لخط الفكر الإسلامي التجديدي التقدّمي، علماً بأنَّ الأفكار الليبرالية عند مؤسسيها عقيدة وفلسفة، وحركة تلتزم الحرّية، ولقد ارتبطت نشأتها كما تكوّنت أيديولوجيتها خلال الصّراع الحاد بين الطبقة البرجوازيّة النّاشئة آنذاك، وخصوصاً البرجوازية التجارية، وبين الطّبقة الإقطاعيّة في أوروبّا الّتي كانت مسيطرة على المجتمع الإقطاعي بكلّ مؤسساته، الأمر الّذي ساعد على التقدّم العلمي والإعلاء من قيمة الإنسان الفرد. (للمزيد، أنظر، د. منسي، صلاح الدين، الفكر الليبرالي في السبعينات «نموذج مصر»، مجلّة الوحدة، العدد 46،47، الرباط، 1988).

وصفوة القول إنَّ حركة الاستنارة والتجديد جاءت بوصفها ثمرة للتطور الاقتصادي والاجتماعي وبروز البرجوازية الوطنية على مسرح السياسة من ناحية، والانفتاح على الغرب الحداثي وعلومه سواء بواسطة الاتصال الثقافي به عبر البعثات العلمية أو من خلال الاستعمار المباشر وفرض أنماط الثقافة الغربية السائدة من ناحية أخرى.

إيران والتموضع الجديد بعد سقوط الأسد

حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي فلسطيني ـ لبنان

في سياق المشهد الجيوسيسي المعقد في المنطقة، تبرز الكثير من الفرص والتحديات للدول الإقليمية الكبرى في المنطقة، وفي مقدمتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تعمل دبلوماسيتها على تحقيق التوازن ما بين المصالح الإستراتيجية والحفاظ على استقرار المنطقة التي تشهد اليوم الكثير من المتغيرات بعد معركة طوفان الأقصى والعدوان على لبنان وسقوط نظام بشار الأسد في سورية.

وتضع هذه المتغيرات المنطقة بشكل عام على أعتاب تحولات جذرية سوف تدفع إيران إلى إعادة النظر والتقييم للتموضعات الجديدة في المنطقة انطلاقاً من ثوابتها ومنطلقاتها واستمرارها بالتصدي للمشاريع والأطماع الأمريكية الإسرائيلية التي تستهدف المنطقة تحت عنوان الشرق الأوسط الجديد الذي تواجهه إيران عبر التمسك بدورها التاريخي المميز والمستند إلى مبادئ وأفكار وقيم وتوجهات سياسية جديدة تعمل من خلالها على تحقيق الأمن الجماعي وإقامة أفضل العلاقات مع الدول العربية وتركيا بما يخدم ويساهم في استقرار المنطقة وأمنها مع تعاون وثيق على المستوى الدولي مع كل من روسيا والصين.

وفي ظل التغيرات والتموضعات الجديدة تسعى إيران أيضاً إلى تكثيف وتعزيز حضورها وتموضعها على الصعيد الإقليمي والدولي برؤية دبلوماسية بعيدة المدى مستفيدة من مكانتها السياسية والإستراتيجية التي لا يمكن تجاهلها في المنطقة أو عزل تأثيرها بالمتغيرات والتحولات السياسية والأمنية.

وبما أن التموضعات الجديدة لا تغير من الأهمية الإستراتيجية لدور إيران خاصة في ثلاثة عناوين رئيسة هي:

1- مواجهة مشاريع الهيمنة والسيطرة الأمريكية والإسرائيلية.

2- تفعيل وتعزيز التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي بين دول وشعوب المنطقة.

3- دعم الشعب الفلسطيني ومقاومته وقضيته العادلة وحقوقه المشروعة.

ويتوقع أن تعمل إيران في ظل التموضعات والمتغيرات الجديدة على عودة العلاقات مع مصر كونها أكبر دولة عربية وأن تتعاون لاحقاً مع النظام الجديد في سورية وسط تقديرات تشير إلى أن سورية لن تكون إلا مع المقاومة وفلسطين في مواجهة الأطماع والتهديدات الإسرائيلية ويتوقع أيضاً أن تعمل إيران أيضاً على تعزيز علاقاتها مع جميع الدول العربية دون استثناء، وتطوير العلاقات الاقتصادية عبر التعاون المباشر وعبر التعاون الإقليمي من خلال منظمة (بريكس) ومنظمة التجارة في شنغهاي.

كما يمكن أن تقوم إيران في إطار إعادة التموضع السياسي على إطلاق حوارات ثنائية ومتعددة الأطراف بهدف إيجاد مساحة جديدة على المستوى الإقليمي مع إعطاء أولوية إيجابية للعلاقة مع تركيا والسعودية ومصر.

ولا تنظر إيران التي تتقدم إستراتيجياً وسط بعض التراجعات التكتيكية إلى سقوط نظام الأسد أنه انتكاسة لها ولدورها في المنطقة بل مناسبة لفهم التحديات والتعاون على المستوى الإقليمي لمواجهة كافة التحديات بتفاهمات مع كل الأطراف المعنية لتعزيز الأمن والاستقرار خاصة بعد وقف العدوان على لبنان وحرب الإبادة على قطاع غزة حيث لإيران دور كبير وأساسي في دعم المقاومة وإفشال أهداف الحرب والعدوان وانتصار إرادة الصمود والمقاومة في مواجهة الاحتلال الذي يحاول التغطية على هزيمته بخرق اتفاقيات الهدنة ووقف إطلاق النار واحتلال مناطق إستراتيجية في سورية بعد سقوط الأسد، وهذا ما يعزز قناعة إيران باستمرار دعم قوى المقاومة وإعادة تقييم إستراتيجيتها وتموضعها في مواجهة كيان الاحتلال الإسرائيلي الذي يستهدف فلسطين والمنطقة دون استثناء .

وأمام تصاعد المخاطر والاستهدافات تقف المنطقة عموماً على مفترق مصيري وتاريخي وسط متغيرات وتحديات تفرض إعادة تموضع جديد أساسه الحفاظ على الوجود وتمكين قوى المقاومة ومواجهة الضغوط الخارجية بروح وحدوية ثورية عالية، وانتهاج سياسة عدم الانحياز، مع بناء شراكات إستراتيجية على المستوى الإقليمي والدولي بما لا يتعارض مع مبدأ احترام سيادة واستقلال الدول،

وتأكيد إيران على حضورها كقوة مستقلة في منطقة غرب آسيا وتبنيها لسياسة لا شرقية ولا غربية انطلاقاً من الثبات على مسألة الاستقلال الإستراتيجي وعدم الانحياز في تنظيم العلاقات مع الدول الكبرى والسعي لتوقيع اتفاقيات إستراتيجية وحل القضايا والمشاكل والملفات الاساسية عبر المفاوضات، خاصة الملف النووي الإيراني دون التفاوض حول ملفات أساسية ومنها على سبيل المثال مسألة الصواريخ الباليستية كونها جزءاً أساسياً من قوة الردع الإيرانية والتفاوض بشأنها لا يخدم سوى أعداء إيران التي لم ولن تقبل التفاوض حول هذه المسألة المتعلقة بقدراتها العسكرية مع أحد، وهذه المواقف الثابتة تعطي إيران المساحة اللازمة لتطوير قدراتها في مواجهة الضغوط الخارجية والعقوبات التي أثبتت إيران بمواجهتها قدرة كبيرة على التحمل تصل إلى حد المنعة التي لا تقهر.

وأظهرت إيران في سياق المواجهة المستمرة وإعادة التموضع الجديد بأنها تفضل تطوير علاقاتها مع الشرق بدلاً عن الغرب، ومع الدول المجاورة بدل الدول البعيدة والتركيز على الرغبة المشتركة بينها وبين دول وشعوب المنطقة في رفض الهيمنة الأمريكية والاحتلال الإسرائيلي، وهذه الرغبة المشتركة سوف تساهم في تحديد شكل وطبيعة التموضع الجديد مع الإصرار على الدفاع عن الخط المقاوم وهذا أقل تقدير بعدما حصل من تحول إستراتيجي بعد سقوط نظام الأسد، وهذا يستدعي تقييماً دقيقاً للتوجهات الجديدة التي قد تتبناها كل من إيران وتركيا ومصر والسعودية، وهذه التوجهات يمكن أن تؤدي إلى إعادة ترتيب التحالفات سياسياً وأمنياً واقتصادياً وكذلك إعادة تشكيل التوازنات في المنطقة وفق رؤية مشتركة تغلب مساحات الاتفاق على مساحات الخلاف تجاه كافة التحديات الإقليمية والدولية المتصاعدة.

ترامب والسنوات العجاف في الشرق الأوسط

رضي الموسوي ـ كاتب وإعلامي من البحرين

«لطالما دفع الفلسطينيون في غزة وما وراءها ثمن هذا الاستثناء بحياتهم.. وأن الأمريكيين يدفعون الثمن أيضاً.. وقد يكلف الأمريكيين حريتهم».

(الكاتب في صحيفة «نيويورك تايمز» بيتر بينارت)

لكن الرئيس الأمريكي المنتخب ليس في هذا الوارد. لقد رتب إدارته القادمة على مقاس الشعارات التي رفعها في دورته الأولى، وبعد فوزه واستعداده للعودة إلى البيت الأبيض في يناير/ كانون الثاني محاطاً بفريق عمل أكثر صهيونية من أي إدارة سابقة، رغم أن الدولة العميقة هي التي تحدد علاقاتها الخارجية بناء على مصلحتها بغض النظر عن «طحشات» الرئيس أو هفواته. فالولايات المتحدة تحكمها مؤسسات وليس أفراداً على طريقة العالم الثالث.

صحيح أن دونالد ترامب شعبوي وجيّش أنصاره على إعادة الوهج إلى «أمريكا العظيمة» بعد أن هزم الهرِم جو بايدن الذي وضع «بيضه» كله في سلة الأكثر إجراماً وتوحشاً بنيامين نتنياهو وعصابته وقدم دعمه المطلق وفتح له مخازن السلاح وزاد عليها بعد خطاب الأخير في الكونغرس ودعا إدارة البيت الأبيض لإرسال المزيد من أسلحة التدمير والقنابل الخارقة بسرعة لكي ينجز المهمة المتمثلة في مضاعفة حرب الإبادة الجماعية في غزة ثم لبنان بجريمة «البيجر» واغتيال أغلب قادة الصف الأول في حزب الله وفي مقدمهم أمينه العام السيد حسن نصر الله، لكن الصحيح أيضاً أن المعادلة ليست من طرف واحد، حيث تنتصب المقاومة في غزة لتسجل نصراً مبيناً على الكيان بإفشال أهداف الفاشية العنصرية الصهيونية، وتحقق اتفاقاً لوقف إطلاق النار وصفه العدو بأنه «عالي الكلفة». وفي لبنان كانت المقاومة ورغم جراحها الكبيرة إلا أنها تمكنت من فرض وقف لإطلاق النار وقطع الطريق على المشروع الصهيوني الذي يهدف لاحتلال المزيد من أراضي الجنوب اللبناني حتى نهر الليطاني.

كأن إدارة الرئيس الامريكي السابق جو بايدن أرادت السبق فقدمت كل شيء للكيان في حرب الإبادة الجماعية ومنها مساعدات تزيد على22 مليار دولار من أكتوبر/ تشرين الأول 2023 حتى نهاية ديسمبر/ كانون الأول 2024، فضلاً عن الدعم اللوجستي وتحريك القطع الحربية في البحار صوب شواطئ فلسطين، وركزت أقمار تجسسها على المناطق المستهدفة في الإبادة الجماعية.

لكن الصحيح أيضاً أن دونالد ترامب القادم بقوة للبيت الأبيض يعبر عن حالة الانكسار في الحزب الديمقراطي المنافس كنتيجة منطقية للتحول الذي اعتمل في الشارع الشبابي الأمريكي بشكل رئيسي وقاد، بسبب الوقوف الأعمى للإدارة الأمريكية السابقة مع حرب الإبادة الجماعية على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية. يؤكد ذلك ما أشارت له الإحصائيات بأن هناك تحولاً صادماً، ليس بين الشباب الأمريكي فحسب، بل في صفوف المراهقين من اليهود الأمريكان والتي بينت أن 42 بالمئة منهم يعتقدون أن «إسرائيل» ترتكب إبادة جماعية في غزة، وأن 37 بالمئة يتعاطفون مع حركة حماس، وأن 60 بالمئة من الشباب الأمريكيين يرون أن هجوم 7 أكتوبر كان مبرراً، وأن 50 بالمئة منهم عبروا عن تأييدهم للمقاومة، وأن 51 بالمئة يفضلون حل الدولة الواحدة، أي إنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية.

لم تلتفت إلى هذه الأرقام والإحصائيات، لا الإدارة الأمريكية السابقة، ولا تفعل ذلك الإدارة الحالية بقيادة دونالد ترامب التي تتشكل من عتاة اليمين المتصهين، ولا تأخذها على محمل الجد، بل أن الدولة الأمريكية العميقة ترسم وتخطط وتنفذ سياساتها بناء على مصالحها. لكن اللافت هو تحول المزاج الشعبي في الولايات المتحدة وبدء تكسير أعمدة السردية الصهيونية حول عملية الصراع العربي الصهيوني، وبروز السردية العربية الفلسطينية لتبدأ في إزاحة التزييف والتزوير واحتلال نسبة مهمة من الحقيقة مكانها. ربما كان هذا التحول من الأسباب التي قادت إلى هزيمة مرشحة الحزب الديمقراطي بسبب مشاركة الإدارة السابقة في حرب الإبادة الجماعية التي بدأت في غزة وامتدت إلى جنوب لبنان والبقاع والضاحية الجنوبية لبيروت.. وإلى العاصمة اللبنانية نفسها.

في المشهد الظاهري العام تضغط إدارة جو بايدن على الكيان لتسريع إنهاء المهمة. وهذه يقصد بها إنجاز عملية التطهير العرقي والتشريد والتدمير المخطط لها في قطاع غزة واحتلال مساحات في الجنوب حتى شمال نهر الليطاني وبناء مستوطنات تشكل حاجزاً في وجه المقاومة التي أكدت جدارتها في صد العدوان الحالي.

عودة ترامب

ما يحدث منذ اليوم التالي للطوفان يعتبر، من وجهة النظر الصهيونية والأمريكية، مقدمات ضرورية لإعادة تشكيل المنطقة وفق المخططات التي تمت حياكتها في الغرف السوداء، بما فيها مواصلة دونالد ترامب ممارسة ضغوطاته على دول المنطقة غير المطبعة مع الكيان بعد، وفرض مواقف إدارته عليها باستخدام سياسة العصا والجزرة.

عاد دونالد ترامب إلى البيت الأبيض بقوة ومارس دوره كرئيس حتى قبل حلول العشرين من يناير/ كانون الثاني، موعد تنصيب الرئيس، ليتمتع بحق استخدام إزرار الأسلحة النووية واتخاذ القرارات الاقتصادية والسياسية، والعدوان على الدول الأخرى الخارجة عن الفلك الأمريكي. المنطقة العربية في عمق إستراتيجية الابتزاز التي ستمارسها الإدارة الجديدة وقد بدأتها، وخصوصاً الضغوطات على دول الخليج العربي وفي مقدمها السعودية التي طالبها ترامب في قمة دافوس يوم 23 يناير الماضي باستثمار تريليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية، وسيضغط على باقي دول مجلس التعاون الخليجي لتحول عائدات النفط وضخها في الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني من صعوبات تتعلق بالعجز الدائم في الميزانية العامة بما يتجاوز 6 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي، وتضخم الدين العام ليقترب بسرعة من 100 بالمئة من الحجم الاقتصادي.

قبل الانتخابات، أكد ترامب أنه إذا لم يفز فستحل الفوضى في أمريكا. الفوضى التي تجلت في هجوم أنصاره على مبنى الكابيتول عندما خسر في الانتخابات السابقة قبل أربع سنوات. وفي حملته الأخيرة قدم وعوداً وزعها على الداخل والخارج. ادّعى أنه سيوقف الحروب في الشرق الأوسط وأوكرانيا، لكنه لم يفصح كيف سيقوم بهذا الفعل المتناقض وطبيعة الولايات المتحدة التي قامت على الحروب منذ تأسيسها بإبادة السكان الأصليين، الهنود الحمر، مروراً بحروب الهند الصينية وخصوصاً فيتنام التي منيت فيها واشنطن بخسارة لا تزال تسجلها أفلام هوليود، مروراً بحربي الخليج وغزو العراق وأفغانستان والتورط في سورية واحتلال بعض من أراضيها وسرقة

ثروتها النفطية وتدمير زراعة القمح.

تصرف دونالد ترامب كطاغية عصره، بين 2016 إلى 2020، فنقل السفارة الأمريكية في الكيان من تل أبيب إلى القدس وأعلن أن القدس الموحدة هي عاصمة الدولة العبرية، في خطوة لم يجرأ عليها أي رئيس أمريكي قبله، علماً أن قرار النقل قد اتخذ منذ سنوات طويلة. كما منح هضبة الجولان السورية للكيان وكأنه يتصرف في عقار من عقاراته في أمريكا. وحاول تمرير صفقة القرن التي هندسها صهره كوشنر وكان هدفها تطهير الأرض الفلسطينية المتبقية والتوسع في بناء المستوطنات وإسقاط حق العودة وحصر اللاجئين في بضعة آلاف فلسطيني بدلاً من الملايين المنتشرة في دول الجوار والعالم. وفوق كل ذلك كان يهدد دول الخليج برفع الحماية عنها وإسقاط أنظمتها في أسبوعين إن لم تدفع أثمان الحماية، فحصد نصف تريليون دولار في أول زيارة له خارج الولايات المتحدة هي عبارة عن صفقات تجارية وأمنية وعسكرية، ودعا الكيان إلى ضرب المفاعل النووي الإيراني بعد هجوم إيران الصاروخي على الكيان. وعندما فاز أعلن أن المساحة الحالية للكيان الحالية لا تكفي لاستيعاب المستوطنين ودعا إلى ضم الضفة الغربية وقطاع غزة واحتلال أراض عربية أخرى في لبنان وسورية.. وفي مصر والأردن أيضاً.

المأساة والمهزلة

في روايته التاريخية الجميلة «نيرون طاغية روما»، كشف الكاتب الأمريكي جاكوب أبوت، ولخص حالة الطاغية التي تشبه حالة ترامب. يقول أبوت في مقطع من الرواية: «عندما يجد «زعيم الشعب» نفسه سيداً مطاعاً فإنه لا يجد غضاضة في سفك دماء أهله (قتل أمريكان في واقعة الكابيتول، وتقديمه وعود باحتمال العفو عن ألف شخص متهمين بالهجوم على المبنى إذا فاز في الانتخابات.. وقد فعل في سابقة لم يفعلها أسلافه)، فهو يسوقهم إلى المحاكمة بتهم باطلة، وهي طريقة مألوفة لدى هذه الفئة من البشر. إنه يحتقر القوانين المكتوبة وغير المكتوبة (أعلن ترامب أنه لن يعترف بنتائج الانتخابات إذا خسر)، ولما لم يكن شيء يقف في وجه الطاغية المستبد فإنه يصبح عبد الجنون أو ينقلب حكمه إلى كارثة، فهو يقتل المواطنين ظلماً وطغياناً، ويذوق بلسان وفم دنسين دماء أهله ويشردهم (طرد المهاجرين وبناء الحاجز على الحدود مع المكسيك)، وعندئذ يصبح هذا الرجل طاغية ويتحول إلى ذئب كما يصفه أفلاطون».

لم يتأخر ترامب عن إعلان دعمه للكيان حتى قبل انتخابه. فقد أخبر المتبرعين لحملته الانتخابية بأنه «سوف يقوم بسحق الاحتجاجات المؤيدة للفلسطينيين في الولايات المتحدة وترحيل المتظاهرين»، وفق صحيفة واشنطن بوست. بل تمادى وأعلن إنه «يؤيد حق «إسرائيل» في مواصلة هجومها على غزة»، حسب الصحيفة نفسها.

يتجه ترامب في ولايته الثانية إلى تكملة ما أنهى به عهده في دورته الأولى (2016-2020)، لجهة فرض التطبيع على المنطقة العربية، ويستهدف أولاً السعودية التي تشكل ثقلاً اقتصادياً وسياسياً ودينياً مؤثراً في المنطقة. ويرى الإعلام الصهيوني أن فوز ترامب فرصة جديدة لاستعادة وهج التطبيع مع السعودية وتطوير الاتفاقات الإبراهيمية التي أبرمت في 2020، وإعادة إنتاج صفقة القرن، وزيادة التشدد وفرض المزيد من العقوبات ضد إيران وحلفائها في المنطقة. وفي هذا الصدد لا يختلف الديمقراطيون عن الجمهوريين في مسألة التطبيع ودعم الكيان وتمكينه ليكون القوة العظمى في الشرق الأوسط، خصوصاً بعد أن فتحت واشنطن جبهتي روسيا والصين. ويربط البيت الأبيض مسألة توقيع اتفاقية أمنية دفاعية مع السعودية بشرط التطبيع مع الكيان، دون النظر إلى مطلب الرياض المعلن والمحدد في إقامة دولة فلسطينية على أراضي حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

ومع مجيء ترامب ثانية للبيت الأبيض، فإن الترحيب به من قبل قادة المنطقة، ليس بالضرورة تعبير عن سعادتهم بفوزه، بقدر ما هو مزيج من التوجس عما يفكر فيه في السنوات الأربع المقبلة والتي من المرجح أن تكون عجافاً على المنطقة العربية، حيث سيعمد ترامب إلى ابتزاز قادة المنطقة كما فعل في دورته الأولى وأكثر، وسيفرض تقديم أثمان باهظة مقابل ما يسميه سيد البيت الأبيض القديم الجديد بالحماية والحفاظ على العروش. وفي هذا التوجه خطر على ثروات المنطقة واستقرارها. فقد تسربت أنباء عن خطة واسعة النطاق بعد جلوس ترامب على كرسي الرئاسة مفادها الموافقة على تصاريح تصدير الغاز الطبيعي المسال وزيادة التنقيب عن النفط. هذا يرجح إغراق الأسواق العالمية والضرب في مقتل أسعار النفط والغاز التي تعتمد عليها الدول المصدرة لهاتين السلعتين المهمتين للاقتصاد العالمي، ومنها روسيا ودول الخليج العربي، وقد بدأ ذلك في منتدى دافوس.

قراءة في مشروع «الشرق الأوسط» مجدداً والأسباب الكامنة وراء تعثره

د. ماري ناصيف – الدبس
المنسقة السابقة للقاء اليساري العربي

إذا أردنا أن نفهم التطورات المتسارعة التي تلف العالم اليوم، وبالتحديد عالمنا العربي، لا بد لنا من العودة إلى الوراء، إلى ذلك اليوم المؤرّخ الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 الذي شكّل نقطة تحوّل جديدة في تاريخنا المعاصر بعد تلك التي شكّلها انهيار حائط برلين، ومن بعده الاتحاد السوفياتي وما تلاهما من تغيّرات في قلب أوروبا أدّت إلى إلغاء كل الحدود التي نجمت عن الحرب العالمية الثانية ونتائجها العسكرية والسياسية، كما أدّت، عالمياً، إلى نشوء نظام عالمي جديد آحادي القطب تقوده الإمبريالية الأميركية دون أي منازع. في حينها، وبالتزامن مع هذا التغيير، طرح «مشروع الشرق الأوسط» الذي مرّ بتسميات وخرائط عدّة قبل أن يستقر واضعوه على صيغته النهائية التي تبلورت نهائياً في شهر تشرين الأول / أكتوبر 2001: على الولايات المتحدة تنظيم غزو ست دول عربية هي العراق، وليبيا، وسورية، ولبنان، والصومال، والسودان، خلال مهلة لا تتعدّى خمس سنوات، وذلك انطلاقاً من مواقع هذه البلدان الإستراتيجية المهمة وخاصة من الثروات التي تختزنها في البر والبحر، وفي مقدمتها الغاز والنفط.[1]

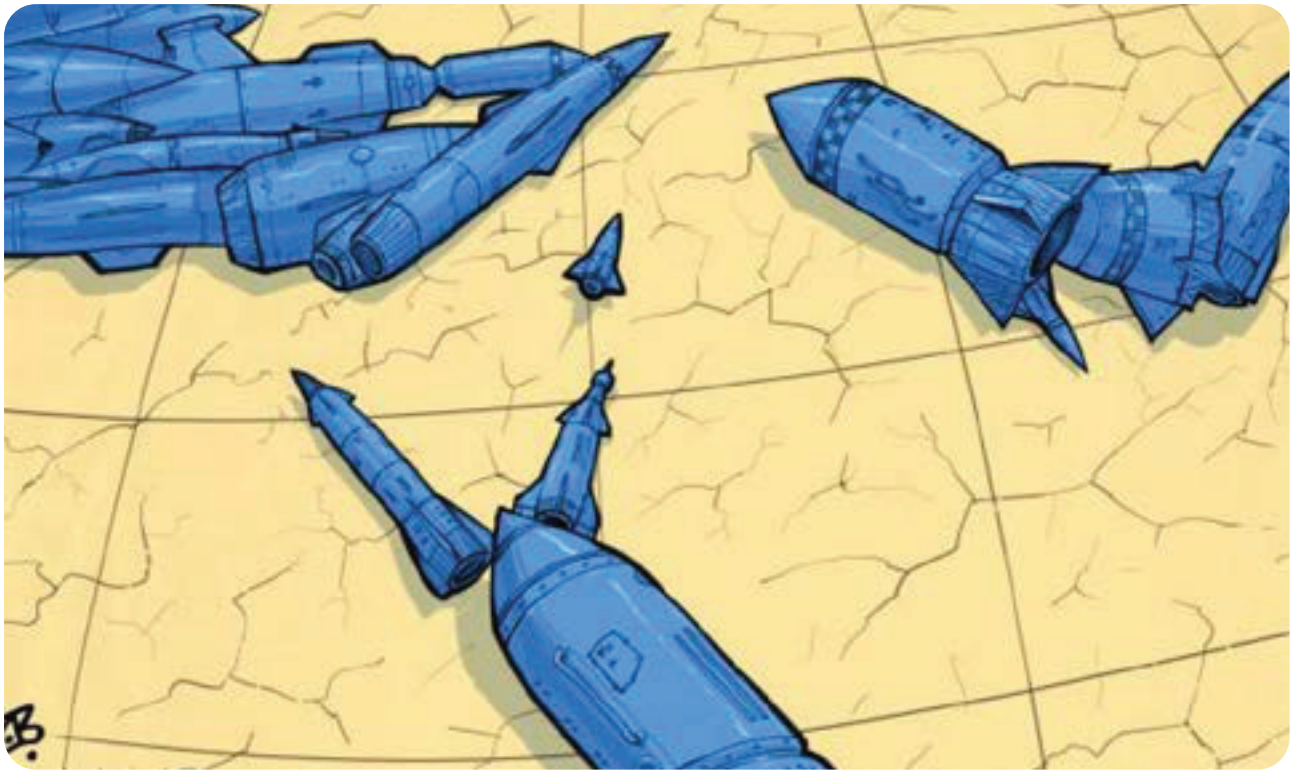

هل يمكن القول، اليوم، إن واشنطن استطاعت تحقيق مشروعها، وإن لم يكن ذلك خلال مهلة السنوات الخمس التي كانت قد حددتها لذلك؟ وهل أن «الشرق الأوسط الجديد» بدأ يتبلور، خاصة بعد العدوان على غزة ولبنان، وما يجري من تطورات في سورية؟ وهل أن طريق الكيان الصهيوني قد أصبحت معبّدة، إن بالنسبة لإنهاء القضية الفلسطينية، ومن ضمنها الاستغناء عن فكرة قيام دولة فلسطين، أم بالنسبة لصياغة الصفحة الأخيرة من كتاب التطبيع مع الدول العربية الذي تقدّم خطوات كبيرة عبر ما سمي بـ «صفقة القرن» و«اتفاقيات أبراهام» التي وقّعت أيام رئاسة دونالد ترامب الأولى وبإشراف إدارته؟

من المبكر الإجابة بنعم على هذه الأسئلة، وإن يكن بعض المحللين المهللين للدور الإمبريالي – الصهيوني في منطقتنا قد رأى أن وقف إطلاق النار في لبنان ومن ثم في غزة، وما جرى بينهما في سورية، إضافة إلى عودة دونالد ترامب المظفّرة إلى البيت الأبيض، يمكن أن تعتبر بمثابة انتصار كاسح للإمبريالية الأميركية، ومعها كل دول حلف الناتو والأنظمة الرجعية العربية، وأن «العصر الأميركي» قد عاد إلينا وسيتم تكريسه لسنوات طوال في بلادنا، وعلى الكل أن يدخل صاغراً في لعبة الوفاق التي أعاد ترامب انطلاقتها، منذ بضع سنوات، مع الكيان الصهيوني والتي قاد جزءاً من حملته الانتخابية تحت شعار أن مصلحة شعوبنا تقتضي العيش «بسلام مع جيرانها» والاعتراف بأن هؤلاء يشكّلون واقعاً لا يمكن تجاوزه... لأن هذا ما تريده واشنطن وما يسعى إليه كل نزلاء البيت الأبيض منذ الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا.

لا شك في أن الاعتداءات الصهيونية الأخيرة، التي انطلقت بعد عملية «طوفان الأقصى»، قد أدّت إلى توسع تواجد قوات العدو في مناطق جديدة من الأرض العربية، في غزة وجنوب لبنان وسورية، في ظل دعم إمبريالي أميركي مطلق، على الصعد العسكرية والدبلوماسية والمالية. ولا شك أن هذا الدعم، الذي سخّرت له الولايات المتحدة كل قواعدها وقواعد حلف شمال الأطلسي (الناتو) في العالم، قد تم وسط صمت رسمي عربي كان مقدّراً نتيجة التبعية التي تتصف بها الأنظمة العربية عموماً. وصحيح أيضاً أن العدو قد أمعن في القتل والتشريد والتخريب واستخدام الأسلحة المحرّمة دولياً (2)، غير أننا لا بد أن نشير في الوقت عينه إلى ما تكبّده أيضاً، هو الآخر، من خسائر جسيمة على كافة الصعد، وبالتحديد على الصعد العسكرية والبشرية عموماً... هذه الخسائر التي ظهرت جلية، أولاً في هروب عدد كبير من المستوطنين وصل إلى حدود نصف المليون، وثانياً في تقلص الهجرة الصهيونية إلى فلسطين المحتلة إلى حدها الأدنى (3). ولا ننسى، في الوقت عينه، كل التحاليل التي تحدثت عن خسائر اقتصادية ومالية ضخمة لم يسبق لها مثيل، ولا كل ردود الفعل المستنكرة والشاجبة التي سجلت، ولا تزال تسجّل، من قبل العديد من الدول والحركات الشعبية على سياسات الإبادة الجماعية والمجازر، والإجرام عموماً، التي مارسها الكيان الصهيوني. هذه الردود التي أدّت إلى تحركات جماهيرية قل نظيرها وكذلك إلى مواقف غير اعتيادية، ناهيك عن القرارات التي اتخذتها المحكمتان الدوليتان (والتي حظيت بموافقة عدد من الدول الحرّة في العالم) باعتبار ما يجري في غزة يقع تحت جريمة الإبادة الجماعية وباعتبار قادة الكيان الصهيوني، ونتنياهو وغالانت بالتحديد، مجرمي حرب ومطلوبين أمام العدالة كون كل منهم يتحمّل المسؤولية الجنائية «عن جريمة الحرب المتمثلة في التجويع كأسلوب من أساليب الحرب والجرائم ضد الإنسانية المتمثلة في القتل والاضطهاد وغيرها من الأعمال اللاإنسانية».

وهاتان النتيجتان الأخيرتان، الهجرة وافتضاح السياسات الإجرامية التي كانت تمارس منذ سنوات وسنوات ضد شعب فلسطين على وجه الخصوص، ستؤديان حتماً، ليس فقط إلى استمرار هروب المستوطنين المستعمرين، بل كذلك إلى تجذّر مقاومة العدوان والاحتلال لدى شعوب الدول المحيطة بالكيان المغتصب، وصولاً إلى متابعة النضال من أجل استعادة أرض فلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة. فقضية فلسطين كانت وستبقى القضية المركزية للشعوب العربية، والصراع مع الإمبريالية والصهيونية سيستمر، بأشكال وأساليب متجددة، وبتحالفات بدأت تلوح في الأفق العالمي، حتى دحر الإمبريالية بشكل كامل عن بلادنا وكوكبنا، وتحرير الأرض العربية والثروات التي تزخر بها من رجس الاحتلال الصهيوني الذي يشكّل القاعدة الأساس للإمبريالية في المشرق العربي، بل والعالم ككل.

(1) - يقول الجنرال الأميركي ويسلي كلارك، في مداخلة ألقاها في العام 2007، أنه تلقّى هذا القرار مرفقاً بتحديد مهلة خمس سنوات لتنفيذه. وعندما سأل لماذا أولوية العراق؟ وهل لذلك ارتباط بمنظمة «القاعدة»؟ كان الجواب أن للأمر علاقة بالبترول. كما نشر ذلك في كتاب يحمل عنوان «العراق، الإرهاب والإمبراطورية الأميركية: كيف نربح الحروب الحديثة». ومن المعلوم أن كلارك تسلّم مقاليد حلف شمال الأطلسي (الناتو)...

(2) - عشرات آلاف الشهداء في غزة والآلاف في لبنان، بينهم العديد من الأطفال، عدا عن أكثر من مئة ألف جريح وعن الأبنية والمنازل والمتاجر التي سويت بالأرض وعن الأراضي الزراعية والحراجية التي أحرقت بالفوسفور الأبيض وغيره من الأسلحة التي قدمتها واشنطن وعواصم البلدان المنتمية إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)... ولا ننسى آلاف المعتقلين.

(3) - كشف موقع «زمان إسرائيل» أنه وفقاً لبيانات سلطة السكان والهجرة، فإن نحو 370 ألف مستوطن غادروا فلسطين المحتلة منذ اندلاع الحرب وحتى نهاية تشرين الأول/ أكتوبر الماضي. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، غادر نحو 139،839 إسرائيلياً، ولم تسجل أي بيانات عودة لكافة من غادر منذ ذلك الوقت. وأوضح الموقع أنّ النصف مليون إسرائيلي المغادرين لا يتضمنون عشرات آلاف العمال الأجانب والدبلوماسيين، الذين غادروا أرض فلسطين المحتلة بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر بسبب سوء الأوضاع. وأشار الموقع إلى أن الحرب المتواصلة قللت هجرة اليهود إلى الكيان المحتل.

فنزويلا الفرصة الذهبية لحكم الاشتراكيين

إسحق أبو الوليد ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ فنزويلا

في العاشر من كانون الثاني من هذا العام، حلف الرئيس نيكولاس مادورو مورو، اليمين الدستوري أمام الجمعية الوطنية والشعب الفنزويلي ومئات الوفود الأممية، لدورة رئاسية ثالثة تستمر حتى العام ٢٠٣١. وقد انتظر الشعب الفنزويلي ومعه شعوب وحكومات من كل بقاع الأرض هذا اليوم بقلق وترقب وتوتر.

وهذا يعود إلى تشكيك مرشح المعارضة الفاشية المتطرفة المحلية، ادموندو اوروتيا، ومعه قياداتها الأكثر ارتباطا بالإمبريالية والصهيونية بنتائج الانتخابات الرئاسية، التي أجريت في الثامن والعشرين من تموز الماضي، والإدعاء أن المرشح الرئاسي عن الحزب الاشتراكي وحلفائه، السيد نيكولاس ماذورو مورو، فاز «بالتزوير وسرق أصوات الناخبين المعارضين وأنه لم يحصل إلا على ٣٥% من الأصوات». بناء على هذا الإدعاء، الذي لقي تأييدا كاملا من إدارة بايدن وحكومات الاتحاد الأوروبي وبعض دول أمريكا اللاتينية، دعت في اليوم التالي للانتخابات، ماريا كورينا ماتشادو، القيادية الأبرز في هذه المعارضة إلى تنفيذ الخطة « ب « للإطاحة « بالديكتاتور ماذورو «. هذه الخطة كانت مبرمجة ومصممة على أن تتحرك الخلايا الإرهابية العنقية والمسلحة بالتزامن مع احتجاجات شعبيه كمظلة وغطاء « جماهيري « لإشاعة الإرهاب والفوضى و اللا استقرار وفقدان الأمن، يتم على إثرها الدعوة، لتدخل خارجي (الولايات المتحدة) والإطاحة بالنظام الدستوري في البلاد من الخارج. هذه الخطة كانت مكشوفة و واضحة المعالم والأهداف مسبقا، للحكومة وللجيش البوليفاري ولكافة الأجهزة الأمنية والبوليسية، مما سمح لهم التصدي الفوري بكفاءة، وتم القضاء على هذا التحرك خلال أقل من ثلاثة أيام. رغم ذلك، استطاعت هذه القوى الفاشية أن تحدث تدميرا وقتلا خلال يومين من العنف والفوضى ما عجزت عن تحقيقه في أعمال مماثلة استمرت لأكثر من شهرين في العام ٢٠١٩. هذه الأعمال الفاشية التي نفذتها المعارضة الأكثر ارتباطا بالصهيونية والإمبريالية والتي ترافقت مع دعوات علنية من قبل قياداتها للولايات المتحدة « واسرائيل « للتدخل العسكري المباشر، أثار الشكوك و التخوفات لدى قطاعات شعبية وازنة من المعارضة التي لا تؤيد حكم الرئيس ماذورو، وتريد التخلص منه، ولكنها ترفض أي تدخل خارجي وخاصة التدخل العسكري، لأن هذا عدا عن أنه انتهاك لسيادة واستقلال البلاد، يؤدي إلى الأضرار بالسلام والاستقرار في البلاد.

هنا لا بد من التذكير، كي تكون الصورة واضحة، أن المعارضة في فنزويلا، حتى في عهد الرئيس الراحل اوغو شافيز، كان وما يزال لها قاعدة شعبية انتخابية تتراوح ما بين ٤٢ و٤٧% من الجسم الانتخابي. واللافت أن هذه النسب تنخفض بعد انتهاء الانتخابات الرئاسية وتتبدل في الانتخابات المحلية. هذا التقلب في سلوك ومزاج الناخبين ليس جديدا ولا غريبا عن الديموقراطية البرجوازية، بل يمكن القول إنه ينسجم مع طبيعة هذه « الديموقراطية « التي هي بحد ذاتها تزوير للوعي والحقيقة في مجتمع الضرورة أي المجتمع البرجوازي.

من هنا يبدوا وللوهلة الأولى أن جوهر المسألة وجوهر الصراع في فنزويلا، كما في دول القارة المناهضة للهيمنة والسيطرة الإمبريالية، هو صراع داخلي، على شكل النظام ومستوى تطبيقه للديموقراطية و

احترامه للحريات الفردية، وليس صراع طبقي اقتصادي، لأنه ليس من أيديولوجية اليمين ولا من مصلحته الانحياز للصراعات ذات الأرضية الاقتصادية أو نبشها، لما لها من تأثير أيديولوجي ونضالي بين العمال والموظفين وكل أصحاب الدخل المحدود. لذا يلجؤون إلى السلاح الأمضى الذي تستعمله الإمبريالية الأمريكية كمدخل لمحاربة أي ثورة اجتماعية أو أي نظام يطمح لإجراء تغير بنيوي، اقتصاديا واجتماعيا، لتأمين السيادة الحقيقية والاستقلال الناجز أي تفكيك بنية التبعية والارتباط بالاقتصاد الامبريالي أو ما يعرف باقتصاد المركز. لهذا يحرض الإمبرياليون وأعوانهم على « الديموقراطية « و « حرية « النشاط الاقتصادي والتملك اللامحدود للثروة، و على الحد من تدخل الدولة، و رفض هيمنتها الاقتصادية وتملكها للقطاعات الاقتصادية الاستراتيجية وحمايتها من الوقوع في أيادي القوى المعادية للأمة، بحجة أن كل مؤسسة أو مشروع تضع الدولة يدها عليه مصيره الفشل. في هذا الإطار تشن الدوائر الإعلامية الإمبريالية حملة منسقة ومبرمجة ضد كل الأنظمة والقوى التي تناضل ضد الإمبريالية وتناهضها، ويقود المسؤولين في الدوائر المختلفة للولايات المتحدة قوى الثورة المضادة بكافة أشكالها في أمريكا اللاتينية، وخاصة في كوبا وفنزويلا ونيكاراغوا، التي تعتبرها (أمريكا اللاتينية) حديقتها الخلفية، وأحد أهم ساحات الدفاع عن مصالحها الحيوية وأمنها القومي، بل ضرورية، كما قال كيسنجر في أعقاب الإطاحة بالقائد الاشتراكي سلفادور الليندي في اوائل سبعينيات القرن الماضي في شيلي: أن السيطرة على أمريكا اللاتينية ضرورية ليس فقط لأسباب اقتصاديه بل من أجل تثبيت هيمنة وقيادة الولايات المتحدة للعالم.

لا شك أن هذا المبدأ هو المحرك التاريخي لاستراتيجية الولايات المتحدة في القارة اللاتينية. هذه الاستراتيجية نقضها دونالد ترامب مؤخرا عندما أدلى بتصريحات مفاجئة ومذهلة في رأي بعض المهتمين بشؤون القارة. فما الذي تغير كي يعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ، صاحب شعار أمريكا أولا، أن الولايات المتحدة « ليست بحاجة إلى امريكا اللاتينية، بل هذه الأخيرة هي التي بحاجة لنا، وقد لا نشتري النفط من فنزويلا، نعم أمريكا اللاتينية هي التي بحاجة لنا، ونحن لسنا بحاجه لأحد، العالم هو الذي بحاجة لنا» هذا التصريح يتناقض جذريا مع الاستراتيجية الأمريكية المتبعة منذ عقود. إن التدقيق بهذا التطور الجيوسياسي يوحي إلى أن تصريح الرئيس ترامب هو تصريح متهور وكاذب وميركنتيلي. إلا أن الحقيقة هي عكس ذلك. مثلا شركة تكساس بتروليوم وقعت اتفاقات مع حكومة فنزويلا في شهر حزيران الماضي للاستثمار النفطي في مئات الآبار النفطية الفنزويلية. وصرح مدير الشركة للصحافة الفنزويلية، أن شركته تعاني من عجز يقدر بأربعة ملايين برميل يوميا. هذا حال شركة واحدة فكيف حال غيرها؟ إذا تصريح ترامب لا يرتكز على أرضية اقتصادية، فعلى ماذا يدل؟ أيعكس حجم القلق الذي يراود حكام البيت الأبيض من اتساع وعمق الأزمة الشاملة التي تعاني منها أمريكا حيث تدنى حجم حصتها في الإنتاج العالمي إلى الحضيض، مقابل غزو البضاعة الصينية لأسواقها. وفي نفس الوقت يحتد الصراع الطبقي وتتعفن شروط السلم الاجتماعي وأخذ ينخرها العنف الداخلي وخاصة في الأوساط الشبابية و المرهقة .

هذه الأزمة التي تعاني منها الولايات المتحدة، ستحد بلا شك من مقدرتها ورغبتها في إثارة « الحروب الغير ضرورية والغير مفيدة « كما يقول ترامب. هو ضد الدخول في حروب مباشرة بسبب التكاليف الباهظة وخاصة الحروب الغير مضمونة النتائج. إذا الولايات المتحدة ليس ضد الحروب ولم تغير من طبيعتها العدوانية، بل ستترجم هذه الطبيعة العدوانية بأشكال وطرق أخرى أي خوض الحروب بالغير و من هنا يبرز السؤال: إذا سلمنا جدلا بأن الولايات المتحدة على الأقل في عهد ترامب « ليست بحاجه لأمريكا اللاتينية»، هذا يعني أنها لن تحارب أو تقاتل لشيء هي ليست بحاجة له! أليس كذلك؟.

إذا، موضوعيا، هذا سيمنح القوى المناهضة لها فرصة استثنائية لتثبيت نفسها وتصليب بنيتها لمواجهة تحديات البناء الداخلية، وتطوير إمكانياتها الصناعية والتكنولوجية، وفتح الأبواب للبدائل الضرورية. هذا التطور الجيوسياسي يجب التعامل معه بحذر من قبل المسؤولين في فنزويلا التي هي، أحد أهم أعمدة النضال المعادي للإمبريالية والصهيونية. فأمام حكومتها والحزب الاشتراكي الموحد فرصة ذهبية، وربما هي الأخيرة، لتمكين وتعميق السلطة السياسية والشعبية. هذا يفرض عليها ويتطلب مكافحة الفساد والهدر المالي بيد من حديد، وإعادة الثقة الشعبية بجدوى الإجراءات ومصداقية الكلمة. إلغاء المحسوبية وامتيازات السلطة واستغلال النفوذ. هذا بلا شك يساهم في المحافظة على شروط البقاء في السلطة، وتطوير أدائها. لأن الضحية الأولى لهذه الأمراض هو القطاعات الشعبية والعمال والموظفين، الذين هم القاعدة التي يرتكز عليها نظام الحكم. هذه الإجراءات إذا ما نفذت، ستعزز العلاقات مع المحيط بعد اعتراف معظم حكومات دول أمريكا اللاتينية وخاصة المكسيك وكولومبيا والبرازيل بشرعية الرئيس نيكولاس ماذورو، مما يساهم في تحصين نظام الحكم في فنزويلا إقليميا ودوليا، ويعزز شرعيته الدستورية ويحد من قوة ونفوذ المعارضة بكل تياراتها.

نعم، هنالك تعرجات وعقبات في طريق إعادة الاعتبار لعملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أنه المطلوب وفاء الرئيس ماذورو وحكومته بوعوده التي كررها في أكثر من مناسبة بإجراء إصلاحات عميقه ليس فقط في الأداء بل في أسلوب نظام الحكم ليكون أكثر شفافية وتحقيق العدالة المطلوبة اقتصاديا وخاصة للعمال والموظفين وكافة أصحاب الدخل المتدني. هذا ما تنتظره بفارغ الصبر الجماهير الشعبية.

الرئيس ترامب وأسئلة حول ما في جعبته

علي بدوان - كاتب سياسي فلسطيني - سورية

شهدت مفاوضات وكواليس التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة و «صفقة التبادل» في الجولات الختامية التي أفضت إلى ما أفضت إليه، دوراً أمريكياً استثنائياً بشخص المبعوث الجديد من قبل الإدارة الجديدة للشرق الأوسط، ومن قبل الرئيس دونالد ترامب الدبلوماسي (ستيف ويتكوف)، دوراً محورياً في تحقيق اختراق بالمفاوضات التي امتدت في آخر جلستها لساعاتٍ، وقد كان الضغط الأمريكي الجدي حاضراً (وليس الناعم) هذه المرة على نتنياهو بعدما كان نتنياهو يصول ويجول دون أن يقدم على خطوات ملموسة، بل كان يُمارس ألاعيبه في تضييع الوقت، فهو الذي لم يكُن يُريد للحرب أن تتوقف ضد شعبنا في القطاع بعد الحرب الدموية المجنونة.

فأتى الاتفاق أو التفاهمات بالرعاية المصرية والقطرية، وكأنه ثمرة تعاون «غير مسبوق» بين فريقي الرئيسين (المغادر والقادم) جو بايدن ودونالد ترامب، بالعمل الحثيث مع الوسيطين القطري والمصري، بحسب مسؤول أميركي رفيع المستوى كشف النقاب عن جزء مما دار في كواليس المفاوضات التي تسارعت خلال الأيّام الأخيرة التي انتهت بالتوافق. فما كان مُمكناً لنتنياهو مع الرئيس الأمريكي السابق (جو بايدن) لم يَعُد مُمكناً. فلا يحق لحليف صغير أن يتلاعب بالإمبراطورية التي تضخ الدم في عروقه. ولا يقبل ترامب بأقل من إدارة اللعبة وفق فوضى قواعده.

صمود الفلسطينيين علامة فارقة جداً

وبالطبع، وحتى لا نُبخس شعبنا وثباته وتضحياته التي فاقت كل تصور، فإنَّ صمود الشعب الفلسطيني كان العلامة الفارقة جداً، أمام جبروت القوة العسكرية «الإسرائيلية» التي صَبَت نارها وحممها على قطاع غزة، وتحمل حرب التجويع والتعطيش، وكل أشكال الضغط.

إن صمود شعبنا وإنزال الخسائر العسكرية الهائلة بجيش الاحتلال، كذلك اقتصادياً وعلى كل المستويات، دفع نتنياهو بالكف عن المماطلة والاتجاه لوقف إطلاق النار، ليس لسواد عيون الشعب الفلسطيني بل من أجل (أجندة) يرتب لها الفريق المحيط بترامب لوضع لمسات حلول سياسية في المنطقة، وتدعيم وجود وأركان الولايات المتحدة خاصة بعلاقاتها الخليجية، حتى أن الرئيس ترامب في خطاب تسلمه لموقعه يوم 20 كانون الثاني/ يناير 2025 «تغزل» بإيران، وأعلن عن فتح «صفحات تعاون معاً ومغادرة الماضي». مضيفاً قوله «أنا مُستثمر من أجل رفاهية شعب بلدي. إيران أرض بكر (للاستثمار) سأتفاوض معها بالتأكيد وأنا مستعد حتى للسفر إلى طهران».

المبعوث الأمريكي (ستيف ويتكوف)

لقد كشف «مسؤول إسرائيلي» بأنَّ تدخل (ستيف ويتكوف) ودوره كسياسي مُحنّك، كان اللحظة غير المسبوقة في العلاقة بين الولايات المتحدة و «إسرائيل»، التي شَهدت العديد من اللحظات الاستثنائية. وأضاف أنَّ «ستيف ويتكوف مؤيد لإسرائيل في جوهره، لكنه جاء بآرائه ومواقفه. وكان من الواضح الشعور بزخم الرئيس دونالد ترامب في ذلك الاجتماع الذي زوده به قبل وصوله كمبعوثٍ له للمنطقة».

ومن الواضح، وبعيداً عن التطاير في الشعارات الانتخابية الرئاسية (المؤقتة والاستعمالية كالعادة)، التي كان من نتيجتها صعود دونالد ترامب، فإن قائد البيت الأبيض الجديد يعود ومنطقة الشرق الأوسط مغايرة تماماً فيما عَرِفَهُ عنها فترة حكمه الأولى، بفعل التطورات الهائلة التي وقعت في المنطقة، وخاصة حرب الإبادة الجماعية التي شنتها دولة الاحتلال على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، والتحوّل الكبير في الوضع السوري.

الخريطة السياسية الآن مُعقّدة نتيجة كل ما وقع ومنها حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في القطاع، وحراكات المجتمع الدولي التي «قصمت» ظهر «إسرائيل»، وبالتالي فإن التطاير السابق في الشعارات بالدورة الأولى الرئاسية لترامب عندما طرح «صفقة القرن» ومِدَّ «إسرائيل» بالزاد السياسي عبر الاعتراف بالقدس عاصمة لكيان الاحتلال، والطلب من دول العالم القيام بحذو الولايات المتحدة، والموافقة على ضم الجولان السوري لــ «إسرائيل».

فهو يعود لموقع الرئاسة مع طاقم جديد، يحاول التجاوب مع العالم أمام فرصة لإنجاز «تسوية» تقود إلى حل الإجماع الأممي بقيام دولة فلسطين دولة فلسطينية بعد حرب الإبادة التي شنت على القطاع.

الآن، ومع وقف إطلاق النار، فإنَّ المعني الأول والأخير بكل تبعات وتفاصيل المرحلة التالية بالنسبة لمآلات الوضع في قطاع غزة ما بعد وقف إطلاق النار كولاية جغرافية تابعة فلسطينية، هي الإطار المعترف به عالمياً، أي الشرعية الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ومجموع فصائل وأطراف العمل الفلسطيني تحت قيادة الإطار التمثيلي الأوسع. فمآلات ما بعد وقف إطلاق النار، والورشات الكبرى التي تنتظر غزة «سياسياً»، و «إعادة الإعمار وترتيبات عودة الناس إلى مواقع سكناها الأصلية».

ترامب ورؤيته... رجل استعراضي

بدأ الدبلوماسي الأمريكي (ستيف ويتكوف) وغيره من (سدنة البيت المحيطين بالرئيس ترامب) بالتنظير (لرؤية ما) يحملها الرئيس ترامب في الفترة الرئاسية الثانية، بعد أن أنجز أولى تلك الخطوات بوقف الحرب على قطاع غزة، قائلاً إن «حلم استقرار الشرق الأوسط أصبح مُمكناً، بفضل وصول ترامب إلى البيت الأبيض. خاصة ودخل وقف إطلاق النار في غزة حيز التنفيذ، ما وضع حداً لحرب دامت 15 شهراً، بعد أن حصدت عشرات الآلاف من الأرواح».

وأشار المبعوث الأميركي إلى «اتفاقيات إبراهام» : (وهي سلسلة اتفاقيات دبلوماسية تم التوصل إليها في عام 2020 في عهد ترامب في دورته الأولى للرئاسة بين «إسرائيل» وعدد من الدول العربية، بهدف تطبيع العلاقات وتعزيز التعاون في مجالات متعددة، بما في ذلك الأمن، التجارة، والسياحة). قائلاً إنها «تشهد على رؤية وتصميم ترامب».

وتحدث (ستيف ويتكوف) عن دوره كما طلب منه الرئيس ترامب، وهو تحويل رؤية الرئيس إلى نتائج عملية، وقال: «هو من يضع الأجندة وهو من يضع الإطار». معتقداً أنَّ سياسة ترامب تجاه الشرق الأوسط في رئاسته الثانية، كما في السياسة الخارجية بشكل عام، ترتكز على المعاملة بالمثل والمحاسبة. وأن «عصر الدعم غير المشروط قد انتهى، وزمن الصكوك البيضاء قد ولى، ولن يُقدم الدعم بعد اليوم، للدول التي لا ترغب به».

وعليه، رأت صحيفة «الجارديان» البريطانية في عددها الصادر يوم 21 كانون الثاني/يناير 2025 أن الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب سعى خلال خطاب تنصيبه يوم 20 كانون الثاني/يناير 2025 إلى تصوير نفسه باعتباره صاحب رؤية يبشر بعصر تحوّلي في الولايات المتحدة، مشيرةً إلى أن ترامب بدأ بخطاب فخم، بأن «العصر الذهبي لأمريكا يبدأ الآن»، وانتهى بالمبالغة المميزة له، بأن مواطنيه «على أعتاب أعظم أربع سنوات في التاريخ الأمريكي»، معتبرةً أن الواقع هو أن ترامب رجل استعراضي.

نحن هنا، وبناء على جملة من التطورات الأولية التي وقعت بعد وقف إطلاق النار في قطاع، نقف أمام جملة من الأسئلة يتصدرها سؤال هام حول ما في جعبة الحاوي الأمريكي، الرئيس ترامب وطاقمه بالنسبة للشعب الفلسطيني، وحقه بإقامة دولته المستقلة، واتجاهات السياسة الأمريكية عربياً خلال ولايته.؟؟.

الأسلحة الحرارية المستخدمة في حرب الإبادة على غزة: الأجسام البشرية تذوب وتتبخر

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

أصبحت غزة ساحة مفتوحة لتجارب الأسلحة الأمريكية الفتاكة والمتطورة. تتناقل وكالات الأنباء العالمية والمحلية تقارير مرعبة عن حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة ضد السكان المدنيين العزل، وعن الإجرام الوحشي الذي يمارسه الكيان الصهيوني وحلفاؤه الأمريكيون والأوروبيون على السواء. تعددت الأدوار والجريمة واحدة. وما يحدث اليوم في غزة، لم يسبق له مثيل في الحروب العسكرية السابقة أو الحالية نظراً لحجم الإجرام والتدمير والقتل المتعمد للمواطنين العُزّل. وما يزيد الطين بلة، الصمت العالمي، وخاصة العربي.

هذه اللامبالاة جعلت الكيان الصهيوني يتمادى في انتهاك القانون الدولي الإنساني، وسجله حافل بذلك، يقتل من يريد، ويهدد من يريد، ولا يستطيع أحد أن يلومه أو أن يوقفه أو أن يحاسبه. بل أكثر من ذلك، فإن العديد من الدول العربية تسعى للتطبيع معه، بينما الدول الغربية تزوده بالأسلحة الفتاكة والمحرمة دولياً بموجب اتفاقيات لم يعد لها قيمة أو وزن. وتشهد مناطق غزة، خصوصاً المربعات السكنية ومراكز الإيواء المكتظة، والمستشفيات، الهجمات العسكرية المتتالية بشكل يومي، وتستخدم فيها أسلحة فتاكة ومتطورة جداً تؤدي إلى تدمير شامل للمباني والمرافق العامة والبنى التحتية وتلوث التربة ومصادر المياه، بالإضافة إلى قتل وحشي للمدنيين بما في ذلك النساء والأطفال. الكثير من السكان يموتون تحت الردم والركام، دون التمكن من إخراج جثثهم من أجل دفنها. كذلك فإن الكثيرين أيضاً من الضحايا يموتون، وتختفي جثثهم بطرق مثيرة، تتفحم أو تتحول إلى رماد. وقد ذكرت الكثير من التقارير الصحفية وتقارير المراقبين وشهادات أقارب الضحايا أن من بين الأسلحة المحرمة التي ظهرت آثارها مؤخراً بشكل لافت للنظر القنابل أو الأسلحة الحرارية، التي تشمل أنواعاً وأشكالاً مختلفة، وتتميز بقدرة هائلة على تدمير الأجسام البشرية بشكل لا يُصدّق، حيث تؤدي إلى ذوبان الجثث أو تبخر أجزاء منها نتيجة الحرارة العالية التي تولدها هذه الأسلحة. لقد استخدم جيش الاحتلال خلال عدوانه على غزة مجموعة متنوعة من الأسلحة والذخائر المحرمة دولياً، مثل الفسفور الأبيض، وقنابل من طراز (GBU-31) زنة 2000 رطل، و (GBU-32) زنة 1000 رطل، و(GBU-39) زنة 250 رطلاً، وقنابلBLU-109/MK 84 زنة 2000 رطل، أو BLU-110/MK 83 زنة 1000 رطل، أو BLU-111/MK 82 زنة 500 رطل . هذه القنابل تستطيع تدمير الحصون والمباني العالية بالكامل، ويؤدي استخدام هذه الأسلحة المحظورة إلى آثار مدمرة على الصحة العامة وعلى البيئة. وتُساهم أيضاً في تفاقم الأزمات الإنسانية، خصوصاً وأن السكان المدنيين يعانون من التجويع والحصار الشامل الذي أدى إلى نقص شديد في الأدوية والمواد الطبية، وغياب الرعاية الصحية. ويمكن أن تتسبب الأسلحة الحرارية في حرائق ضخمة، بالإضافة إلى قدرتها على إذابة المعادن، وتسبب تدميراً شبه كامل لأي كائن يتعرض لها. ويمكن أن تسبب القنابل الحرارية والفراغية حروقاً شديدة، وتدميراً للأنسجة، والأعضاء الداخلية. كما أن استخدامها في المناطق السكنية يمكن أن يؤدي إلى خسائر بشرية كبيرة. هذا النوع من الأسلحة يشمل القنابل الحرارية (Thermobaric Bombs) ، والقنابل الفراغية (Vacuum Bombs) ، بالإضافة إلى أنظمة أخرى مثل الصواريخ الحرارية. تُستخدم هذه الأسلحة في الحروب الحديثة بسبب فعاليتها في تدمير الأهداف الكبيرة والتحصينات المنيعة، وتسببها في أضرار جسيمة. وقد استخدم الجيش الأمريكي أنواعاً مختلفة من هذه الأسلحة على نطاق واسع في فيتنام وفي أفغانستان والعراق. غير أنها تعتبر من الأسلحة المحظورة والمحرم استخدامها في الحروب. أما القنابل الحرارية، أو ما يعرف بالقنابل النارية، فهي تستخدم مزيجاً من المواد الكيميائية التي تنتج حرارة شديدة عند الانفجار من خلال استخدام متفجرات تقليدية صغيرة تعمل على إنتاج سحابة من الغبار أو الجسيمات شديدة الاشتعال، ثم يقوم جهاز متفجر ثان بإشعال سحابة المواد القابلة للاشتعال، حيث ينتج عنها درجات عالية للغاية من الحرارة تصل إلى نحو 2500 - 3000 درجة مئوية، ويتم إضافة مسحوق الألمنيوم إلى بعض المتفجرات لتعزيز موجة الانفجار والضغط الزائد الذي يمكن أن يصل إلى 73 كغ/سم2. هذه الموجة هي السبب الرئيس وراء تأثيراتها القاتلة والمدمرة. وهذا ما يتسبب في حرق شديد للجلد وأجزاء الجسم الداخلية، وحرق الجثث إلى حد الذوبان الكامل أو التبخر، وخاصة في المناطق حيث تكون سحابة الانفجار أكثر كثافة. وتُستخدم هذه القنابل الحرارية عادةً ضد الأهداف

المحصنة، مثل المخابئ العسكرية أو المنشآت الصناعية. بينما القنابل الفراغية، وتُعرف أيضاً باسم القنابل ذات الضغط المنخفض، تعمل على سحب الهواء من المنطقة المحيطة بها، مما يؤدي إلى وجود فراغ مؤقت. وعند انفجار القنبلة، يتم إطلاق موجة من الضغط العالي، مما يؤدي إلى تدمير الأهداف بشكل شامل. تُستخدم القنابل الفراغية بشكل رئيس في العمليات العسكرية ضد الأهداف الكبيرة، مثل المباني المحصنة والمخابئ، والدبابات والمركبات المدرعة. وتشمل التأثيرات الرئيسة للأسلحة الحرارية على الأجسام البشرية جَرّاء الحرارة الشديدة ما يلي:

أ. القتل والإصابات الخطيرة.

تؤدي الانفجارات القوية للقنابل الحرارية إلى الوفاة الفورية للمدنيين أو الإصابات الخطيرة التي تؤدي إلى فقد أعضاء من الجسم وتشوهات جسدية دائمة، وإصابات الأعصاب الطرفية وإصابات النخاع الشوكي وإصابات الدماغ والحروق. الآلاف من سكان غزة، الذين يصابون بهذه القنابل يواجهون مخاطر تهدد استمرار حياتهم بسبب الحاجة إلى تدخلات طبية معقدة وغير متوفرة، في ظل انعدام الرعاية الطبية.

ب. الذوبان والتبخر.

تعمل الأسلحة الحرارية على رفع درجات حرارة الجسم إلى مستويات عالية، نحو 2500 – 3000 درجة مئوية، مما تجعل الأنسجة البشرية تتبخر بسرعة. وفي كثير من الحالات، فإن التعرض المباشر لهذه الحرارة قد يؤدي إلى اختفاء أجزاء من الجسم بشكل شبه كامل، حيث تتبخر الأنسجة العضلية والعظمية.

ج. الحروق المدمرة.

تسبب الأسلحة الحرارية حروقًا شديدة تتجاوز الحروق التقليدية التي تنتج عن النيران. الحروق الناتجة عن هذه الأسلحة قد تؤدي إلى فقدان الأنسجة بشكل كامل، مما يجعل علاج المصابين أمراً مستحيلاً في بعض الحالات.

د. تحولات فسيولوجية في الأنسجة.

تؤدي الحرارة المفرطة إلى تدمير الأنسجة الداخلية، مثل الأوعية الدموية والأعضاء الحيوية. هذه الحرارة تتسبب في تمزق الأنسجة بشكل كامل، وتحويل الجسم إلى كتل شبه سائلة.

هـ . الأضرار النفسية.

بجانب الأضرار الجسدية، يؤدي الاستخدام المتكرر لمختلف أنواع القنابل والصواريخ، ضد المدنيين إلى معاناة نفسية واكتئاب حاد بسبب خوف السكان الدائم من التعرض للهجمات العشوائية. ويعتبر الأطفال أكثر الفئات تأثراً.

و. التلوث والتسمم.

عند انفجار القنابل الحرارية، تنطلق كميات من الغازات السامة والمكونات الكيميائية، مما يؤدي إلى تلوث الهواء والتربة وموارد المياه. المواد الكيميائية الناجمة عن الانفجارات والحرائق وبقايا الرماد تؤدي إلى تدهور البيئة، وتسبب الأمراض على المدى الطويل للسكان، مثل مشاكل التنفس والتسمم.

ز. تدمير المنشآت الحيوية.

بالإضافة إلى قتل المدنيين تؤدي القنابل الحرارية إلى تدمير المنشآت المدنية الرئيسة مثل المستشفيات، والمدارس، ومراكز الإيواء، والطرقات، ومنشآت البنى التحتية مما يعيق وصول المساعدات الإنسانية الشحيحة في ظل الحصار الشامل الذي تعاني منه كافة المناطق في قطاع غزة.

ح. التأثير على موارد التنوع الحيوي.

يؤدي انفجار القنابل الحرارية إلى اختفاء موارد التنوع الحيوي والحياة البرية، والغطاء النباتي في مناطق العمليات. وينبغي القول إن حرب الإبادة في غزة دمرت بشكل متعمد الأراضي الزراعية، والموارد الطبيعية القليلة في القطاع نتيجة ضيق المساحة والكثافة السكانية العالية. ولذلك فإن تدمير الأنظمة البيئية المحلية يساهم في إبادة الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها السكان في حياتهم اليومية.

استخدم الجيش الصهيوني خلال حرب الإبادة الشاملة في غزة هذه الأنواع من الأسلحة، بالإضافة إلى أنواع أخرى لم يعلن عنها. فقد أصبحت غزة منطقة مخصصة لتجارب الأسلحة الأمريكية الفتاكة الجديدة. لقد وردت تقارير عن حالات استخدام هذه الأسلحة المحظورة وأثرها على المدنيين من منظمات حقوق الإنسان، مثل منظمة العفو الدولية (Amnesty International)، ومنظمة هيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch)، والمستشفيات المحلية ، والمصادر الإعلامية وشهادات المواطنين. جميعها تُشير إلى أن الأسلحة الحرارية قد تم استخدامها في الهجمات العسكرية على الأهداف المدنية ومراكز الإيواء، وراح ضحيتها العديد من المدنيين الذين تحولت جثثهم إلى رماد. ووفقاً لبعض التقارير، تمت مشاهدة آثار غير مألوفة على الجثث التي انتشلت من مناطق القصف، حيث أظهرت الجثث علامات واضحة من التبخر أو الذوبان في أجزاء منها. على سبيل المثال، بعض الجثث كانت تبدو كأنها تعرضت لحرارة تفوق قدرة الجسم على التكيف معها، ما أدى إلى تحول الأنسجة إلى حالتها السائلة أو تدمير أجزاء منها بشكل كامل. الأطباء الذين عاينوا الجثث أكدوا أن بعض الأضرار لا يمكن أن تفسر إلا من خلال التعرض لدرجات حرارة عالية جداً ومواد كيميائية ناتجة عن استخدام أسلحة حرارية. وفي تقرير نشرته منظمة العفو الدولية، تم التأكيد على أن هناك استخداماً للأسلحة الحارقة في بعض الهجمات ضد المدنيين، ما أدى إلى حالات من التفحم والتبخر في الضحايا. يُعد استخدام الأسلحة الحرارية في الحروب والنزاعات العسكرية انتهاكاً فاضحاً للحقوق الإنسانية، خاصة وأن هذه الأسلحة تتسبب في تدمير الأجسام البشرية بشكل غير إنساني. إن التسبب في أضرار مدمرة من هذا النوع يتعارض مع العديد من المعاهدات الدولية التي تحظر

استخدام الأسلحة المحرمة، مثل اتفاقيات جنيف التي تهدف إلى حماية المدنيين أثناء الحروب. منظمة هيومن رايتس ووتش أكدت في تقاريرها أن الأسلحة الحارقة تمثل تهديدًا غير إنساني وأن استخدامها ضد المدنيين يتسبب في معاناة كبيرة تمتد لفترة طويلة بعد الهجوم، إذ تتسبب في تشويه الأجسام والتسبب في أضرار نفسية كبيرة للمجتمع المتضرر.

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام الأسلحة الحرارية في غزة، يتم بشكل منتظم، كجزء من حرب الإبادة الجماعية الشاملة، مما يجعل من الضروري أن يتدخل المجتمع الدولي فوراً وبشكل أكثر فاعلية من أجل الحد من استخدامها والضغط على الكيان الصهيوني من أجل وقف استخدامها ضد المدنيين. القانون الدولي الإنساني يحظر استخدام القنابل الحرارية والأسلحة التي تسبب أضراراً غير متناسبة أو معاناة مفرطة للمدنيين في المناطق المأهولة بالسكان. كذلك اتفاقيات لاهاي لعامي 1899 و1907، واتفاقيات جنيف لعام 1949. كما يصنف نظام روما للمحكمة الجنائية الدولية استخدام القنابل الحرارية كجريمة حرب. ومع ذلك، فإن الولايات المتحدة ما زالت تزود جيش الاحتلال بهذه الأسلحة التي يستخدمها على مرأى ومسمع المجتمع الدولي. وهذا ما يثير التساؤل إلى متى يبقى الكيان الصهيوني فوق القانون، وتبقى الهيئات القانونية الدولية صامتة إزاء هذا الوضع اللاإنساني في غزة بالرغم من إدانة قادته بجرائم الحرب، وإصدار مذكرات جلب بحق رئيس الحكومة ووزير الحرب السابق. ومع ذلك، تتزايد الدعوات من قبل بعض الدول وبعض المنظمات الحقوقية لمحاسبة الكيان الصهيوني وإدانة قادته كمجرمي حرب. إلا أن العبرة في التطبيق خاصة في ظل غياب الصوت العربي.

في انشطار
المجتمع السياسي الإسرائيلي

موسى جرادات ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

ليس من المبالغة القول إن المجتمع السياسي في دولة الاحتلال، يعيش اليوم أعلى درجات التشظي والانشطار، بفعل عوامل وتراكمات متنوعة ومتعددة .

لكن أهم هذه العوامل، هي اختناق الصهيونية كأيديولوجيا، بحيث لم تعد قادرة على تلبية الحاجات الفعلية، لمعظم القوى السياسية التي أخذتها سنداً لها، فهي لم تعد قادرة على تقديم إجابات فعلية ومطمئنة، على أسئلة المستقبل الذي بدا غامضاً بالنسبة لمريديها .

هناك آراء كثيرة قد تخالف هذا التصور، ولديها أدلتها وبراهينها التي تستقيها من المشهد العام، والتي تظهر فيها الأحزاب الصهيونية بأبهى صورها وتجلياتها، عبر إعلانها عن ترجمة مشاريعها الأيدولوجية التوسعية، سواء في الخطاب السياسي العام الناظم لها، أو في سلوكها المعلن، لكن هذا الأمر الذي يتم التعبير عنه باندفاعة لا تلحظ وجود العوائق التي تفرمل هذا المسعى، كوجود الشعب الفلسطيني وتراثه النضالي، ووجود جملة من العوامل الإقليمية والدولية والتي على الأرجح لن تسمح لهذه القوى بالسير نحو أهدافها.

ها هو اليوم بنغفير يغادر الحلبة السياسية، عند أول عقبة واجهته، فيما سيموتريتش ينتظر المحطة الثانية للمغادرة، بينما نتنياهو يقامر حتى اللحظة الأخيرة، على قاعدة التغيرات والتبدلات التي يتأمل أن تساعده في البقاء، أما بقية القوى الأخرى والتي تسمي نفسها معارضة، فهي الأخرى مصابة بنفس الأورام والالتهابات الحادة، حتى ولو عقلنت خطابها، فالأزمة لا تتعلق بالتشكيلات الحزبية، بقدر ما هي أزمة أصابت البنى العامة بشكل كامل، ولن يستطيع الغرب مهما احترف الحلول، أن ينقذ هذا المريض من العمى الدائم .

صحيح أن ثمن التشظي الحاصل لديهم، دفعناه من دماء أهلنا في غزة والضفة، لكن العنف العاري الصادر من وعاء الصهيونية، سيرتد حتماً إلى داخلهم، فمن أشعل النار ستصله حتماً .

حقائق وأرقام

نقلاً عن صحيفة هآريتس العبرية:

- أقدَمَ منذ بداية الحرب على غزة 28 جندياً على الانتحار.
- شهد العام 2024 انتحار 21 جندياً، وهو الرقم الأعلى منذ عام 2015.
- أفادت منظمات الصحة النفسية الناشطة خارج إطار الجيش بارتفاع توجهات مواطنين في عمر التجنيد (18-20) سنة إليها خلال الحرب بنسبة 172%.

انتهاكات جسيمة وتعذيب وحشي يتعرض له الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

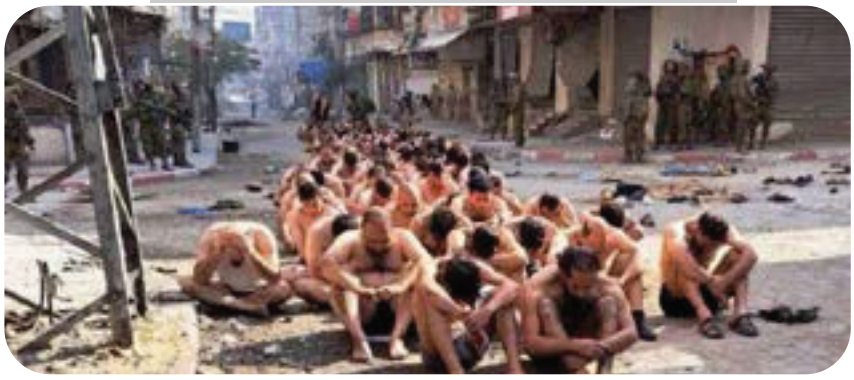

بعد الاستماع للسجناء الفلسطينيين المفرج عنهم في التفاهم الأخير بين المقاومة الوطنية الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي؛ تأكد إن إدارات السجون «الإسرائيلية» لا تتعامل مع الأسرى والأسيرات كبشر، وغالبيتهم وصفوا أوضاع السجون بأنها الأسوأ منذ احتلال الضفة الغربية عام 1967.

وفي تصريحات وأحاديث مع كثيرين ممن خرجوا من السجون الإسرائيلية قالوا: لم تكن الظروف بمثل هذه القسوة، سواء من حيث الاعتداء المتكرر على الأسرى والأسيرات أو رش الغاز المستمر، أو رداءة نوعية وكمية الطعام، أو سياسة العزل الانفرادي التي تمارسها سلطات الاحتلال.

إن ما يجري في السجون الإسرائيلية نتيجة لسياسة الحكومة الحالية ووزير ما يسمى الأمن القومي إيتمار بن غفير الذي يحاول أن يتعامل مع الأسيرات والأسرى وكأنهم ليسوا بشراً.

فمنذ السابع من تشرين الأول 2023 ازدادت أعداد المعتقلين الإداريين؛ وهو قرار حبس بأمر عسكري «إسرائيلي» بزعم وجود تهديد أمني، ومن دون توجيه لائحة اتهام، ويمتد إلى 6 شهور قابلة للتمديد.

ويذكر غالبية الأسرى أنه قبل الإفراج عنهم تم التعامل معهم بقسوة كبيرة جداً حيث تعرضوا للاعتداء بالضرب بشكل عنيف ومبرح، في محاولة لإذلالهم وإهانتهم بشكل مقصود ومتعمد.

والحقيقة

أن قضية الأسرى والأسيرات جزء هام ورئيسي من قضايا شعبنا ويجب التصدي بشكل وطني لكل السياسات التي تمارس بحقهم لحين تحررهم جميعاً. وسلطات السجون الإسرائيلية لا تميز بين الأسرى والأسيرات فالجميع يتلقى معاملة قاسية: استفزاز ليلي، مصادرة كل شيء حتى الملابس، حرمان من الزيارات. ناهيك عن وجود عدد كبير من الأسرى في زنازين انفرادية وظروف قاسية جداً. وحسب ما روي أن الاحتلال الإسرائيلي الذي يمارس الإرهاب والقتل وجميع أشكال الإجرام والتعسف مع الفلسطينيين وعلى أرضهم الطاهرة؛ تعمد تأخير تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار في غزة لإفساد فرحة الفلسطينيين بإطلاق سراح الأسرى. فهذا الكيان الذي يغتصب الأرض الفلسطينية منذ ما يزيد عن 77 عاماً؛ يحاول قتل فرحة أهالي الأسرى بتأجيل وقف إطلاق النار في اللحظات الأخيرة، رغم أن تحضير قوائم الأسماء لا يحتاج إلى كل هذا الوقت. وهذه التصرفات تعكس عقلية الإرهاب والإجرام والغطرسة واحتقاره لحقوق الفلسطينيين، فالاحتلال بعقليته الصهيونية لا يعترف بإنسانية الشعب الفلسطيني ويرى أن الإسرائيليين فقط هم من يستحقون الفرح.

وليكن معلوماً أن حكومة هذا الكيان لم تدخل الهدنة طواعية، بل أُجبرت عليها بفعل صمود المقاومة والشعب الفلسطيني، فالجيش الإسرائيلي لم يحقق أية أهداف إستراتيجية في حربه على غزة.

فالاحتلال لم يعد لديه أهداف في قطاع غزة، فهو يجتاح المناطق نفسها للمرة الثالثة، ومع ذلك ظلت المقاومة مستمرة في القتال والتصدي والتحدي. فالمقاومة الوطنية والشعب الفلسطيني هم من فرضوا هذه الهدنة على إسرائيل، إلى جانب العوامل الإقليمية والدولية التي ضغطت على الاحتلال لوقف القتال.

فالمشاهد التي أظهرت الحشود الفلسطينية وهي تهتف للمقاومة الوطنية الفلسطينية، كانت أكبر رد على مزاعم الاحتلال بأنه قضى على المقاومة أو فككها. إن الشعب الفلسطيني خرج بالآلاف رغم الدمار، يهتفون للشهداء ويؤكدون استمرار المقاومة، وهذا وحده كافٍ ليغيظ حكومة العدو الإسرائيلي ومن يدعمها؛ وهذه المشاهد أثبتت أن غزة لم تنكسر، وأن المقاومة لا تزال قوية، رغم كل ما تعرض له القطاع من إرهاب وقصف ودمار وتخريب.

وأكثر ما أغاظ نتنياهو وحكومته ومن يدعمه؛ هو قضية المحتجزين الإسرائيليين لدى المقاومة، وقدرة المقاومة على الاحتفاظ بهم طوال هذه الفترة، رغم القصف الإسرائيلي المتواصل، مما يعد إنجازًا عسكريًّا كبيرًا للمقاومة. فإسرائيل كانت تراقب القطاع بطائراتها وطائرات دول أخرى، ومع ذلك نجحت المقاومة في الحفاظ على الأسرى وإطلاقهم بصحة جيدة. هذا دليل على قوة المقاومة وانضباطها. فيما العدو الإسرائيلي مارس الإجرام والوحشية بحق العديد من الأسرى الفلسطينيين الذين استشهدوا بسبب التعذيب والإهمال الطبي في سجون الاحتلال، بينما خرج الأسرى الإسرائيليون من غزة في حالة جيدة؛ مما

يبرز الفرق الأخلاقي بين تعامل المقاومة الوطنية الفلسطينية وتعامل الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى.

وحسب ما ورد في المرحلة الثانية من المفاوضات حول تبادل الأسرى العسكريين فإن الاحتلال سيحاول المناورة والمماطلة في هذه المرحلة، لكنه في النهاية مضطر إلى التفاوض. ربما يقوم نتنياهو بمحاولة عرقلة الصفقة لاستعادة شعبيته، لكن في النهاية المسار واضح: وقف القتال، إدخال المساعدات، وانسحاب الاحتلال تدريجيًّا. فالمقاومة الوطنية لن تقدم أي تنازلات مجانية، فالجنود الإسرائيليون الأسرى لهم ثمن مختلف؛ مما يعني أن المفاوضات بشأنهم ستكون مختلفة ولا بد للمقاومة أن تفرض شروطها. فالمقاومة حققت انتصارًا إستراتيجيًّا في هذه الجولة، بينما خرج الاحتلال الإسرائيلي من الحرب دون تحقيق أي من أهدافه المعلنة. فإسرائيل فشلت في القضاء على المقاومة، وفشلت في استعادة أسراها بالقوة، واضطرت إلى الدخول في اتفاق رغمًا عنها.. المقاومة فرضت معادلتها، وهذه الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع.

فنتنياهو لم يستطع القضاء على «حماس» والمواجهة العسكرية للاحتلال مع المقاومة لم تعد مجدية. وقد أوضح المحلل الإسرائيلي يوآب شتيرن، «أن تل أبيب تتفاوض مع حماس لاستعادة المختطفين، وهو ما يمثّل اعترافًا ضمنيًّا بعدم القدرة على القضاء عليها».

وعلى هذا أفرجت السلطات الإسرائيلية، ليلة الأحد/ الاثنين 18 - 19 من الشهر الجاري (كانون الثاني/ يناير 2025)، عن عشرات الأسرى الفلسطينيين، بينهم نساء وأطفال، من سجن عوفر غرب مدينة رام الله في الضفة الغربية المحتلة، ضمن المرحلة الأولى من اتفاق وقف إطلاق النار بين المقاومة الوطنية الفلسطينية متمثلة بحركة «حماس» وإسرائيل بوساطة دولية وإقليمية.

وأفرجت حكومة الاحتلال العسكرية عن عدد من الأسرى المقدسيين مباشرة إلى منازلهم في مدينة القدس، حيث أكدت مؤسسات حقوقية فلسطينية نشر أسماء 90 أسيراً، بينهم 20 طفلاً وفتى، ممن شملتهم المرحلة الأولى من الاتفاق.

وإجمالاً، تحتجز حكومة الاحتلال الإسرائيلية أكثر من 10 آلاف و400 أسير فلسطيني في سجونها، وتقدر حالياً وجود نحو 96 أسيراً إسرائيلياً بغزة، أعلنت حماس مقتل عشرات منهم في غارات إسرائيلية عشوائية.

وقد بدأ صباح الأحد (2025/1/19) ، سريان اتفاق لوقف إطلاق النار بين الفلسطينيين في غزة والاحتلال الإسرائيلي، ويستمر في مرحلته الأولى لمدة 42 يوماً، يتم خلالها التفاوض لبدء مرحلة ثانية ثم ثالثة.

وحسب الاتفاق تطلق حماس في المرحلة الأولى سراح 33 أسيراً وأسيرة إسرائيليين، مقابل أسرى فلسطينيين يتوقف عددهم على صفة كل أسير إسرائيلي إن كان عسكرياً أم مدنياً.

وبدعم أميركي، ارتكبت إسرائيل منذ 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 إبادة جماعية بغزة، خلفت أكثر من 157 ألف شهيد وجريح من الفلسطينيين، معظمهم أطفال ونساء، وما يزيد على 11 ألف مفقود، وسط دمار هائل ومجاعة قتلت عشرات الأطفال والمسنين، في إحدى أسوأ الكوارث الإنسانية بالعالم.

وكان من بين المفرج عنهم القيادية بالجبهة الشعبية خالدة جرار .

من جهتها؛ كشفت وزارة الأسرى والمحررين في قطاع غزة عن استشهاد العشرات وعن أشكال التعذيب الممنهج في سجون الاحتلال، في حين نقل أول محام زار معتقل سديه تيمان الإسرائيلي شهادات عن الانتهاكات الإسرائيلية.

وأوضحت الوزارة أن 36 أسيراً من غزة الذين اعتقلوا خلال الحرب استشهدوا تحت التعذيب، ونتيجة ظروف الاعتقال القاسية.

وأشارت إلى استشهاد 54 أسيراً من كل المحافظات الفلسطينية نتيجة التعذيب والاعتداء الممنهج.

كما نقلت الوزارة شهادات معتقلين أُفرج عنهم، كشفوا خلالها عن أشكال التعذيب التي يتعرض لها الأسرى الفلسطينيون، ومنها الصعق بالكهرباء والتجويع وتقييد الأيدي والأرجل وإطلاق الكلاب الشرسة، وممارسات أخرى.

ومن بين صنوف التعذيب أيضاً تعرية المعتقلين بالقوة وبشكل متكرر، وتعصيب الأعين لفترات طويلة، والتجويع الممنهج، والشبح (تعليق بالسلاسل)، والحفر على الجسم بآلة حادة، فضلاً عن الحرمان من النوم والاستحمام والرعاية الطبية، والتعرض لدرجات حرارة منخفضة، ودعوة مسؤولين ومدنيين إسرائيليين لمشاهدة عمليات التعذيب التي تمارس ضد السجناء الفلسطينيين كنوع من استعراض الإجرام والوحشية والنازية الجديدة التي يمارسها الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني وعلى أرض فلسطين.

وفي لقاء مع المحامي خالد محاجنة -الذي يعد أول محام يدخل معتقل سديه تيمان الإسرائيلي في صحراء النقب- قال: إن المعتقلين الفلسطينيين يتعرضون لصنوف من التعذيب، بينها الاغتصاب والضرب والإهمال الطبي.

وكشف محاجنة أن بعض الأسرى بترت أطرافهم، وخضعوا لعمليات جراحية دون تخدير، وذلك وفق ما أبلغه به الصحفي المعتقل محمد عرب.

وفي بيانها، لفتت وزارة الأسرى والمحررين في قطاع غزة، إلى أن سجون الاحتلال أصبحت عبارة عن مقابر جماعية لآلاف الأسرى الفلسطينيين، وسط تجاهل من مؤسسات دولية.

وأضافت أن الاحتلال يواصل تنفيذ جرائمه ضد الإنسانية بحقهم، وأبرزها جريمة الإخفاء القسري.

وحمّلت الوزارة إسرائيل المسؤولية الكاملة عن هذه الجرائم المستمرة بحق الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال.

وطالبت المؤسسات الدولية والحقوقية والأممية بزيارة سجون الاحتلال ومراكز التحقيق كافة، للوقوف والكشف عن ملابسات ما يتعرض له الأسرى من انتهاكات جسيمة وجرائم وحشية.

ومنذ بدء المعارك البرية في غزة؛ اعتقلت إسرائيل آلاف الفلسطينيين، بينهم نساء وأطفال وعاملون في الطواقم الصحية والدفاع المدني، جرى الإفراج لاحقاً عن عدد ضئيل منهم، في حين لا يزال مصير الآخرين مجهولاً، دون وجود إحصائية رسمية.

جيش إسرائيل
مرحلة بن غوريون

أكرم عطا الله ـ كاتب صحفي فلسطيني ـ بريطانيا

جاءت استقالة رئيس الأركان الإسرائيلي لتتوج سلسلة استقالات في الأمن والجيش الإسرائيلي بدأت منذ عام افتتحها رئيس قسم الدراسات في الاستخبارات العسكرية ومن ثم رئيس الاستخبارات تامير هايمان لكن رئيس الأركان أكبر رتبة في الجيش الإسرائيلي يقدم استقالته المتوقعة منذ فترة ولكنها لن تكون الأخيرة في ارتدادات الزلزال الذي هز المؤسسة العسكرية والأمنية فإسرائيل حتى كتابة هذا المقال على موعد مع استقالة رونين بار رئيس المخابرات ليترك كل من كان شاهداً على السابع من أكتوبر وجوده في العمل العام مغادراً بوصمة السابع من أكتوبر.

سارع نتنياهو مبكراً في بداية الحرب لتحميل خصومه العسكريين المسؤولية من خلال تغريدة نشرها على موقع « x» بعد ثلاثة أسابيع من بدء الحرب محاولة للنأي بنفسه عن الفضيحة لكن الصدمة التي بدت على الإسرائيليين وردود الأفعال دفعته لإزالتها والاعتذار. لكنها كانت بداية الحملة المنظمة ضد الجيش التي أطلقت العنان لتيار اليمين في السلطة للهجوم لتترنح المؤسسة تحت وطأة ضرباته وتنتهي بتلك الاستقالات.

تتحمل المؤسسة العسكرية بأنها ضبطت متلبسة بالعجز يوم السابع من أكتوبر. وخاصة بعد نتائج تحقيق الجيش الذي أظهر خللاً كبيراً فقد وردت المؤسسة الأمنية والعسكرية معلومات عن تحركات مريبة لعناصر حماس ليلة السابع من أكتوبر لكن المؤسسة لم تتعاطَ معها بجدية لينتهي الأمر بما حدث. وتلك تعتبر أدلة كبيرة على استهتار المؤسسة بدورها ومهمتها.

نتنياهو الماكر يعرف كيف يستغل أسوأ الظروف ويحولها باتجاه مصالحه قد جاءه السابع من أكتوبر فرصة للاستقواء على المؤسسة العسكرية التي كانت تمثل الدولة العميقة التي وقفت ضد مخططاته وخصوصاً في ما يتعلق بالثورة القضائية التي حاول من خلالها الهيمنة على السلطة القضائية وتعيين القضاة للإفلات من محاكماته لكن الجيش ومن خلال وزير الدفاع الذي صوت ضد التغيير حال دون تحقيق رغبة نتنياهو .

حينها ثارت ثائرة اليمين الذي أدرك قوة الجيش في الدولة وبدأ حملته المبكرة قبل الحرب لإضعاف تلك القوة وترددت المقولة الأهم لوزير الأمن القومي السابق رئيس حزب عوتسما يهوديت ايتمار بن غفير بأن إسرائيل هي دولة الجيش ويجب أن يكون الجيش جيش الدولة. ما يعني أن هناك صراعاً قبل الحرب جاءت ضربة السابع من أكتوبر التي ترنحت سمعة الجيش على وقعها لتعطي أوراق قوة في يد اليمين وخاصة نتنياهو الذي كان يخوض معركته ضد البنى العميقة في الدولة.

أعلن وزير الدفاع غدعون ساعر فور تلقي رسالة الاستقالة لهرتسي هاليفي والتي ستدخل حيز التنفيذ في السابع من مارس القادم أنه سيبدأ بإجراء مقابلات للمرشحين لخلافة هاليفي وهو ما أثار غضب بنيامين نتنياهو خشية من تشاور وزير الدفاع مع هيئة الأركان وتعيين شخصية مهنية من المؤسسة قد تحمل نفس مواقف الجيش وخصوصاً أن الأمر يتعلق أيضاً بمستقبل نتنياهو السياسي واستقرار حكومته التي قد يفجرها تجنيد المتدينين وكان هاليفي ومن خلفه مؤسسة الجيش تطالب بتجنيدهم عكس رغبة الأحزاب الدينية التي يمكن أن تفجر الحكومة إذا ما جرى ذلك ما يعني أن نتنياهو وبكل الظروف يبحث عن شخصية ضعيفة قريبة لليمين موالية له وليس بالضرورة شرط الكفاءة المهنية لأن هذا الشرط حالياً يتعارض مع مصالح نتنياهو ومصالح الائتلاف والكتل المشكلة له.

استقالة قادة الجيش والأمن يعني إخلاء الساحة لإعادة تركيبه من جديد على يد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وتابعه وزير الدفاع إسرائيل كاتس وفقاً لاعتبارات مختلفة تماماً مع اعتبارات بن غوريون الذي أقام هذا الجيش ووضع كل ممكنات الدولة بين يديه حامياً للمشروع الإسرائيلي وبقاءه بعيداً عن سيطرة السياسيين ومصالحهم وخلافاتهم ومنافساتهم الحزبية.

يبدو أن تلك المرحلة انتهت ويسدل الستار على الجيش المهني لصالح الجيش اليميني الأيديولوجي الذي يتوافق مع انزياحات المجتمع الإسرائيلي منذ سنوات فخلال المرحلة السابقة وصل كثير من المتدينين لمراتب في الجيش وصلت إلى درجة مقدم وعقيد ولم يبق غير الطبقة العليا في الجيش. ها هي الآن تستكمل فقد وقعت تفاحة الجيش في يد نتنياهو وهذا سيترك أثره على إسرائيل والمنطقة وعلى الفلسطينيين ومشروعهم عندما يكون ذراع القوة جيش أيديولوجي مؤمن بأيديولوجية اليمين وفكرة أرض إسرائيل الكبرى... نحن أمام تحولات كبرى ستبدأ من الجيش ولا تنتهي...!

الحرب المتنقلة والانقسام المستمر

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

تزامن مريب بين اقتحام قوات الاحتلال الصهيوني لمدينة جنين ومخيمها وبين وصول الرئيس الأمريكي للبيت الأبيض بتاريخ 2025/1/20 الذي ضغط لإبرام اتفاق وقف إطلاق النار على ثلاث مراحل في غزة مقابل إطلاق يد الاحتلال في الضفة الفلسطينية، وبذلك تشكّل جنين ومخيمها محطة أخرى للعدوان الصهيوني المتنقل بين مدن الضفة ومخيماتها، فيما اصطدمت قوات الاحتلال بالمقاومين الذين يخوضون اشتباكات معها في عدة نقاط لعرقلة تقدمها!.

لم يعد لكلمة «سلام» وجود في القاموس الصهيوني العام، حتى قبل تولي حكومة اليمين الكاملة الحالية سدة الحكم في كانون الأول 2022، وفور تشكّل هذه الحكومة أعلنت في توجهاتها الرئيسية أن «للشعب اليهودي حقاً حصرياً لا يمكن التشكيك فيه على أرض يهودا والسامرة وإسرائيل الكاملة».

والتزم نتنياهو بوثيقة الاتفاق الائتلافي مع اليمين الديني بانتهاج «سياسة تفضي إلى فرض السيادة الإسرائيلية على الضفة الغربية والقدس» - وبأن يعمل على تحقيقها – وفي الوقت نفسه وعدت الحكومة باستمرار السعي نحو اتفاقيات تطبيع إضافية مع العرب تكفل تصفية القضية الفلسطينية، وهذا يعني حتى وفقاً لقراءات «إسرائيلية» أن نتنياهو يريد «إنهاء الصراع»، ولكن في الوقت نفسه ضم الضفة الغربية وتجريد الشعب الفلسطيني من أية حقوق قومية، بما في ذلك قطاع غزة وأراضي عام 48 المحتلة.

عند هذا الحد نعيد التذكير بالتالي:

أولاً: ينفي اليمين الصهيوني أن الفلسطينيين شعب، وهذا موقفه الثابت حتى في الجهة المعارضة له من بقايا اليسار ويمين الوسط فهم لا يتحدثون عن سلام مع الشعب الفلسطيني، بمعنى آخر المشكلة كامنة في السياسة الصهيونية التي ترى الفلسطينيين مجموعة من الرعايا دون أي حقوق، وليسوا مؤهلين لإنجاز حق تقرير المصير.

ثانياً: لم يعد هناك حضور لمصطلح السلام أيضاً، في ضوء وضع سياسي تشهد فيه دولة الاحتلال تحسّناً غير مسبوق بعلاقاتها مع النظام الرسمي العربي، إثر «اتفاقيات إبراهام» التي سيعمل الرئيس ترامب على إحيائها من جديد بحيث تشمل السعودية ودول شمال أفريقيا!..

- المصالحة الفلسطينية الجزئية:

اليوم وبعد هدوء إعصار المقتلة في غزة، واندلاع المواجهات الفلسطينية – الصهيونية في الضفة.. هل يمكن اعتبار ذلك مدخلاً لتحقيق المصالحة الفلسطينية – الفلسطينية، حيث ينبغي أن تسرّع الجهود المبذولة من أجل تحقيق مصالحة ولو جزئية عبر تشكيل حكومة تكنوقراط من خارج الفصائل، أو هيئة إسناد مجتمعي – التسمية ليست مهمة – لإدارة قطاع غزة وإعادة إعماره علماً بأن ما رشح عن حوارات بكين 2024 ومن ثم القاهرة 2025 كانت مشجعة، إن إنجاز أي اتفاق فلسطيني مرحلي أفضل من انتظار تحقيق المعجزة المتمثلة بإنهاء الانقسام بالكامل، ليس لأن الانقسام لن ينتهي، إنما لأن توقّع تحقيقه كاملاً يعني استمرار المعاناة الناتجة عن وجوده أصلاً، يمكن تحقيق إنجاز نسبي، وتخفيف وقع آثار الحرب حتى يعود لأهلنا في غزة بعض من الأمل إذ ينبغي تجسيد بعض الخطوات الواجبة من أجل رأب الصدع الداخلي، فكل شيء في الوطن متصدع، وحالنا لا يسر صديقاً ولا يغضب عدواً، وعذابات شعبنا لم تعد

لغات الأرض كلها قادرة على وصفها.. لذلك علينا البحث عن مخرج من الداخل، وأن نتحدث معاً بصوت مرتفع، ونبحث عن الوسائل التي تنهي بعض العذابات التي يواجهها شعبنا،، لعل الوسائل الجزئية تفضي إلى الطريق الرئيس الذي يخرجنا من حلكة الانقسام، الاتفاق المرحلي النسبي أفضل من انتظار الحل النموذجي، ومن شأنه أن يوحد الجهود في الوطن والشتات، ويكون نتيجة طبيعية لإدراكنا لحجم التحديات التي تواجه شعبنا، ونعمل بشكل مشترك وجمعي لتجاوز محنة الدمار والقتل والتجويع والتهجير!..

الكل يعرف الصحيح، وجميعنا يعرف ما هو السبيل لإنهاء الانقسام، لكن يبدو أن كل ما جرى لم يغيّر كثيراً في مواقفنا ووجهات نظرنا..

يبدو السياق الفلسطيني عاجزاً عن رؤية حقيقة ما جرى، أو وعي تلك الحقيقة، نحن نتقاتل على ركام غزة وجنين، ونختلف على إدارة مكان لا يحتاج لإدارة فحسب، بل إلى موقف موحد جماعي كي نصرخ بوجه المجتمع الدولي القاسي بصوت واحد، كي ننعي شهداءنا ببيان واحد كي نسير نحو نهاياتنا المؤلمة موحدين!..

ينبغي أن يصبح التوافق الوطني الفلسطيني جزءاً من الجهود الجماعية لإدامة وقف إطلاق النار.. فالمسؤولية جماعية، وليست مسؤولية فصيل بعينه، فمن شأن هذا التوافق إنقاذ ما يمكن إنقاذه سعياً وراء المحافظة على حقوق شعبنا والتمسك بها، المؤكد أن الجهود المبذولة في إطار التواصل والحوار بين حركتي «حماس وفتح» ينبغي أن لا تعتريها المصالح الفصائلية الضيقة، وأن لا ترتهن إلا للمصلحة الوطنية العليا، فعبر هذا التوافق فقط يمكن أن نجد مخرجاً يصلح لأن يكون بديلاً شاملاً لتحقيق الوحدة وتوحيد طاقات شعبنا وبالتالي التوصل الجمعي نحو مشروع الخلاص الوطني!.

في هذا السياق ينبغي متابعة تشكيل حكومة تكنوقراط مستقلة أو هيئة إسناد مجتمعي لإدارة قطاع غزة مؤقتاً، بحيث تكون مهمتها توزيع المساعدات والتخطيط لإعادة الإعمار وترميم القطاع الصحي والتعليمي قبل أن تصبح بحد ذاتها مهمة صعبة صعوبة إنجاز المصالحة وصعوبة حل الصراع العربي – الإسرائيلي، فثمة من يقول: إن وعينا لم يرتق بعد إلى وعي جمعي وحدوي!.

أسوأ ما في حالتنا الوطنية هو عجزنا عن التفكير الجمعي بوصفنا شعبنا واحداً لم ينجز مهمات التحرر الوطني حتى اليوم، لا يوجد شعب لديه مشكلة بحجم مشكلتنا، وتعرض لحرب إبادة مثل هذه التي يتعرض لها شعبنا، وعانى من ويلات الحروب والتشرد والمذابح، وتعرض لمحاولة إفناء كالتي تعرضنا لها خلال النكبات المتوالية.. نقول هذا لأنه لا يوجد شعب يتعرض لذلك كله ويظل منقسماً، كما أن تجارب الأمم لم تخلُ من حروب داخلية أفضت في نهاية المطاف إلى اتفاق وتوافق وطني شامل وعريض مرتكزاً للدولة القومية كما نعرفها، طبعاً مع اختلافات طفيفة تتصل بالسياقات الوطنية لتجارب الشعوب، بيت القصيد هنا أن الصراعات الداخلية كانت دوماً جزءاً من بحث الشعوب عن المشترك فيما بين مكوناتها المختلفة، ورغم ما قد يثيره هذا من تحفظات إلا أنه ليس صحياً تماماً في الحالة الفلسطينية، حيث إن طبيعة ما نتعرض له من حرب إبادة منذ نكبة عام 1948 وسعي الحركة الصهيونية لطمس وجودنا وتبديد هويتنا والحلول مكاننا، ذلك كله ينبغي أن يجعلنا أكثر وعياً بأن الخلاف الداخلي والصراع الأهلي ليس إلا مكافأة للعدو وتمكينه من تحقيق أهدافه الكولونيالية.. وعليه فإننا بذلك لا نفعل شيئاً أكثر من المساهمة في المشروع الجهنمي الذي يستهدف شعبنا ويستهدف وجوده في وطنه الأصلي وخارجه.

علينا أن نأخذ التصريحات الأخيرة الصادرة عن الرئيس الأمريكي ترامب على محمل الجد حين «توعّد غزة» إذا لم يُطلق سراح «الرهائن الإسرائيليين».. ترامب هذا، الذي حقق ما وعد به من إنجاز الهدنة في لبنان إرضاءً لناخبيه، لم يتحدث صراحة عن إنجاز هدنة في غزة، ربما قد يكون راغباً في «وقف الحرب» لكن وقف الحرب بالنسبة إليه هو تحقيق «إسرائيل» لمطالبها جميعها، وهو بذلك يضع صفارة الحَكَم لإنهاء المباراة بيدها، رغم أن التفاصيل قد تجلب كثيراً من التغيير بعد العشرين من كانون الثاني 2025 «غير أننا لسنا أمام مرحلة مبشّرة، وعلينا أن نتوقع أن تواصل «إسرائيل» حربها في الضفة الغربية، فبعد جنين ومخيمها سيكون الدور على مخيمات نور شمس، بلاطة، الفارعة، والحبل على الجرار!..

اليوم، كل كائن حي يتحرك في مخيم جنين تقوم قوات الاحتلال باستهدافه، وتهدم أي بيت تظن أن فيه حركة أو قاطنين، فمشروع إفراغ مخيمات الضفة الغربية بعد شمال غزة يسير بمنهجية إرهاب الدولة المنظم.. لنتذكر أن إفراغ البلاد وتهجير القرى لم يحدث دفعة واحدة عام 1948، بل عبر عملية ممنهجة قامت بها العصابات الصهيونية، وبعد ذلك استكمل الكيان اللقيط مهمة طرد الأهالي والسكان وهدم مدنهم وقراهم!.

غداة كشف النقاب عن محضر مصادقة حكومة رابين على اتفاقية أوسلو 1993 يتضح أن ما جاء في ذلك المحضر مثير للغاية بما غاب عنه، إذ تجنب التطرق إلى الاحتلال الصهيوني أو إلى حق الشعب الفلسطيني في الحرية والعودة وتقرير المصير، وحسب صحيفة هآرتس «الإسرائيلية» أن إسرائيل حتى عندما كانت تمسك مقاليد الحكم فيها حكومة يسارية لم تكن تنوي الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967 أو أن تقيم فيها دولة فلسطينية، وكما أن رابين في حينها عارض أي نقاش بشأن القدس وشدد على أهمية استمرار السيطرة على «الأراضي العامة» أو «أراضي الدولة» وتمت تسميتها بمناطق «ج» وتساوي مساحتها 60% من مساحة الضفة الغربية، وذلك بهدف الاحتفاظ باحتياطي أراضٍ في سبيل توسيع المستوطنات، ووعد رابين بإقامة سلطة فلسطينية تعمل مقاولاً أمنياً لدى جيش الاحتلال، وتعمل على كبح الانتفاضة ولا شيء أكثر من ذلك!..

سياسة نتنياهو والتحدي الفلسطيني

أحمد عويدات ـ كاتب فلسطيني ـ السويد

شهد العالم على مر التاريخ شخصيات عديدة مؤثرة وفاعلة في حياة الشعوب لا تزال ذكراها لا تبارح الذاكرة البشرية، وكان بعضها غامضاً ومثيراً للجدل، والبعض الآخر غريب الأطوار مثيراً للتساؤل، وآخرون أحزنوا البشرية بأفعالهم، وكثير منهم كان إنساناً أسعد البشرية وساهم في تقدّمها ورقيّها، لكن لا تَعجبْ أن ترى في يومنا هذا شخصية فريدة تمثل خليطاً من البربرية والتترية والنازية والميكيافيلية والجابوتنسكية؛ هذه الشخصية تتجسد في بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني.

لسنا هنا في معرض الحديث عن السمات الشخصية لهذا الكائن، ولكن لإلقاء بعض الضوء على سياسته ومواقفه النابعة من هذه السمات، وقدرة شعبنا الفلسطيني على استمرار التحدي.

إن سيد الإبادة، يستخدم دائماً جملاً طنانة يحاول فيها رفع معنويات جمهوره ومستمعيه، ويحاول أن يرسل رسائل عديدة بعضها للداخل والآخر للخارج منها للحلفاء والشركاء ومنها للخصوم والمعارضين والأعداء. بكلامه المسهب أحياناً والمفكك أحياناً أخرى يستخدم نتنياهو جملاً مبهمةً مطاطةً، وأحياناً مرنةً تفتقر إلى الثبات والوضوح وما عليك أنت القارئ أو المستمع، أو المشاهد إلا أن تفهمها على طريقتك وعلى مستوى فهمك لها وإدراكك لسياسة سيد الإبادة والإجرام والعقيدة الجديدة التي يتبناها؛ مظهراً نفسه تارة التوراتي المحافظ وتارة أخرى اليميني المتطرف المخلّص والمدافع عن الوجود والاستقلال لدولةٍ مارقة. لسياسته عمود فقري واحد هو استمرار حربه العدوانية بلا أهداف، ورفض أي مبادرة سلام؛ وهذا يعني مزيداً من القتل وارتكاب المجازر، وهذا يعني أيضا إدارة الظهر لكل مبادرة ليس لوقف إطلاق نار دائم فقط في غزة، أو وقف الأعمال العدوانية في الضفة الغربية واجتياح مخيماتها، أو زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، بل تطال أيضاً رفضه لأية مبادرة تفضي إلى إنهاء الصراع في المنطقة وتحقيق السلام والاستقرار لشعوبها. سياسته تمليها عليه غريزة الحقد والانتقام والسادية والتلذذ بتعذيب الضحية، كما تمليها عليه مصالحه الشخصية وغرائزه المنفتحة على الدم وأشلاء الأطفال والنساء، تمليها عليه شهوته لتدمير الحياة بكل جوانبها كما فعل في غزة، سياسة تمليها عليه كل أشكال الإبادة من تجويع وتعطيش، ونشر الأوبئة والأمراض، وسحق كافة المنظومات الصحية والتعليمية والخدمية. إنها سياسة المتغطرس الذي يختبئ وراء أعماله الدنيئة والجبانة كالاغتيالات واستهداف المدنيين العزل وحرق خيمهم في مراكز الإيواء والمناطق التي زعم أنها آمنة، وحرق المشافي بعد حصارها وقصفها واعتقال وقتل طواقمها، كما فعل مؤخراً بمشفى الشهيد كمال عدوان. حتى أنه يستخدم ما ينتج عن الطبيعة من برد وحر، فيقتل الأطفال الخدج ويقتل المسنين والعجزة وذوي الأمراض المزمنة والجرحى، فلا دواء ولا غذاء ولا ماء ولا وقود. وكل هذه الجرائم يعتبرها انتصارات تكتيكية بانتظار ما دأب على التصريح به وهو تحقيق «الانتصار المطلق»، والذي يقول عنه إنه آتٍ بعد خطوة صغيرة، بيد أنه أمضى حتى الآن سنة وثلاثة شهور ولما تنتهِ هذه الخطوة بعد. إنها أيضاً، سياسة الديكتاتور المتغطرس الذي يضع العالم على كف يده ويقوده كما يشاء ويفعل به ما يشاء، فهو الذي يغيّر الشرق الأوسط الآن لكنه -على حد تعبيره - ما زال في عين العاصفة. ولربما سيغيّر العالم أيضاً؛ فهو الذي يفرض إرادته على كل من يلتقيهم، هو الذي يحدد ما يجب أن يُقال ولا يجب أن يُقال. هو القارئ الدقيق لأحداث اللحظة وهو المقرر الأوحد للفعل ورد الفعل الأوجب. سيد الإبادة هو من يفرض الشروط ويحدد النقاط التي على المقاومة في غزة أن تقبل بها ، وأن يخضع المنطقة لأقدام جنوده ومرتزقته. صحيح أنه يرسل وفده إلى المفاوضات، لكن يحدد له مسارات سياسته وما هو مطلوب من الطرف الآخر أن يوافق عليه وما على الوسطاء إلا الاستماع إليه وهز رؤوسهم بالموافقة على ما يراه. لقد أوجد سيد الإبادة والإجرام نهجاً سياسياً جديداً في التفاوض ينطوي على الإخضاع «أقول ما أشاء، وأسمع ما تقول وأفرض ما أشاء، وعليك القبول بما أشاء» إنه الآمر الناهي الذي لا يقبل رأياً ويفرض ما يفكر به وما على الآخرين إلا القبول والتنفيذ.

من ناحية أخرى، أجاد سيد الإبادة اللعب على الحبال والتناقضات فيضرب بسيف هذا وذاك كيفما يشاء وكما تشاء مصلحته، فهو البراغماتي دوماً؛ فيحمل سيف المعارضة التي تؤيد إلغاء حصانة الأونروا وحظر عملها في الأراضي المحتلة ليمرر هذا القرار أمام معارضيه، ويعتمد على جناحيه اليمينيين المتطرفين الأول

سموتريتش لإرضائه بتوسيع الاستيطان ولضمان بقائه بالحكومة وتمرير صفقة التبادل، فيجتاح جنين، والآخر بن غفير الذي يُصر على استمرار الحرب، وتسليح المستوطنين وتهويد الأماكن المقدسة، وتارة يحمل سيف غينيس وليبرمان وقادة عسكريين في رفض الانسحاب من الجنوب اللبناني والإصرار على فرض منطقة عازلة ومنع السكان من العودة إلى قراهم. وعلى الضفة الأخرى، شهد العالم مؤخراً كيف اعتمد على الجنرالات لتنفيذ خطتهم الدنيئة النازية، والتي لم يُشاهد مثيلاً لها في العالم؛ للإطباق على شمال غزة وفصله عن جنوبه، وحصاره المطبق وقتل أهله، ومنع المساعدات وتدمير المشافي. ودفع أهله للتهجير القسري، لكنه نسي أن فيها قوماً جبارين حطموا بصمودهم ومقاومتهم كل سيوفه وآلته العسكرية فانسحب وترك بيت حانون وجباليا وبيت لاهيا شاهداً على دحر ألوية النخبة ناحال وجيفعاتي.

ويجيد سيد الفاشية أيضاً، دبلوماسية الحمل الوديع فيقف مخاطباً العالم من على منصة الأمم المتحدة بمشروعه الجديد للشرق الأوسط فيحدثهم عن خريطة «البركة» كردٍ على خريطة «اللعنة» كما سماها، ويطالب العالم بدعمه، لكنه يرجع خائباً وتفشل سرديته الكاذبة أمام تأييد نحو ١٤٣ دولة لفلسطين. وأخيراً يلبس قناع الضحية مع زمرة من أبواقه ورجال إعلامه، فيظهر مدافعاً عن النفس؛ يُباح له قتل الأطفال كما أفتت بذلك وزيرة خارجية ألمانيا بيربوك، كما مُنح الوقت اللازم من بايدن المهزوم حتى يبيد ما تبقى من الغزيين هناك.

هي سيوف يخالها، سيد الإبادة والنازية لامعة حادة، ولكنها في حقيقتها صدئة تنكسر عند ناصية الحقيقة والإرادة الصلبة والفكرة التي لا تلين وتنكسر عند أصحاب الضمائر الأقلاء، وأصحاب القلوب العامرة بالإنسانية وحب الغير، تنكسر عند الأفواه التي لا تُكتم إلا بالموت، تنكسر سيوفه عند مقاومة رهنت روحها للوطن والشعب الذي يعاني منذ 76 عاماً.

هذا هو سيد الإبادة، وهذه هي سياسته وفكره، فهل هناك خيار آخر غير خيار المقاومة؟

لقد قالها ذات مرة أمام حفل تخريج دفعة جديدة من الضباط: «ليست الاتفاقات هي الأصل إنما قوتنا وقدرتنا على الدفاع وعدم التسليم لأعدائنا».

ولو أسقطنا سياسته على ما جرى من جولات المفاوضات التي عقدت حتى الآن حول صفقة تبادل الأسرى؛ لوجدنا أن جميعها تتسم بنفس الأوصاف والتطورات، وتدور كلها في حلقةٍ مفرغة، وما هي إلا مجرد «طبخة بحص» وتهدف إلى لا شيء، سوى انتزاع أقصى ما يمكن من مفاوضي المقاومة وصرف الأنظار عن الجرائم والمجازر التي تُرتكب بحق الغزاويين، ولولا ضغط عائلات الأسرى، وسقوط أعداد كبيرة من قتلى ألوية النخبة بفعل العمليات النوعية والمواجهات الضارية للمقاومة، إضافة إلى دور ترامب وتهديده القوي لما وافق على صفقة التبادل، والتي يحاول الآن مع المتطرفين المتدينين عدم إكمالها بمرحلتها الثانية؛ خاصة أنه لم يبقَ هناك أهداف عسكرية بل أهداف مدنية تتمثل بقتل المدنيين أطفالاً ونساءً صغاراً وكباراً، وتدمير ما تبقى من سبل الحياة، ويبقى الهدف الأسمى لنتنياهو، هو إطالة عمر حياته السياسية، والنجاة من السجن بتهم الفساد بحقه، أو الانتظار بحدوث أمر لربما يكون بمثابة طوق النجاة لتأمين نزوله عن الشجرة بأمان.

في واقع الأمر، إن نتنياهو وقادة حربه ليست لديهم أية رؤية مستقبلية لليوم التالي للحرب، وعلى اختلاف مشاربهم وآرائهم وأحزابهم، فإنهم لا يريدون أن يروا حماس في غزة، وهذا هو القاسم المشترك الأعظم بينهم. غير أن اليوم التالي كان مختلفاً بهويته وبندقيته الفلسطينية في ميدان فلسطين وسط غزة؛ لقد فاجأهم ظهور مقاتلي المقاومة المنظم والمنضبط والقوي بتلك الأعداد الغفيرة وبذلك اللباس والسلاح، وتلك السيارات البيضاء التي استخدمت يوم السابع من أكتوبر، وذاك الاحتضان الشعبي الكبير والحاشد، وذاك التنظيم والمراسيم المؤسساتية التي أظهرتها المقاومة أثناء عملية التبادل. لقد أغضب نتنياهو وقادة الكيان كثيراً ذاك الفرح والابتهاج العارم في استقبال الأسرى المحرّرين والوحدة الوطنية التي تجسدت بالاحتفاء بهم، والهتاف والزغاريد للمقاومة برغم تحذيرات قادة الكيان الأمنيين لهم؛ مما بدا كل ذلك تحدياً علنياً لهم سواء في رام الله معقل السلطة أو في غزة وخان يونس أو في أماكن سكن المحرّرين، لذلك عمل على عرقلة عودة النازحين إلى شمال القطاع متذرعاً بعدم إطلاق المقاومة سراح إحدى الأسيرات، وأيضاً مستغلاً تصريحات ترامب العدائية المكملة لخطط سلفه بايدن والتي طلب من خلالها من مصر والأردن استقبال سكان غزة مؤقتاً وكأنه تغليف وتوليف جديد لمشروع التهجير، وها هو مجرم الحرب نتنياهو يستعد للقاء ترامب لبحث هذا التهجير وفرص استئناف الحرب في غزة.

في نهاية المطاف، سيبقى صمود شعبنا وثباته على أرضه تحدياً جاثماً على صدور الاحتلال وداعميه، وسيبقى يوم تحرير الأسرى تاريخاً مفصلياً يقض مضاجع الصهاينة وحلفائهم؛ سقط فيه جبروتهم وصورتهم الزائفة وخطط جنرالاتهم وأهدافهم العدوانية. و يبدو من المؤكد أن نتنياهو وقادة حربه لم يستوعبوا الدرس جيداً ولم يقرؤوا السمات الحقيقية للشعب الفلسطيني الذي يتسم بالصلابة والعناد، وتتجلى فيه قيم التضحية والاستشهاد والجرأة والشجاعة، والترفع عن الذل والاستسلام والخنوع مهما بلغت الأثمان والكلف، ولم يستوعبوا أن الجينات الحالية ستورث جينات أكثر صلابة وأكثر عناداً وصموداً. وسيدفع الإسرائيليون ثمن قراءتهم الضعيفة للشخصية الفلسطينية، لذلك عليهم أن يدركوا بأن الفلسطينيين قادرون على تغيير المعادلة، والخاسر الأكبر هم الغزاة المحتلون، والنصر لمن ثبت أمام الهجمة الشرسة والإبادة المتعددة الأشكال، ومثالها في مخيم جباليا وبيت حانون وبيت لاهيا، واليوم في جنين ومخيمها.

الحروب الاقتصادية..
ألمٌ بلا جراح.. وحروب من دون نار

د. أدهم هندي شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

من أهم أدوات السياسة الخارجية، لأي دولة من الدول (الأداة الاقتصادية)، حيث تقع في منطقة وسط بين الأداة الدبلوماسية والأداة العسكرية، في الوقت الذي تخدم فيه الأداة الاقتصادية الدبلوماسية، إلا أنها لا تستبعد تماماً العمل العسكري.. وإن كانت كلتا الأداتان (الاقتصادية والعسكرية) تعدان امتداداً لحركة الأداة الدبلوماسية، لكن بوسائل متقابلة.. وبتكلفة متفاوتة.. وبعائد مختلف، وكذا بتوقعات متضاربة النتائج.

الحرب الاقتصادية:

يمكن تعريفها وفقاً لقاموس أكسفورد الإنجليزي على أنها إستراتيجية اقتصادية تقوم على استخدام إجراءات تكون الغاية الأساسية منها إضعاف اقتصاد دولة أخرى.

لطالما عرفت البشرية منذ الأزل الحروب الاقتصادية وذلك بهدف السيطرة على الموارد الاقتصادية ومنافعها أو بهدف تقويض القدرات الاقتصادية خلال الأزمات السياسية والعسكرية بين الأطراف المتحاربة .

ولذلك تعد الحرب الاقتصادية واحدة من أقدم أنواع الحروب التي عرفتها البشرية حيث كانت تأتي في شكل صراع على الموارد الاقتصادية فيما إلى ذلك تغيرت أنماط هذه الحروب مؤخراً لتصبح في شكل تقويض الأداء الاقتصادي والسيطرة على الأسواق من خلال حركة الواردات ورؤوس الأموال واحتكار إنتاج سلعة ما في بلد ما لصالح دولة ما وصولاً إلى الحرب الاقتصادية التي تتم من خلال الرقمنة واختراق البيانات والهجمات التقنية التي تضرب الاقتصاد الرقمي كما أنها تتشكل في أساليب وقرارات الرفض والاستحواذ الاقتصادي أو السعي لتحقيق ميزة سياسية أو اقتصادية.

في زمن الحرب، تعتبر الحرب الاقتصادية عاملاً مساعدًا هامًا للأعمال العسكرية مما يسهم في إضعاف اقتصادها أي أنها تدعم الأعمال العسكرية بشكل مباشر وعلى الرغم ذلك فإن الحروب الاقتصادية خلال السلم ترتكز على البعد الاقتصادي فقط أي أنها موجهة إلى الاقتصاد فقط وهو ما يعني أن جميع التدابير التي يمكن استخدامها في زمن الحرب قابلة للاستخدام أيضًا في زمن السلم.

في المقابل هناك بعض الحروب الاقتصادية التي تتخذ شكلاً نظامياً متعارفاً عليه كتلك التي يقوم بها المجتمع الدولي من خلال مواثيق هيئة الأمم المتحدة أو بعض الدول ضد الدول التي تخرج عن مبادئ السلم العام وتنتهك القوانين الدولية وأيضاً المنظمات الإرهابية لتقويض أضرارها على المجتمعات والدول .

تندرج تحت مفهوم الحروب الاقتصادية عدة اتجاهات مثل العقوبات الاقتصاديّة أو الحصار الاقتصادي أو المقاطعة الاقتصادية أو السيطرة على الأسواق بصناعة الأزمات الاقتصادية وغيرها .

إن الحروب الاقتصادية أشد فتكاً من الحروب التقليدية ذلك لأنها تهدم القدرات الاقتصادية كما أنها تشكل بعداً نفسياً يلامس بشكل مباشر حياة الناس بتوسيعها دائرة الفقر والبطالة وتحد كثيراً من عمليات التطور والنمو فاستخدام الأسلحة الاقتصادية أثناء الحرب له تاريخ طويل لكنه مع صعود العولمة وتطور سلاسل التوريد وتوسع قاعدة التبادل التجاري العالمي أعطى الحروب الاقتصادية قوة غير مسبوقة ليكون تأثيرها مدمراً ومؤلماً لكنه بلا جراح ولذلك أي انقطاع في توريد المواد الخام أو السلع الغذائية يكون الضرر أكثر بكثير من خسارة معركة حربية.

مجمل القول: لطالما كانت ولاتزال الحروب الاقتصادية واحدة من أقسى الحروب التي شهدتها البشرية وتكون أكثر ألماً عندما يؤخذ بها كأداة تكميلية للصراع المسلح، وفي ظل أي حروب اقتصادية فإن الاقتصاد العالمي سيكون في وضع دون المستوى الأمثل مما يتطلب المزيد من الجهود الدولية والتعاون الدولي الدؤوب لتجنيب الاقتصاد العالمي كافة الصدمات والصراعات المتعددة.

الفساد جزء هام في الحروب الاقتصادية

يشكل الفساد منظومة كاملة ومتكاملة، أسهم في الإثراء غير المشروع، وأحدث في السنوات القليلة الماضية، حالةً من الاحتقان الاجتماعي، وما سلِمَ حتى الآن من نار الحرب، يعبثُ به الفاسدون في مؤسسات الدولة، وتجار الحرب، لينحدر الاقتصاد من سيئ إلى أسوأ.

في كل الحروب، تظهر عمليات فسادٍ كبيرة، كصفقات بيع الأسلحة لطرفَي النزاع، أو استنفاد موارد الدولة من قبل العصابات، كما أن الفساد أيضًا لا يستغني عن الحرب، فعندما تنتهج الدول مبدأ مكافحته، تغطي عمليتها بمصطلح "الحرب على الفساد" كمدلول يُعزّز العلاقة الوطيدة بين الحرب والفساد.

في المناطق التي تعاني من اضطرابات أمنية، كمناطق حرب واشتباكات، أو حصار أو مناطق حدودية، يعمل البعض لا يهمه الشعب والنزاع، بل يهمه المال وهنالك من يتاجر بالبشر، يخطفون ويأسرون الرجال والنساء من أجل الفدية المادية، أو للتجارة بأعضائهم. والبعض الآخر يعمل في تجارة السلاح، فيبدؤون بترويج أسلحة جديدة، أو ذخيرة من جميع الأنواع، ويعرضونها للبيع لطرفي النزاع، دون تردد، وهذه الأسلحة التي غالباً ما يكونون قد حصلوا عليها بطرق غير مشروعة، كسرقة مخازن أسلحة تابعة للحكومة، أو شرائها من منظمات أو شركات تصنيع غير مرخصة، وليس لديهم مانع من بيع أسلحتهم وذخائرهم لمجموعات متطرفة أو عنصرية، فما يهمهم أولاً وأخيراً هو المال.

والبعض يحتكر المواد الغذائية ويبيعها بأسعار خيالية، يقومون بجمع المواد الغذائية، يضغطون على أصحاب المحال التجارية بالقوة والتخويف لرفع أسعار البضائع، أو إغلاق محالهم، ليستطيعوا اكتساح السوق، عن طريق الإشاعات الكاذبة والأخبار المزورة، ما يدفع الناس إلى الإسراع لمنقذهم من هذه الكارثة، وهكذا ينجح المخطط وتتكاثر الأموال بسهولة.

وهنالك من يتاجر بأرواح الشباب، ففي المناطق الحدودية تنتعش تجارة المخدرات والحشيشة بكافة بأنواعها، والمحروقات، فهو يبرم اتفاقات مع عدد من المسؤولين القابلين الرشوة من طرفي النزاع، لتسهيل طريق بضاعتهم والتغاضي عن بضاعتهم وميليشياتهم/ عصاباتهم، فهم قبل الحرب لم يكونوا سوى تجار خارجين عن القانون، وملاحقين من قبل الدولة، لكن الوضع المتأزم جعلهم يتمادون ويعملون بحرية أكبر، وإدخال كميات أكبر من المخدرات والحشيش، ونشرها بين الشباب، هذا كله يحدث في ظل غياب دور الدولة القوية، وهو استثمار الأزمة والحرب.

اختراق الأسواق والاحتكار والإغراق:

هو وسيلة لضرب الجهاز الإنتاجي الداخلي للدولة، وإضعافه، وعدم قدرته على المنافسة والمقاومة، وذلك باستغلال الاتفاقيات الدولية التي تتيح حرية التجارة العالمية، واختراق الأسواق عن طريق الاحتكار وتملك خطوط الإنتاج والصناعات الحيوية في الدول المراد تدميرها اقتصاديًّا. يعد اختراق الأسواق الداخلية من الدول الكبرى القادرة على شن حرب اقتصادية، من أهم الأسلحة المستخدمة في تلك الحرب، حيث يتم الاختراق للأسواق، وعمل الإغراق في بعض السلع والمنتجات.

1. المقاطعة الاقتصادية:

تعد المقاطعة الاقتصادية من أهم أسلحة الحرب الاقتصادية، وذلك من خلال مقاطعة كاملة لسلع إحدى الدول، وعدم الاستيراد منها أو التصدير إليها على الإطلاق، وذلك باستخدام المنتجات المنافسة لمنتجات تلك الدولة، وعدم إعطائها أي فرصة لترويج سلعها

التصديرية، وتُعَدُّ مقاطعة السلع الغذائية أكثر تأثيرًا، لأنها أكثر سرعة في التلف، تليها بعد ذلك السلع المصنعة.

2. الحصار الاقتصادي والعسكري:

ويمكن للمقاطعة الاقتصادية أن تدخل نطاقاً أوسع من ذلك، لتشمل الحصار الاقتصادي، ومنع دخول وخروج السلع للمنطقة الواقعة داخل الحصار الاقتصادي، وذلك من خلال فرض حصار بحري وجوي وبري، مثلما حدث مع العراق وليبيا وكوبا.

والحصار الاقتصادي أكثر أسلحة الحرب الاقتصادية فتكاً، لأنه يترتب عليه نقص في الأدوية والغذاء ومحدودية الاحتكاك بالعالم الخارجي، ما يترتب عليه نتائج اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى مثل المجاعات والأمراض.

سلاح العقوبات الاقتصادية بين العصا والجزرة

كثيرًا ما تلجأ الدول لخيار الأداة الاقتصادية في محاولتها خدمة مصالحها الوطنية، ودعمًا لأمنها القومي. الدول، وخاصةً الغنية منها، تلجأ لنظام المعونات الاقتصادية بمثابة «الجزرة»، التي تجذب الدول الأكثر احتياجًا لها، من أجل دعم الأخيرة السياسي وتعاطفها مع القضايا، التي تتصدى لها الدول المانحة للمعونات الاقتصادية، على المستويين الإقليمي والدولي. أيضًا: نفس الأداة تستخدم سلبيًا كـ «العصاة» للتأثير على سلوك الدول الأخرى لتتوافق مع مصالح وأمن الدولة أو الدول، التي تلجأ لنظام العقوبات أو المقاطعة الاقتصادية. في كلتا الحالتين تتفاوت عوائد وتكلفة اللجوء للأداة الاقتصادية، بتفاوت القضايا التي تُستخدم من أجلها.. وكذا بتفاوت حاجة ومكانة الدول موضوع نظام العقوبات الاقتصادية.

تكلفة العقوبات الاقتصادية الأخلاقية

الأخطر: في قرار اللجوء إلى نظام العقوبات الاقتصادية، ذلك البعد الأخلاقي الذي يطال جوانب إنسانية، كان يجب على طرفي الصراع، خاصةً: تلك الأطراف التي تلجأ لخيار المقاطعة والعقوبات الاقتصادية، عدم إقحامها والمجازفة بالأخذ بخيارها في معمعة الخلاف بينها. كثيرًا ما تتولد مآسٍ إنسانية نتيجة لفرض العقوبات الاقتصادية على دول هي في الأساس تعاني من مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية مزمنة، وفي أمس الحاجة للمعونة الاقتصادية، من أن تتعرض للعقوبات الاقتصادية، لأسباب ودواعٍ سياسية، هي في كثير من الأحيان، تمس قضايا السيادة الحساسة، أكثر من اعتبارها عقوبة على مروقٍ أو تجاوزٍ على قيم النظام الدولي المرعية.. أو لمواجهة سلوكٍ من شأنه أن يخل باستقرار العالم وأمنه، كما تحاول الدول التي تلجأ لخيار العقوبات الاقتصادية تصويرها، أو حتى اختلاقها، من أجل تبرير الأخذ بخيار العقوبات الاقتصادية لإدارة أهداف سياستها الخارجية.

في المقابل: وامتدادًا لهذا البعد الإنساني والأخلاقي السلبي لخيار العقوبات الاقتصادية، فإن الكثير من الدول، التي تتعرض لأنظمة العقوبات الاقتصادية، يهمها استقرار أنظمتها السياسية، ولا تلتفت للآثار السلبية لاستمرار العقوبات الاقتصادية على شعوبها. في هذه الحالات: تتغلب شعارات الحفاظ على السيادة.. وبقاء الدولة، واستقلال قرارها السياسي، ولو من باب المزايدة السياسية، على مدى فاعلية النظام السياسي وكفاءته في أداء وظائفه والقيام بأعباء مسؤولياته، ومن ثَمّ محاولة تسخير موارد الدولة المحدودة والفقيرة، ليس من أجل مقاومة تبعات العقوبات الاقتصادية.. وتخفيف عبئها عن الناس، بل لترسيخ دعائم النظام السياسي القائم، وتشديد قبضة استبداده.

إن الضغوط التي تُمارس على الدول موضوع العقوبات الاقتصادية، قد لا تقود إلى تغيير في سياساتها وتوجهاتها، بقدر ما تقود إلى ترسيخ دعائم أنظمتها السياسية، مهما كانت قمعية، بضخ المزيد من الموارد الفقيرة والمتناقصة في شريان النظام السياسي، بهدف تعزيز سطوته وزيادة فرص بقائه في السلطة، وربما التمادي في عناده، بما قد يشكل تهديدًا مباشرًا وناجزًا على سلام العالم وأمنه، كما هو في حال نظام العقوبات الاقتصادية القاسية المفروضة على كوريا الشمالية.

كذلك: فإن الجانب الأخلاقي السلبي لخيار اللجوء للعقوبات الاقتصادية لا يقتصر على الأثر السلبي المتمثل في الإضرار المباشر بحياة الشعوب الفقيرة، التي فُرضت العقوبات الاقتصادية على دولها عقابًا لسلوك أنظمتها السياسية، مهما كانت مبررات اللجوء لخيار العقوبات الاقتصادية من قبل الدول، التي تلجأ إليها. كثيرًا ما يتمثل سوء نظام العقوبات الاقتصادية من قبل دول الغرب، التي تزعم انتصارها لقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم، حيث يعكس نفاقًا سياسيًا وازدواجًا في المعايير في السياسة الخارجية لتلك الدول الغربية الغنية.

لم يحدث أن أثبت نظام العقوبات الاقتصادية أنه خدم، بصورة كفوء وفعالة، الهدف أو الأهداف التي يُتخذ من أجلها، إلا في حالات قليلة ونادرة. بل، بالعكس، هناك شواهد تاريخية على فشل نظام العقوبات الاقتصادية من تحقيق الهدف منه...

من الحالات النادرة، التي يمكن تتبعها لنجاح نظام العقوبات الاقتصادية، ذلك الذي فُرض على أنظمة الحكم العنصرية في روديسيا وجنوب أفريقيا، إلا أنه لا يمكن إيعاز ذلك حصريًا للعقوبات الاقتصادية، بقدر ما هو راجع للمقاومة الشرسة من قبل السكان الأصليين في روديسيا وجنوب أفريقيا، لنظامي هراري وبروتوريا العنصريين.

نظام العقوبات الاقتصادية، أثبت مع الوقت فشله، عدا في زيادة معاناة الشعوب وترسيخ نظم الحكم المستبدة.. ولم يثبت نجاحه إلا في حالات قليلة ونادرة، عندما يتمتع بشرعية سياسية أممية غالبة.. ويستند إلى قيم أخلاقية وثيقة الصلة بالقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وقواعد التعامل الدولي المرعية في مسرح السياسة الدولية، ويخدم قضايا عادلة تحظى بإجماع أممي كاسح.

ترجمة

«يستمرون في ضربنا كل يوم»: أسرى فلسطينيون محررون يروون تعرضهم للإساءة في السجون الإسرائيلية

ترجمة: نور نوارة

تقرير صحيفة الاندبندنت البريطانية 22 كانون الثاني/يناير 2025

تم إطلاق سراحهم كجزء من هدنة طالما سعى إليها بوساطة من الولايات المتحدة وقطر ومصر. ستشهد الفترة الأولى التي تستمر ستة أسابيع من الهدنة التي تتكون من ثلاث مراحل، قيام حماس بالإفراج عن 33 رهينة تم احتجازهم خلال هجوم السابع من أكتوبر. وبالمقابل، من المقرر أيضًا إطلاق سراح ما يقرب من 2000 فلسطيني محتجزين في السجون الإسرائيلية.

من بين المفرج عنهم كان طالب الثانوية البالغ من العمر 17 عامًا ثائر أبو سارة، الذي اعتُقل في الضفة الغربية المحتلة في أكتوبر 2023 - في اليوم الثاني من الحرب - بتهم المشاركة في احتجاجات عنيفة وادعاءات بوجود صلات مع حماس. ويقول إنه تعرض للتعذيب في الاحتجاز، بما في ذلك استخدام الصدمات الكهربائية.

أخبرت أسرته صحيفة الإندبندنت أن الإسرائيليين منعوهم من إقامة احتفالات أو تجمعات بمناسبة إطلاق سراح ابنهم المراهق، وأنهم يخشون أن يتم استخدام أي زوار قد يأتون كذريعة لاعتقاله مرة أخرى.

«كانت الحالة في السجن صعبة جداً. كانوا يضربوننا كل يوم، ولم يغذونا، قائلين: ‹أنتم سجناء أمنيون؛ لا تستحقون الأكل،›» روى ثائر. «لقد تعرضت للضرب بشدة، وخلال الاستجواب تم استخدام الصدمات الكهربائية في مناطق مختلفة من جسدي.»

طلبت صحيفة الإندبندنت تعليقاً من خدمة السجون الإسرائيلية حول روايات التعذيب. وقالت: «تعتبر خدمة السجون الإسرائيلية منظمة تنفيذية للقانون تعمل وفقاً لأحكام القانون.»

«جميع السجناء محتجزون وفقاً للقانون. جميع الحقوق الأساسية المطلوبة يتم تطبيقها بالكامل من قبل حراس السجون المدربين بشكل احترافي. نحن غير مطلعين على الادعاءات التي وصفتها، وبقدر ما نعلم، لم تحدث مثل هذه الأحداث ومع ذلك، يحق للسجناء والمحتجزين تقديم شكوى سيتم فحصها ومعالجتها بالكامل من قبل السلطات الرسمية على حد وصفهم.

قال نعيم، الأخ الأكبر لثائر أبو سارة، إن العائلة كانت قلقة بشدة بشأن سلامته والآن تخشى أن يتم اعتقاله مجددًا: لقد قيل لهم إنه لا يُسمح بإقامة احتفالات أو رفع أعلام أو تجمعات عند إطلاق سراحه، ولا يُسمح لأحد بزيارة منزلهم أو توزيع الحلويات.

وقال نعيم: «ما يثير قلقنا هذه الأيام هو أن الشرطة قد تقرر اقتحام المنزل مرة أخرى، مدعيةً أن الناس يأتون لتقديم التهاني له. نحن نضع أيدينا على قلوبنا حتى لا نواجه هذا الوضع». وأضاف: «هدفنا الرئيسي الآن هو مساعدة ثائر على مواصلة دراسته».

وقالت إسرائيل إن الأشخاص المدرجين في قائمة الإفراج قد اعتُقلوا بسبب جرائم تتعلق بأمن إسرائيل، بدءاً من رمي الحجارة إلى اتهامات أكثر خطورة مثل محاولة القتل. وعلمت «الإندبندنت» أنه من بين الـ 90 الذين تم الإفراج عنهم، كان 31 منهم معتقلين إدارياً، مما يعني أنهم احتُجزوا لفترة غير محددة دون توجيه تهمة أو محاكمة، أو حتى الوصول إلى التهم الموجهة ضدهم - وهي ممارسة تقول إسرائيل إنها ضرورية للأمن، على الرغم من أنها تمت الإدانة بها على نطاق واسع من قبل جماعات حقوق الإنسان وخبراء الأمم المتحدة.

أبرز السجناء الإداريين الذين تم الإفراج عنهم كانت خالدة جرار، 61 عامًا، عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني وشخصية بارزة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهو فصيل علماني يساري شارك في هجمات ضد إسرائيل في السبعينيات ولكنه قلص منذ ذلك الحين أنشطته العسكرية. منذ وقت اعتقالها في أواخر عام 2023، كانت محتجزة تحت اعتقال إداري غير محدد.

وقالت لوكالة أسوشيتد برس، وهي تبدو هزيلة: «هناك هذا الشعور المزدوج الذي نعيشه: من جهة، هذا الشعور بالحرية، الذي نشكر الجميع عليه، ومن جهة أخرى، هذا الألم، لفقدان العديد من الشهداء الفلسطينيين».

من بين الذين تم الإفراج عنهم كانوا معلمين وطلابا وصحفيين، بما في ذلك رولا حسنين، محررة في شبكة وطن الإعلامية التي تتخذ من رام الله مقرًا لها، والتي تم اعتقالها في مارس الماضي وتقديمها للمحكمة العسكرية بتهم التحريض على وسائل التواصل الاجتماعي. وقد حملت لجنة حماية الصحفيين على عاتقها المطالبة بالإفراج عنها لأسباب إنسانية: لدى حسنين ابنة، إيليا، وُلدت قبل الأوان وتدهورت صحتها بعد اعتقال والدتها والتي كانت ما تزال ترضع ابنتها الصغيرة.

كانت شذى جرار، 24 عامًا، طالبة في البيولوجيا والكيمياء، التي تم اعتقالها في أغسطس بتهم التحريض بسبب كتابتها على صفحتها في فيسبوك، أيضًا من بين الذين تم الإفراج عنهم. روت أنها تعرضت لسوء المعاملة في السجن وأخبرت صحيفة الإندبندنت أن الحراس منعوها من تناول الدواء لمقاومة الأنسولين.

وقالت إنها لا تزال تعاني من آثار الجروح على معصميها من الأصفاد. «لقد وضعوني في زنزانة سجن مع كاميرا على المرحاض وأخرى في بقية الزنزانة لمدة ثلاثة أيام. لذا قررت عدم الأكل أو الشرب لأنني لم أستطع استخدام المرحاض الذي كانوا يصورونه. لقد رفضوا تلبية احتياجاتي الصحية»، كما أخبرت الإندبندنت.

«شاهدت العديد من عمليات القمع، حيث كان الحراس يأخذون الفتيات بوحشية من الزنازين، ويضعونهن على الأرض، ورؤوسهن إلى الأسفل، وأيديهن مكبلة، ويهينونهن. كل هذا تم تصويره بواسطتهم.»

قال والد شذى، نواف جرار، 63 عامًا، لصحيفة الإندبندنت إن ابنته سُجنت بسبب «التعبير عن رأي» وأن لديه اثنين من الأبناء لا يزالان خلف القضبان - أحدهما اعتُقل في نفس اليوم الذي اعتُقلت فيه شذى، وآخر في احتجاز إداري لمدة عام.

«الشعب الفلسطيني بأسره سجناء»، قال لصحيفة الإندبندنت. «رسالتنا إلى العالم هي أننا نحن شعب يريد أن يعيش في سلام.»

قال ثائر، البالغ من العمر سبعة عشر عامًا، إنه يريد فقط أن يستمر في حياته الآن. «لا أحب تذكر تلك الأيام. أريد أن أواصل دراستي، وأتطلع إلى مستقبلي، وربما حتى دراسة في الخارج»..

وصف أفراد العائلات الذين ينتظرون الإفراج عن أحبابهم في الأسابيع القليلة القادمة مشاعرهم بأنها «مزيج». قالت سميرة حسين حمد، البالغة من العمر 61 عامًا، والتي ابنها رائد الحاج حمد مدرج في قائمة الإفراجات المقبلة: «أشعر بالألم والحزن والفرح». تم اعتقال حمد في عام 2004 عن عمر 21 عامًا وحُكم عليه بالسجن لمدة 20 عامًا، وهي مدة قضاها كاملة في السجن في يناير الماضي، لكنه لم يُفرج عنه بسبب الحرب.

«إنه شعور لا يُوصف أنه سيكون أخيرًا بيننا وسنلتقي به بعد 20 عامًا وأربعة أشهر»، قالت لصحيفة الإندبندنت.

تحقيق

فلسطينيو سورية بين العودة واللاعودة

د. انتصار الدنّان ـ كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

منذ النكبة الفلسطينية عام 1948، والفلسطينيون يعيشون حياة ترحال ونكبات متعددة في البلاد التي لجؤوا إليها، هربًا من بطش العدو بعد استيلائه على أرضهم، وطردهم منها تحت وطأة نيرانه، ومع كل حرب يتفتح الجرح الفلسطيني الذي لم يندمل من جديد، وما إن يلبث الفلسطيني تعويد نفسه العيش في المكان الذي لجأ إليه حتى يعاود اللجوء مرة أخرى.

هكذا هم فلسطينيو سورية الذين لجؤوا إلى لبنان منذ أكثر من عشر سنوات بسبب الحرب، وعاشوا في مخيمات اللجوء الفلسطينية في لبنان في ظروف صعبة وسيئة للغاية، ومع تغير الوضع في سورية بعد إقصاء بشار الأسد عن الحكم، والتفكير بالعودة إلى المخيمات في سورية تعددت الآراء التي رأت أنها من الممكن العودة لكن بعد زوال المعوقات، والبعض الآخر رأى بأنه لا إمكانية للعودة إلى سورية أبدًا.

وعن العودة أو اللاعودة، قالت السيدة عايدة مصطفى، المتحدرة من عكا، النازحة من منطقة الست زينب بسورية، والمقيمة في مخيم برج البراجنة ببيروت: «عندما بدأت الحرب بسورية نزحت نحو لبنان، وكان قد فر أولاً زوجي إلى لبنان ثم تبعناه أنا وأولادي، وبقينا في لبنان برغم الظروف الصعبة التي نعيشها في لبنان، لأن أولادي خافوا من العودة إلى سورية بالفترة السابقة، خاصة أن ابني الصغير كان مطلوبًا للخدمة العسكرية».

تروي: ابني الكبير مات في لبنان جراء صعقة كهربائية، وزوجي توفي في اليوم الذي تم فيه اغتيال السيد حسن نصرالله. لقد انتهى حكم نظام بشار الأسد وتغير الوضع بسورية، وأنا وابني لدينا رغبة كبيرة بالعودة إلى سورية، لكن بيتنا بحاجة إلى ترميم، وإلى المياه والكهرباء، وكل ذلك يحتاج إلى المال، وعندما أستطيع تأمين المبلغ لترميم بيتي سأعود إلى سورية.

وعن حياتها في لبنان، قالت: «أسكن في بيت صغير مؤلف من غرفة واحدة ومطبخ وحمام، وهو بالأساس لأخي. وضعنا الاقتصادي سيئ جداً، فابني لا يعمل، وإن استطاع العمل فيكون ضمن المخيم، لأنه ليس معه بطاقة هوية فقد أتى إلى لبنان وكان صغيرًا، والفلسطيني السوري يحتاج إلى إقامة في لبنان، لذا لا يستطيع الخروج من المخيم والعمل خارجه، ولم أستطع أن أؤمن له بطاقة هوية في السابق بسبب الوضع السابق، والآن بعد انتقال الحكم بسورية لم تبدأ الوزارات المعنية بالأحوال الشخصية بالعمل.

بناتي تزوجن وسافرن إلى الخارج، وهن اليوم من يقمن بمساعدتي ماديًا، صحيح بأن المبلغ ليس كبيرًا، لكنه أفضل من لا شيء.

وقالت أم أحمد اللاجئة الفلسطينية المتحدرة من حيفا بفلسطين، والنازحة من مخيم اليرموك إلى مخيم برج البراجنة ببيروت: «كنت أعيش في مخيم اليرموك، وبسبب الحرب هربت بسبب الوضع الاقتصادي، وهربت نحو لبنان لأنه لم يكن باستطاعتي السفر إلى أوروبا لأسباب اقتصادية، لأنني لا أملك المال ولا يمكنني التوجه إلى أوروبا بطرق شرعية، وكان من الممكن أن أعرض نفسي وأولادي إلى الخطر حتى نصل إلى أوروبا ونعيش حياة كريمة ومستقرة، لكن لأنني لم أكن أملك المال تعذر عليّ ذلك، ولأن كل محاولاتي باءت بالفشل توجهت نحو لبنان، وكانت تكلفة النقل في ذلك الوقت لي ولأولادي $200، وصلت لبنان، وتوجهت نحو مخيم برج البراجنة.

لا أعيش حياة رغد في المخيم، لكن أقله صرت أنا وأولادي نجد ما نأكله، ونشتري اللحم والدجاج الذي كنا محرومين منه في السابق، علمًا أن وضعي المادي ليس جيدًا لأنني أرملة، لكنني أعمل مستخدمة في مكتب أعد القهوة والشاي للضيوف والعاملين في المكتب، وأنظف المكتب، وإذا احتاجت امرأة إعداد طبخات أعدها لها، ولأن أولادي أيتام فقد سجلت مؤسسة الغوث ومؤسسة صمود أولادي، وتساعدني بمبلغ مادي بسيط.

في سورية لا توجد هذه الخدمات، لذا لا أفكر حاليًا في العودة كون وضعي المادي مستقراً نوعًا ما، ودخل زوجي قبل أن يموت ما كنا نستطيع أن نوفر من خلاله غير اللبن والخبز، كنا نعيش عليه طيلة أيام الشهر.

لا أعيش حياة رفاهية، بيتي فيه رطوبة، لكن بالحد الأدنى بلبنان هناك من يقدم لنا المساعدات والعمل بالنسبة لي متوفر، ولا نعرف بسورية ما الذي سيحصل لاحقًا بعد تسلم أحرار الشام الحكم، فالوضع ليس مستقرًا حتى اللحظة.

بصراحة، هناك أمور كثيرة تجعلني لا أفكر بالعودة إلى سورية، لأننا مازلنا خائفين من الوضع هناك، ولا أعلم إن كان بيتي مازال على حاله أم تهدم، فهنا أسكن بيتًا بالإيجار، وهناك أستأجر لكن إن كان عندي عمل، فإن لم أستطع الحصول على عمل فلن أستطيع العودة إلى الشام.

لدى أم أحمد هواجس عديدة، منها الخوف من ترحيلهم بعد أن تم انتخاب رئيس جمهورية للبنان، لأنها تعيش في لبنان من دون إقامة.

حوار

مع الأسير المحرر الكاتب وأستاذ علم الاجتماع وسام الرفيدي حول لوحات «قصص المرايا» سجين صحبة الشيخ إمام

حوار: محمد أبو شريفة ـ مدير تحرير مجلة الهدف

السيرة الذاتية:

وسام الرفيدي الأسير المحرر وأستاذ علم الاجتماع السابق في جامعة بيت لحم، عمل سابقاً محاضراً غير متفرغ في جامعة بيرزيت لعلم الاجتماع والدراسات الثقافية. حاصل على شهادتي ماجيستير من جامعة بيرزيت، الأولى في علم الاجتماع عن رسالته، التحولات على مكانة المرأة في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ما قبل وبعد أوسلو، والثانية في الدراسات العربية المعاصرة.

للباحث رواية منشورة (الأقانيم الثلاثة) حول تجربة التخفي لتسع سنوات، بطبعتين في رام الله ودمشق، وقد جرى ترجمتها للإنجليزية بمبادرة من حركة الشباب الفلسطيني في أمريكا، وصدرت عن دار النشر (1804)، وحالياً يجري ترجمتها للإسبانية عن دار النشر الحكومية في كوبا. صدر له عن دار الفارابي كتاب حول (المرأة والرواية الفلسطينية بين زمنين: أوسلو والمقاومة)، كما صدر له في رام الله كتاب (حول صناعة الكتاب في فلسطين) قُدِم لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب، وكتاب (الرواية الفلسطينية للتاريخ: تاريخ منسيّ ومكونات مشطوبة). وأخيراً صدر له عن دار الرعاة نص (قصص المرايا. سجين صحبة الشيخ إمام).

له العديد من الدراسات العلمية المنشورة في مجلات وكتب، منها «دراسات في الهوية الفلسطينية بعد أوسلو»، «القومية المتخيلة والعنف في النص التوراتي»، و«الخطاب الفكري للمنظمات غير الحكومية»، «الهوية المزدوجة للسريان الفلسطينيين».

يتفرغ الآن للكتابة السياسية في الصحافة والمواقع المحلية والعربية.

يبدو الكاتب متشابهاً كوجه في المرآة في لوحات « قصص المرايا» هو في لحظة الصمود والثبات والآخر في لحظة الارتباك والعدوان.. هل كان الأمر لديه تضحية وفداء لأنه ربطه بقضية أكبر من ذاته الشخصية، بينما بقي لدى الآخر أمراً شخصياً؟ هل منحت المرايا قوة خفية تحمل وسام الرفيدي لأن إيمانه بفلسطين جعل إيمانه بنفسه وبحتمية النصر أقوى؟ بينما كان الأمر أضيق من هذا لدى الأعداء؟

الهدف يسر مجلة الهدف أن تستضيف الكاتب الفلسطيني والأسير المحرر وسام الرفيدي في هذا الحوار.

■ **السؤال الأول: هلاّ حدثتنا عن الرفيق خالد بكير/ دلايشة الذي أهديته قصص المرايا. كيف تعرفت إليه؟ وبماذا ألهمك؟ وكيف حدث ذلك؟ ومتى؟**

الرفيق خالد بكير/ دلايشة المولود في مخيم اللاجئين الجلزون في العام 1955 عاش حياته مناضلاً بكل ما في الكلمة من معنى، منذ التحاقه بالجبهة أواسط السبعينيات. كان (ابن مخيم) بكل معنى الكلمة: ينشط ويشارك في الأنشطة الاجتماعية لخدمة أبناء المخيم، فكان يحظى بحب كل مَنْ عمل معه وعرفه، كان تأثيره بارزاً على جيل بأكمله، حتى قيل عن رفاق عديدين في المخيم إنهم (تربية أبو المجد). حاصل على درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية من العراق.

منذ اعتقاله الأول في العام 1976 حتى رحيله في 2007 اكتشف المحقق الصهيوني أنه أمام مناضل لا يحرك لسانه في

أقبية التحقيق تجسيداً للمقولة التربوية التي اجترحتها منظمة الأرض المحتلة (الاعتراف خيانة). وهكذا كان الرفيق في مجمل اعتقالاته. في العام 1985 وفي غمار الهجمة الواسعة على منظمة الأرض المحتلة، تعرض لتعذيب قاس ودموي استمر 5 أشهر، فكانت تجربته مأثرة في الصمود والبطولة. أُعيد اعتقاله في الأعوام 1992 و 1994 و2002 وكان كما تعودنا عليه: بطلاً حقيقياً يلفّه الصمت والهدوء والتواضع، ليس صمت العاجز، بل صمت الجبل قبيل الانفجار عندما تحين اللحظة.

أمضى ما مجموعة 12 عاماً في السجون. انتخب لعضوية المكتب السياسي للجبهة الشعبية في المؤتمر الخامس 1993 ولعضوية اللجنة المركزية العامة في المؤتمر السادس في العام 2002.

لقد شرّفني العمل الثوري للجبهة بمعرفة الرفيق سنوات عديدة، ومنها سنوات الأسر منذ العام 1994-1998 حيث جمعتنا سنوات مواجهة السجان ونضالات المعتقلين الإداريين. الانتماء والصلابة وروح التضحية والمثابرة والتواضع كلها قيم ألهمتني وألهمت العديد العديد من الرفاق الذين عملوا معه وتأثروا به.

ربما أكثر ما يميز الرفيق الراحل أبو المجد هو ذلك الجمع الخلاق بين الصلابة والهدوء، في تجسيد لمقولة درويش الشعرية (يا أحمد العربي كيف جمعت هذا الفارق اللفظي بين الصخر والتفاح بين البندقية والغزالة). لقد خسرت الجبهة الشعبية برحيله رفيقاً عز نظيره فعلاً، وهذا ما عبّر عنه العديد ممن رثوه في ذكرى رحيله الأربعين، مثل المكتب السياسي للجبهة، الرفيقة ليلى خالد، القوى الوطنية والإسلامية، نقابة المهندسين، والعديد من رفاقه.

■ السؤال الثاني: من الواضح أن النص مزيج بين السيرة الذاتية والفن المتخيل. ما الرابط بينهما؟

للحقيقة فالنص ليس فيه (فن متخيل) فكل ما ذُكر فيه واقعي تماماً وحقيقي تماماً، ويبدو أن بعض الواقعية تبدو وكأنها فن متخيل، وهذا ما جعل الكاتب زياد خداش، يعتقد أن الفتاة اللفتاوية

مثلاً في النص هي فن متخيل بينما هي واقعية تماماً. حياتنا الواقعية مليئة بالصور الفنية، وفقط على الكاتب التقاطها، ويبدو أن النص نجح بذلك بدليل اعتبار بعض ما ورد (فن متخيل).

■ السؤال الثالث: يتنقل شيخ الفنانين الملتزمين بقضايا الثورة والوطن والعمال والفلاحين والفقراء الشيخ إمام في قصص المرايا من الميدان إلى السجن إلى المستشفى إلى مختلف مفاصل النص، كيف تقيم استثمارك للفن الغنائي في نصك السردي؟

الشيخ إمام يرافقني منذ بدأت أشارك في فعاليات الشارع أواسط السبعينيات. تعرفت إليه أول مرة من إذاعة صوت الثورة من بغداد عندما سمعت أغانيه فتعلقت به ورافقني حتى اليوم، وبالتالي كان موجوداً معي في سنوات العمل السري والتخفي، في سهرات الرفاق الليلية، في الزنازين وغرف السجون، في الشوارع، في المظاهرات، لذلك كان طبيعياً أن يفرض حضوره في روايتي (الأقانيم الثلاثة) التي تسرد تجربة التخفي تسعَ سنوات، وكان الشيخ حاضراً فيها.

لكل ذلك من المنطقي برأيي أن يحضر الشيخ في النص، ليس من زاوية (التخطيط للاستثمار)، ولكن من زاوية الحضور البديهي الطبيعي الذي يعكس موقعه في حياتي السياسية، خاصة أن أغاني الشيخ الثورية هي تجسيد لحياتنا الثورية كمناضلين، فمن الطبيعي أن تتغلغل هذه الأغاني في النص، لا بل تفرض حضورها على عنوانه.

■ السؤال الرابع: هل قصص المرايا تعكس شيئاً من تجربة «كنعان» في رواية الأقانيم الثلاثة لا سيما أن التجربة النضالية مكتوبة بلغة الأدب في كلا العملين؟ هل من دور مشترك بين الروايتين؟

الأقانيم رواية سيرة ذاتية، وفيها بعض من (متخيل فني) لا ينتهك واقعيتها، بينما (قصص المرايا) نصوص أو لوحات أو محطات أو تذكرات كما أسماها الكاتب زياد خداش في مقدمته، أما أن هناك تواصلاً بين تجربة كنعان في الأقانيم وتجربتي في قصص المرايا، فهذا طبيعي إذ يمكن اعتبار قصص المرايا استكمالاً لتذكرات أو سردية كنعان في الأقانيم، فالأقانيم حول التخفي والقصص حول حياة المعتقل وفي الحالتين الشخصية نفسها، وإن تمت صياغة تجربة الشخصية في الأقانيم بلغة (أدبية أكثر).

■ السؤال الخامس: نلاحظ صراعات داخلية وتفككاً. ثم ضغوطات نفسية وتحدياً وحالة عاطفية بين المحطات الأربع في الرواية مما يضفي على النص حبكة تتابعية بأسلوب بسيط وغير معقد. صف لنا ذلك؟

سنجانب الصواب والعلم إن افترضنا أن الشخصية الإنسانية تتشكل من تناغم داخلي لا يعرف التناقض والصراع، فهذا غير واقعي وغير علمي. قلت في الأقانيم: كل منا يحمل تناقضاته، صليبه ويمشي. السؤال دائماً أي طرفي التناقض يسود في حياة الثوري: الضعف أم القوة. المرض ضعف ولكن قوة الإرادة انتصرت في المشفى، وكذلك صنوف التعذيب وحياة الزنازين صعبة ولكن الإرادة تنتصر، وحلول عيد ميلاد ابنتي وأنا بعيد يقهر ولكن القهر تحول لتحد بتنظيم الاحتفال في الأسر. ومثلها رسالة شهد لخالد التي لم تضعف خالد بل استثارت فيه، مع عاطفته لابنته، روح التحدي. وهكذا دواليك، نحسم تناقضاتنا لصالح الشعب والثورة والإرادة ونمضي، لتنشأ تناقضات جديدة ولنحسمها من جديد، وهكذا تمضي حياتنا.

■ السؤال السادس: هل تعتقد أن قصص المرايا هي انعكاس لتجربة فترة منتصف السبعينيات وما بعدها وحتى الوضع الراهن؟ أم أنها فقط تحاكي ذاك الزمن؟

لا يعرف التاريخ القطع بين المراحل بل تشابك وتداخل ديالكتيكي، وهذا ما يفسر مثلاً أن أغنية (شيد قصورك على المزارع) ما زالت تُسمع في المظاهرات والاعتصامات حتى الآن، كما حضور الشيخ في النشاط الحالي لجيل العقدين الأول والثاني من الألفية. فتجربة السبعينيات والثمانينيات كنز حقيقي في تاريخ الحركة الوطنية، وكل فعاليات اليوم هي بمعنى ما امتداد لهذا التراث بنكهة ما بعد الألفين والظروف المستجدة، فالزنازين هي هي وقيم التحدي ما زالت موجود، وكذا التمسك بالحياة والحلم رغم فاشية الصهاينة الذين يسعون لانتزاع الحلم من دواخلنا، هذا كان عبر تاريخ شعبنا وهو ذاته في السبعينيات واليوم.

■ السؤال السابع: في تحليلنا للرواية نجد أن ثمة عملية تصاعدية لنشوء وتطور الإنسان القادر على بناء وتطوير الثورة، إلى أي مدى يمكن القول بأن النص يتفاعل مع مفردات البيئة السياسية والاجتماعية الفلسطينية؟

لنتفق بداية على قضيتين: أولاً أنا لا أعتبر ما كتبته رواية حسب مفهوم الرواية كجنس أدبي، وثانياً من حق القارئ، بعد صدور النص، أن يقرأها بالطريقة التي يتذوقها ويستشعرها، فلا قيد عليه في تصنيفه لها روايةً. أنا أراها نصاً، لوحات، خواطر وذكريات.

أما عن أنه نص يتفاعل مع البيئة فبالتأكيد. بيئة الأسر مثلاً فرضت تفاصيلها على مفردات النص وتفاصيله، كما بيئة المشفى والحراس، كما سلوك ضباط التحقيق، وأخيراً بيئة فعاليات السبعينيات الشعبية وشعاراتها: (اخرس اخرس لا تتكلم عن الإدارة الذاتية....)، وشوارعها ومدارسها.... فتلك بيئة الفعاليات السياسية والشعارات والمطالب كلها تتجسد في النص. تلك ميزة النص التذكري إن اعتصم بناصية الإخلاص للتاريخ وأعتقد أن النص فعل ذلك.

■ السؤال الثامن: هل يمكن للأدب أن يلم بمراحل الثورة الفلسطينية المعاصرة؟ لاحظنا إنتاجاً أدبياً غزيراً في العقود الماضية منها ما هو مكرر، ومنها ما هو مباشر، ومنها ما هو دون الطموح، والقليل منها يمكن تصنيفه إبداعاً أدبياً؟ هل هذا صحيح؟

بالتأكيد، وتلك عظمة أدباء مثل كنفاني ودرويش والعلي، فكلهم وغيرهم أدباء تفاعلوا بطريقة إبداعية مع تاريخ شعبنا ونضاله و(أرّخوه) بمعنى ما، مع أن الأدب ليس تأريخاً بالنهاية.

أما حول الإنتاج الأدبي الحالي، فلنتذكر الراحل الشاعر زكريا محمد والروائيين إبراهيم نصر الله ومروان عبد العال وروائيين أسرى مثل كميل أبو حنيش وباسم الخندقجي، لنكون أمام إبداع حقيقي، فماذا يمكن اعتبار الملهاة الفلسطينية مثلاً لنصر الله إن لم تكن إبداعاً حقيقياً يلم بمراحل الثورة والقضية؟ تماماً كما يمكن اعتبار ثلاثية رجال في الشمس وعائد إلى حيفا وما تبقى لكم عند كنفاني، وكذلك مشروع عبد العال الذي يتواصل فيمرحل اللحظة الحالية إبداعاً، ومثله الخندقجي في رواية قناع بلون السماء.

■ السؤال التاسع: السردية الفلسطينية تتقدم على مستوى العالم جراء حرب الإبادة البشرية التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني. كيف يمكن أن يقدم الأدب الفلسطيني هذه السردية؟

ببساطة على الأدب أن يحايث السردية الفلسطينية السياسية والتاريخية، محايثة فنية بعيدة عن المباشرة الخطابية المملة، أو الاستثمار التجاري كما بتنا نلحظ اليوم عند بعض (الكتّاب). في تفاصيل حرب الإبادة ملايين الوقائع التي يمكن صياغتها فنياً، في الرواية والقصة القصيرة والشعر والرسم والفيلم، وقائع على المبدع أن يعالجها فنياً لإظهار حقيقة البعد الإنساني للضحية والبعد المجرم الفاشي للصهيوني، مع الحذر من الوقوع في مطب (بكائية الضحية) على حساب بطولات الضحايا، وتلك (بكائية) تسود أحياناً في الخطاب بطريقة تشوه نضال شعبنا، فنحن وإن كنا ضحايا، إلا أننا مقاومون وصامدون.

■ السؤال العاشر: ماذا أردت أن تقول من خلال هذه الرواية مسيرتك الذاتية؟ أم مسيرة الفلسطيني الثائر؟

كل تجربة ذاتية هي بنت سياقها وتنبت من رحم التجربة الجماعية، فنضالات الطلبة في السبعينيات تصهر التجارب الفردية فيها، وتجربتي واحدة من تجارب الآلاف من الطلبة ولا تنفصل عنهم، بالضبط كما تجربة الزنازين ونضالاتها، وتحدي الضعف والتعذيب وظروف الأسر. ما تقوله نصوص (قصص المرايا) هو بالضبط تجربة ذاتية ضمن تجارب المجموع الفلسطيني الوطني وفي سياق النضال ضد المشروع الصهيوني، بالضبط كما فعلت (الأقانيم الثلاثة).

نعوم تشومسكي والقضية الفلسطينية

بسام سفر - كاتب وإعلامي سوري

لا يعود اهتمام الفيلسوف والكاتب الدكتور تشومسكي بفلسطين والقضية الفلسطينية إلى سنوات النصف الأول من العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، بل يعود إلى ستينيات القرن العشرين، حيث عاش في إحدى(المستوطنات) الصهيونية في الضفة الغربية، في تجربة فريدة في حياته، حتى يتخذ موقفاً مناصراً للقضية الفلسطينية طيلة حياته الباقية، ويظهر هذا الاهتمام في الكتاب الصادر عن دار كنعان للدراسات والنشر في العام2025، والذي ترجمته وأعدته للنشر ميرنا الرشيد.

إذ تقول في تمهيدها إن تشومسكي الذي يناهز الآن من العمر خمسة وتسعين عاماً، وذا الأصول اليهودية التقليدية، الذي طالما عرف بمواقفه وآرائه الصريحة، ومناصرته لحقوق الإنسان، ومعارضته الكلية للحروب أينما تندلع، كان للقضية الفلسطينية النصيب الأكبر من مؤازرته ومساندته طوال حياته المديدة، كما أدان قمع (إسرائيل) التاريخي والمستمر لحقوق الفلسطينيين، منذ احتلالها لأرضهم، واقتلاعهم منها. وعلى مدار عقود من الزمن تعرض باستمرار للعداء وتشويه سمعته، نتيجة مجاهرته بالمعارضة الشديدة والواضحة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية.

وكان قد أصيب في شهر حزيران من العام2023، بسكته دماغية حادة، دخل المشفى للعلاج، إلا أنه رافق ذلك شائعات تتحدث عن رحيله عن الدنيا، إلا أن فاليريا، التي تزوجها في العام2014، نفت ما روج له، وأكدت أنه أعيد إلى منزلهما في شهر حزيران من العام2024، ومع أنه لم يعد قادراً على الكلام، وتعطل الجانب الأيمن من جسمه، إلا أنه ما يزال قادراً على متابعة الأخبار، كما أنه يعبر بذراعه اليسرى، في إشارة إلى غضبه وأسفه، على الجرائم التي ترتكبها (إسرائيل) بحق أهل غزة العزل.

وقد أجرى لقاء مع إيلياهو فريدمان نشر في التاسع من شهر نيسان من العام 2023، ذكر فيه أن حل الدولتين (فلسطينية، إسرائيل) يحظى بإجماع كبير، والبديل المتمثل بحل الدولة الواحدة، الذي يزداد دعمه من العديد من المعلقين، وأكد أنه ثمة ما هو خاطئ في هذا النقاش، لأنه يستبعد بديلاً ثالثاً، وهو ما يسمى بالحل الذي تطلبه (إسرائيل) على نحو ممنهج، منذ العام1969، أو نحو ذلك، وهو إنشاء (إسرائيل الكبرى) التي ستتولى السلطة، كل ما له قيمة لإسرائيل سيستبعد التجمعات السكانية الفلسطينية لذلك، لا ترغب (إسرائيل) بضم نابلس، ضمن ما سيسمى بـ «إسرائيل الكبرى»، ويتعين عليها أن تحافظ على غالبية يهودية كبيرة، داخل دولة عنصرية، تهيمن عليها اليهودية، وهذا يعني أن تستولي على وادي الأردن، وتطرد السكان منه. وستوظف حجة أو حجتين لذلك، ثم ستتحول المنطقة إلى مستوطنات يهودية.

إنهم يستولون على بلدات في عمق الضفة الغربية مثل بلدة (معالية أدوميم)، التي بنيت على الأغلب في التسعينيات من القرن الماضي، وقد توفرت فيها مساكن مريحة مدعومة من (الدولة).

ويمكن للمرء (المستوطن) أن يذهب من بيته المدعوم في (معالية أدوميم)، إلى قصر العمل في (تل أبيب)، دون أن يعرف أن ثمة فلسطينيين، وفي الوقت الحالي، ينقسم الفلسطينيون الذين بقوا في المناطق التي تضمها (إسرائيل)، وتخطط للاستيلاء عليها، إلى حوالي مئة وستين جيباً صغيراً، وهم محاطون بالقوات الإسرائيلية، ومحاصرون كلياً، وقد يسمح للفلسطينيين برعاية محاصيلهم الزراعية، ورعاية مواشيهم، وأن يقطفوا الزيتون، وإلى ما هنالك، أو قد لا يسمح لهم.

لقد أصبحت القدس الآن، أكبر بخمس مرات على الأرجح، مما كانت عليه تاريخياً بعد أن ضمت إليها القرى المجاورة بهدف ضمان غالبية يهودية من السكان.

كتب تشومسكي عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي طيلة سنوات حياته بهدف رفع مستوى الوعي العام به، وبما أنه يعد مناهضاً للصهيونية، فقد انتقد المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، التي شبهها بمستعمرة استيطانية.

وأوضح أن خطة تقسيم فلسطين التي أقرتها الأمم المتحدة في العام1947، كانت قراراً سيئاً، لكن نظراً للسياسة الواقعية للموقف، فقد فكر أيضاً في حل الدولتين بشرط أن تؤسس الدولة القومية على قدم المساواة.

وأكد أن وصف معاملة (إسرائيل) للفلسطينيين بأنها نظام فصل عنصري، على غرار النظام الذي كان قائماً في جنوب أفريقيا، هو (هدية لإسرائيل)، فالوضع في الأراضي المحتلة، كما صرح منذ فترة طويلة،» أسوأ بكثير مما هو عليه في جنوب أفريقيا».

ذلك أن جنوب أفريقيا، تعتمد على سكانها السود في العمل لكن هذا الأمر لا ينطبق في إسرائيل، التي تسعى إلى جعل الوضع بالنسبة إلى الفلسطينيين غير صالح للعيش، خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث ترتكب الفظائع يومياً.

كما قال إن الولايات المتحدة دولة عنيفة، تصدر العنف بسبب دعم (الفظائع) الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، فالاستماع إلى وسائل الإعلام الأمريكية السائدة، بما في ذلك شبكة (سي بي إس)، يشبه الاستماع إلى «وكالة البروباغندا الإسرائيلية». وفي العام2010، منع تشومسكي من دخول الضفة الغربية بسبب انتقاداته اللاذعة لإسرائيل، وكان حينها قد دعي لإلقاء محاضرة في جامعة بيرزيت الفلسطينية، وكان المقرر أن يلتقي برئيس الوزراء الفلسطيني آنذاك سلام فياض، ومسؤولين آخرين من السلطة، لكن بعد ساعات من استجوابه من مسؤولين إسرائيليين، عند معبر حدودي بين الأردن والضفة الغربية المحتلة، أجبر على العودة إلى مدينة عمان.

وعن تذكار احتفظ به من إحدى زياراته إلى فلسطين، وصف وصفاً دقيقاً وواقعياً حال المخيمات الفلسطينية، تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي، وما تتعرض له من إرهاب يومي، وفظائع مسكوت عنها إلى يومنا هذا.

وأضاف أن لديه تذكاراً مادياً واحداً، التقطه من مخيم قلنديا للاجئين، عندما كان المخيم في فترة حظر التجوال العسكري، خلال الانتفاضة الأولى موضحاً أنه تدبر أمره في فترة حظر التجوال العسكري، وأنه مر من طريق خلفي. استطاع التجوال في المخيم لوقت قصير، وتحدث إلى الناس الذين كانوا محبوسين خلف السياج. قبل أن تمسك بنا دورية إسرائيلية.

كما التقط عبوة من المخيم، كانت عبوة غاز مسيل للدموع، وهي من مخلفات القوات الإسرائيلية التي كانت تهاجم المخيم، وهذه واحدة من التذكارات. من فترة زمنية لم تكن مبهجة (إن تذكاراً كهذا)، يمثل القمع الوحشي والقاسي في الأرض المحتلة الآن، منذ أكثر من خمسين عاماً، كما يمثل العنف والقمع المتزايدين.

وأوضح أنه ذهب إلى غزة في الفترات الفاصلة بين بعض الهجمات الإسرائيلية: إنها جريمة مخزية، هنالك أكثر من مليوني إنسان محاصرين كلياً، ليس لديهم مياه صالحة للشرب، وقد دمر العنف الإسرائيلي نظام الطاقة، وأنظمة الصرف الصحي.

وكان نعوم تشومسكي وزوجته كارل بوبيريا في العام1953، قرر قضاء بعض الوقت في (إسرائيل)، وهي المكان الذي فكر بالاستقرار فيها زمناً طويلاً، لكنهما في النهاية، أمضيا حوالي ستة أسابيع في أحد (الكيبوتسات)، وكان لتلك التجربة أثراً هاماً على كلا الزوجين، لأنها سمحت لهما أن يعاينا، ما الذي يمكن أن يكون شكل الحياة.

لقد عارض تشومسكي منذ البداية تأسيس (إسرائيل)، والطابع الثنائي القومي لفلسطين، لصالح نظام الدولة الأوحد، وأثناء إقامته هناك، شاهد تهميش غير اليهود، والمعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها، بقدر كبير من الاحتقار والخوف.

بعد هذه التجربة التي امتدت ستة أشهر، عاد تشومسكي إلى أمريكا، وعمل في معهد ماسا تشوستش للتكنولوجيا. وفي العام2013، ألقى محاضرة عن المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد في الثامن عشر من شهر آذار من ذاك العام، قال فيها إن غزة هي أحد الأمكنة التي اختبر فيها القسوة والإهانة، وإن (إسرائيل) على مدى عقود، جعلت غزة بمثابة معرض للعنف بجميع أنواعه، يتضمن السجل فظائع خطط لها بعناية، على غرار عملية الرصاص المصبوب في الفترة بين عامي2008و2009، أو» قتل الأطفال»، كما أسماها مادس غيلبرت وإريك نوس، الطبيبان النروجيان اللذان عملا في مستشفى الشفاء في غزة، مع زملائهما الفلسطينيين والنروجيين أثناء العدوان الإجرامي، والكلمة ملائمة تماماً بالنظر إلى مئات الأطفال الذين ذبحوا.

أخيراً إن الإبادة الجماعية التي قامت بها قوات الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة منذ 2023/10/7، حتى 2025/1/19، بلغ فيها عدد الشهداء الفلسطينيين حسب وزارة الصحة في قطاع غزة (46913)، وأصيب (110750) فلسطينياً. ورغم الإعلان عن الهدنة الجديدة والإفراج عن الأسرى الفلسطينيين، مقابل الرهائن عند الفصائل الفلسطينية المقاومة في القطاع، فإن جيش الاحتلال يقوم بتنفيذ قصف نوعي، واستهداف مراكز.

حكاية تشبه كلّ الحكايات

محمد بلال - كاتب فلسطيني ـ سورية

ولد ذاك الفتى الحائر بأمره وفي فمه كسرةُ خبز صُلبة تمرّس في كسرها، تعلّم منها كيف يميت الجوع أمام ولائم الشوك القاسية، كان يعتقد أنّ الحياةَ مجرّد ألم يقوده إلى ألم آخر ومعارك قاسية تقوده إلى نصر محقّق، معارك عليه أن يواجهها بعناد متسلّحاً بكلّ عتاد الرجولة التي داهمها قبل أوانها، أدمَنَ الهمَّ والتّعب منذ صرخته الأولى، فكانت الطفولة بالنسبة إليه قوقعة تعيق حروبه الملحّة وتجَرّدهُ من كلّ أسلحته التي تعينه على مجاهدة الحياة، لذلك ضاق ذرعاً بها، قرّر أن يغادرها قبل أن يعيشها، فلا سرير حرير يفقد دفأه، ولا ألعابَ جميلة تغادر حضنه .

تفتّحت عيناه في أزّقة محكومة بالفوضى والشّقاء، وكان أوّل ما رآه ثوباً سُرق من شظف الصحراء مجسّداً بخيمة تتراقص مع الريح الباردة وتذبل أمام لهيب الشمس الحارقة، و في الحالتين كلتيهما كانت تلك الخيمة اللعينة تكثّف لؤم الطبيعة لتصلي أكوام اللحم المكدّسة تحتها بوابل لا يرحم من القرّ والحرّ.

لم يكن ذلك الفتى يدري بأنّ طفولةً «ما» كان يجب أن يعيشها، أن يتلذّذ بها، ربّما نسي أن يخطفها من حضن الزمن الراكض دون هوادة أمام طفل كُتبَ عليه أن يعيش النزوح واللجوء وهو ما يزال في بطن أمّه.

كلّ ما يتذكّره من ذاك الزمن خيمة متهالكة والكثير من الحروب القدَريّة التي خاضها دون سلاح إلّا من جسده الضعيف وشيء من فطرة التحدّي في مواجهة اصطفاء الطبيعة حفاظاً على البقاء، فطرة وُلِدت معه، جينات توارثها لا دخل له بها، جاءته نتيجة تراكمات طويلة بدأت مع أجداده الأوائل في قاع الزمن منذ أن كانوا يقارعون الطبيعة أملاً بالنجاة من كوارثها وغدرها.

أخذ منهم روح التحدّي فبدأ معاركه وهو لمّا يغادر عتبة الطفولة، تقمّص دور العامل والفلّاح، رفَعَ موادّ البناء على ظهره الطريّ، حفَرَ الأرض بيديه الغضّتين مقابل أجر بخس كان يراه ثروة قد تعين أسرته الكبيرة في شراء بعض الخبز أو فتات لحمٍ نادراً ما كان يراها على وليمته البائسة، كانت سيرورته في تلك المعارك مجرّد تراكم خبرات تعدّه لمعارك قادمة أقسى وأمرّ.

ذات يوم نهض الفتى من طفولته المنسيّة عندما استرق بعضُ زملائه النظر إليه وهم يبتسمون بينما كان أستاذ اللغة العربيّة يقرأ:

(عمل غسّان كنفاني في بيع أكياس الورق في دمشق)، يومها شعر أنّ مارداً استفاق في أعماقه وحطّم قمقمه المتكلّس بعد غفوة عميقة أهمل خلالها ذاته أمام هذا الصراع غير المتكافئ في مواجهات سرمديّة، لذلك لم يكن يهتمّ كثيراً بتفاهة الأناقة وهو الفارس المنكوب بكلّ مفردات العناء.

شعر الفتى بخجل أمام أقرانه، بعد أن فهم أنّ مهنة بيع الأكياس معيبة لمن هم في سنّه، لماذا؟ لا يعلم، لكنّه قرّر بينه و بين نفسه أن يتخلّص من هذا العار الذي داهمه فجأة دون مقدّمات.

بدأ الفتى العمل في مهنته العائليّة هذه منذ أن كان في الصفّ الخامس، ومنذ ذلك الوقت وهو يدور في دوّامة تبدأ ولا تنتهي، تشرع بطحنه منذ لحظات الفجر الأولى حين كانت أمّه توقظه مع أخيه الذي يصغره سنّاً، يحمل كلّ منهما ربطات الأكياس المخصّصة له على كتفيه، ويتوجّهان بها إلى السوق لبيعها لتجّار الخضار القادمين من الأرياف.

كثيراً ما كان يحزنه في تلك الصباحات المكرّرة حال أخيه الذي يكاد يغفو وهو يمشي مترنّحاً وقد أخذ به النعاس والتعب كلّ مأخذ وسط طريق المخيّم الترابيّ الموصل إلى سوق درعا والّذي ترفده أزّقة المخيّم الضيّقة لدرجة الاختناق.

- غازي أوعى تنام.

كان أخوه يكتفي بالصّمت وفي داخله زحمة من الأمنيات لعلّ أقلّها أن يكون الآن ما يزال في فراشه ولو كان بارداً.

أصوات متداخلة، سعال، قرآن مرتّل بصوت عبد الله الخيّاط، شتائم، ضجيج، كلّ هذه المشاهد السمعيّة الصباحيّة المتراكمة على جانبي الطريق كانت تتنافر لتشكّل صورة واقعيّة عن التداخل بين المعاناة والأمل وبين الإيمان والتذمّر الرافض للواقع المُثقل بصديد البؤس والتشرّد.

كانت رحلة قاسية تبدأ ولا تنتهي، يبيعان ما يمكن بيعه في الصباح ثمّ يعودان إلى البيت (الخيمة) أو كوخ اللبن لاحقاً، ليجهّزا نفسيهما سريعاً للذهاب إلى المدرسة، وبعدها يعودان إلى السوق ثانية ليبيعا ما فشلا في بيعه في صباح ذلك اليوم، ثمّ تبدأ رحلة مسائيّة تتّسع فيها المسافات بحثاً أكياس الإسمنت الفارغة في أحياء درعا لإعادة تدويرها وتحويلها إلى أكياس ورقيّة، عرائس تُلقى في ساحة الدّار لتتحوّل إلى قروش تسدّ ما يمكن سدّه من رمقٍ متعنّتٍ، وهكذا كانت تدور الحياة بهما دونَ توقّف، أُقنعا خلالها أنّ الاستسلام للتعب أو حتّى الشّعور به أمرٌ معيب على الرجال.

- يمّا أنا كبرتُ و لن أعمل في بيع الأكياس بعد اليوم.

أخذت الأمّ هذا القول بنوع من السخرية والاستخفاف، فثمّة أكثر من لاعب احتياط في البيت مرشّح للعب هذا الدور وتسلّم الراية.

- يعني صرت زلمة يا مقلعط! بعدك ما فقست من البيضة.

في قاموسها الوجوديّ لا مفردات للمهادنة مع قسوة الحياة، ولا معاني تُفهم في سياقات لِذّات النفس وحقوقها، لذلك تجدها في حركة دائمة كنوّاس ساعة لا يهدأ طوال الوقت، فقبل أن تبدأ رحلتها في إيقاظ الجميع تكون قد ملأت (سطل) الماء من الحنفيّات الجماعيّة المنتشرة في المخيّم، ونظّفت ما يجب تنظيفه، غسلت ونشرت، وجهزّت إبريق الشاي على بوّر الكاز وإلى جانبه رفيق الصباحات والمساءات صحن لبن يتيم، وثفال الخبز الملفوف جيّداً ببطانيّة الوكالة للحفاظ على نضارته.

تمادى الفتى الهارب من طفولته، وأراد أن يتقمّص دور الفارس في سنّه المبكرة تلك، ربّما كان ذلك انتقاماً من الواقع وقيوده التي هشّمت طفولته وصهرته في بوتقة الألم الّذي طالما أخفاه كعورة يداري سوءتها عن عيون الناس.

- شباب ما رأيكم أن نهرب إلى لبنان في الصيفيّة ونصير فدائيّين؟

تحمّس بعضهم للفكرة، واتفّقوا على التنفيذ في صباح اليوم التالي للفحص الأخير، وكان حينها لمّا يزل في الصف الثامن.

عبقرية الدم

عبد النور الهنداوي ـ شاعر وكاتب من سورية

(إلى كل يهود العالم الشرفاء)

من الذي أعطى اليهوديّ صلاحية كل هذا، لزراعة الدم؟!

يقول أحد الجنود الصهاينة: إن الدبابة التي هي ضرورة بقائي هي أمي، ما دام الحاخامات وهم في نومهم يعمدون إلى تأويل نصوص التوراة على هذا النموّ الحميمي، وما إذا كان اليهودي يمتلك كل هذا العقل لكي يقتل ويقتل فقط

قليل من التاريخ يكفي، ولا وقت الآن لكي نكون على بيّنة من أن ضرورات البقاء، أعني البقاء.. بفتح ذراعيه للبقاء؛ وليعلم من لا يريد أن يعلم، أن جدلية البقاء، أو أي جدلية تاريخية تحكم بين اليهودي واليهودي، وبين شعب دحر كل هذه البربرية بأظافر أطفاله، وبعيونهم أيضاً أن يكون ضحية يوشع بن نون أو بنيامين نتنياهو التاسع عشر.

صحيح أننا أمة عربية حائرة، ومن الصعب أن تتشكّل لدينا اللحظة الإستراتيجية، لكن الأهم أن لا نحترف مهنة الصراخ، ونتقن أكثر فن التسكّع على الأرصفة. . والبحث عن مخابئ لأرواحنا .

وما دمنا إلى الآن نتصارع سياسياً في هذا العراء، هناك من يدفع بقهقهاته التي ملأت المكان، لأن العربي الذي امتلأ بالعذاب.. العذاب الفضفاض الذي قد يسحق حتى البكاء الذي لازمنا والذي ادّخرناه، كي يظهر القمر العربي الذي نعرفه من زمان وتظهر المعجزة في أبهى صورها .

ما تمّ في غزّة قبل أيام، «ظهرت»، أسوأ صورة للتشتّت العربي، وأننا لن نستدرك ما أمكن ولو القليل من هاجسنا المستقبليّ الذي سقط فعلاً، وأننا ننتظر المساعدات التي «ستسقط « علينا من الله!

لا اللامبالاة تفيد الآن، ولا المعالجات الآنية يمكن أن تفصل اليهودي عن أكلة لحوم البشر، المأساة بل الكارثة تقرع الأبواب وتدخل علينا في ساعة تقتحم علينا الفراغ..

كما لو أننا لا نملك الرؤية الكافية لكي نرى .

أنفاق أسطورية بين العربي والعربي لرصد آلية نشوء العدم،

يقول اليهودي: سنستخدم كل إمكاناتنا لتعرية العرب حتى من عظامهم وسنمنع حتى الملائكة من ممارسة مهنة النظر في عيونهم، العرب كائنات خاضعة للتعليب بل الاغتيال .

يقول يهودي أمريكي آخر: أخشى على اللحظة الإلهية أن تتبعثر أمام القوّة التي نملكها، علينا أن نغسل العرب كلّ العرب بالأنين، ونجعلهم أي شيء في مهبّ الريح، ونبيعهم مواطئ أقدامنا لتنام أرواحهم !

ولعل أساقفة العرب يعرفون تماماً أن وجوههم المرصّعة بالذهب الأسود، الأسود جداً هي تحت الزمن الفلسطيني الذي لم يطأ الهواء، طريقه الأبديّ الأزل، لأن الذي يعيش بين هؤلاء البرابرة، سيظل على قيد الحياة إلى ما بعد التاريخ، وروحه التي بين يديه لا تؤكل، ولن يستطيع الفرار بها إلى المجهول

يقول شاعر يهودي: يا إلهي إن روح الفلسطيني ضيفه الدائم على العشاء، يعني أن الروح اللانهائية هي حقاً من ممتلكات الله، وإن موت الفلسطيني يكتمل تحت ملابسه التي تشبه التراب .

اليهودي لا يستطيع أن يقرأ الماضي، هو يقرأ فقط أن يوشع بن نون لا يأكل من الأطباق الفارغة.. ويبدو أننا نحن اليهود قد زرعنا فلسطين في الفلسطينيين، وزرعنا الفلسطينيين في فلسطين.. مع أن بعض الحكام العرب ممّن «يعتقدون» أنهم بحماية حائط المبكى وأن تاريخهم ليس سوى مائدة فارغة ترعرع فيها بقائه التافه .

يا سيدنا الله، إننا جاهزون لنقلهم بشاحناتنا وعلى نفقتنا «نفقة العرب بالتأكيد» إلى المريخ، أو أي مكان آخر، والمطلوب منك يا سيدي في الوقت الحاضر، هو «تجهيز» الكوكب الأحمر بالأسباب التي يمكن لذلك النوع من الكائنات البشرية من المكوث هناك.

هذا الكلام، نداء وجّهه أحد الحاخامات وهو يصلي أمام الهيكل. هذا إذا صرف الله النظر عن يوم القيامة، ليظل اليهوديّ على قناعته أن الصدمة لن تجيء، وأن القدر هو قطعة من القماش، يضعها اليهودي أثناء النظر إلى البشرية، ومنع الخطيئة من الاقتراب من التلمود .

لهذه الأسباب يُفترض على شعب الله المختار، أن يعمل بكل طاقته من أجل أن لا يُلحِق «الآخرون» الأذى بالحياة. ويقول اليهودي أيضاً: حتى أرواح الحشرات يقتضي احترامها، لأن العربي له لقب واحد فقط هو اللاشيء .

الحاكم العربي يتلذّذ بإنتاج الذل، وهو يرتدي العار، ويأخذ قيلولته بمحاذاة مستودعات القمامة، ويخطب بشعبه: أنتم أمة تحتاج إلى من يعيد تعليبها لتستطيع أن تكون أمّة .

إن حكومة جلالة الملك، تنظر بعين العطف والرأفة إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين؛

هذا أول سطر من وعد السيد المحترم آرثر بلفور بالاغتصاب، ولأننا من دون تاريخ إذاً إننا من دون خطيئة .

والذي حدث أن الفلسطيني قام بتحطيم الأيديولوجيا التي يمكن أن تكون أكثر قابلية للبقاء، ولا يعرف السيد المحترم - بلفور - ولا اليهودي أن التاريخ هو عبارة عن سلسلة من اللحظات الطاحنة التي قد تعرّي معها المتواطئين الجدد، حرّاس الرمال الساخنة، لأن ضراوة الماضي، فيها أشياء كثيرة جداً توحي أنه يمكن أن يتجذّر في العقل العربي.. ولكن بطريقة مريبة وشائكة .

يبدو أن التوراة الجديدة أصابها الجفاف جرّاء الهروب الرائع من الوعي، وهذا يعني أن هناك تغييراً فلسفياً بدأ يجثم على صدر الهيكل الذي هو أصلاً لم ولن ولا ينتج غير تأهيل نفسه ليقول لليهوديّ: أنا لست الهيكل الذي تعتقد .

في الفلسطيني يوجد المكان الذي تنتهي عنده قبائل العرب الخائنة، لذلك يدخل نهائياً بذاته ويتوحد مع يومه الأخير.

عِظام الفلسطيني لا تصلح إلّا للفلسطيني، إنه الكائن الأخير الذي عثر على قدميه الضائعتين في فلسطين !

يقول طفل فلسطيني دون العاشرة من عمره: ولدت قطعة قطعة في غزّة؛ وضِعت عند ولادتي في فلسطين، لن أهرب إلى آلام أقل؛ لأني لست الفلسطيني الذي يهرب إلى الآلام، إن عِظامي لا تصلح إلا للحياة هناك.. هناك فقط .

هذا وحين ينتهي الحاكم العربي من أي حديث ما، علينا أن نغسل الهواء خوفاً أن يمتلئ بالكذب، لأن حياته تشبه الطريق الوهمي إلى المقبرة .

يبدو أن ما يفعله اليهودي الآن، هو أن يكون حجراً من حجارة الهيكل، لا ليبحث عن الخبز، لأن بقائه ينبغي أن يظل بطريقة أخرى، وهذه هي الطريقة المثلى ليعرف العربي كيف يمشي إلى المستقبل !

عطل طارئ في الفلسفة فكان الفلسطيني، ولا أحد يعرف ماذا يجري وراء يديه، لكن الضجيج الغامض اللانهائي، كان يملأ أوراق التلمود، وليس صحيحاً أن ما يقال: على اليهودي أن يحطّم ولو قليلاً من البشرية، لأن الرب الذي أنشأنا لم يضع مسافة بيننا وبينه وبين الملائكة.

هل أصبحت وجوه العرب خشنة وخادعة وتحرسها غابة من السكاكين لتظل أيديهم ممتلئة بالقضاء والقدر؟!

الحاكم العربي اليوم، في أبهى صورته وهو يرتدي الفضيحة، لأنه سيظل كل حياته داخل عِظامه .

فالنمور الخشبية لا تصنع الثورات.. لذلك فليهيل كل حاكم عربي تواطأ مع قناعته حفنة من الأنين على حياته، ربما تصبح تقاطيع وجهه أكثر رِقّة وعذوبة وعمقاً؛ كونه ربط كيانه ومصيره بمصير «رقصة المناديل السبعة» وظهرت سالومي بكل قيافتها للحفاظ على جاذبيته الهائمة في الذل .

الفلسطيني في مكانه، والتاريخ في مكانه، فيما اليهودي سيظل يلعق إهانته وذلّه وهزيمته حتى آخر يوم في التاريخ .

هل بقي لدينا من الكلام عن عبقرية الوقت، نعم، بقي وقت الفلسطيني الذي حمل الشمس فوق ظهره وعاد بها إلى الله.

_ اليهودي القادم من العراء، لا ولن يستطيع البقاء داخل أرض يسكنها القدر.

_ اليهودي لن ينغمس، أو يتماهى كليّاً في أسلحة الدمار الأمريكية وحتى الأوروبية، لأن روحه ما زالت عالقة في أرض ولادته، وأن أوراقه اللامرئية هي ركامه اللامرئي الذي أنتج قطعاناً لا نهائية من الوحوش، وهذه الوحوش لا تشعر البتة بأنها مجتمعات إنسانية متوازنة، بل هي ذلك الفتات الذي تبعثر وترعرع فوضوياً.. لإحالة العالم كلّه إلى مستنقع للهياكل العظمية !

الحاخام الأمريكي أبراهام زايتلمان كتب ما يلي: انظروا أيها العالم، إن إله العرب يضرم النار في أرجاء العصر، وهو بالتأكيد إله يعمل على تحطيم الزمن.

بهذا يعتبر هذا الحاخام أنه من الضروري شن حرب شاملة ضد العربي في كل مكان لكي يبقى هناك الزمن، وبالتالي لكي تبقى البشرية؟

يا سيادة الحاخام.. لماذا لم تتحدث عن «يهوه» المتوحش الذي ولد وترعرع وعاش داخل كهف كان ذات يوم مقرّاً لبركان هائل؟ وكأن هذا «الإله» يشبه في بعض خصاله بل أكثرها آلهة الشر عند الإغريق، يرشق السابلة وحتى النيام بالحجارة، إلى أن تمكن الكهنة من ضبطه، ومن ثم صقله ليتكيف مع النوع البشري والثقافة البشرية .

لا أحد ينكر أن الكثير من حكّامنا والكثير من أقوالهم والكثير الكثير من خطبهم العصماء، والتي بجرّة قلم تتحكّم هكذا مزاجياً بمليارات الدولارات، ويبعثرونها صفقة وراء صفقة أمام أعينهم، وأمام الستار لا وراءه .

فهل كان الأنبياء يمتلكون الصلاحيات التي يمتلكها هؤلاء الحكام.. بالتأكيد لا

في المفهوم الغربي، ومفهوم «صراع الحضارات «لهنتنغتون - ليس لدينا لا حضارة ولا تاريخ، لدينا مستودعات من الأفكار العدمية التي يعود بعضها إلى عهد قابيل وهابيل، فيما ينتهي بعضها الآخر إلى الأيام العبثية الكبرى والجاهلية الكبرى، مروراً بكل الأفكار التي أنتجها العربي الذي أنتجها الهواء.

هل نعترف أمام هذه الوحشية العالمية أن ليس لدينا ما نفعله الآن غير أن نصنع من أنفسنا قضايا مفخّخة؟ لا لشيء، إلا لكي ننهي بأيدينا الشريرة كل تلك الإنسانية التي نتمسك بها، لأننا أكثر شعوب الأرض اقتتالاً من أجل الحدود، الحدود الوهمية التي حولتنا إلى مغامرين «أكلت بعضها « .

إنه إيقاع الجريمة الذي يعاني من صدمة الخوف، وإنه التاريخ القذر الذي يغتال الحاضر بكل ما أنتجه من حضارة، وفلسفة، واتجاهات .

يا أهل الزيتون وطور سينين ..

عليكم السلام !

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الإعلام الحربي

الشهيد الرفيق المقاتل

إضاء محمد السبعين

«جيفارا»

والذي استشهد خلال معارك التصدي للعدوان الصهيوني في
جنوب لبنان دفاعاً عن شعبينا الفلسطيني واللبناني

تقدموا..

مروان عبد العال

حاولت إيجاد عنوانٍ لهذه الأسطورة، لأطلق اسماً على الزحف العظيم الذي كسّر أهداف التوحش، يوم جاء النبأ العظيم، وشاهد العالم غزة العظيمة تكتب رواية أسطورية جديدة، مشهد طوفان العبور نحو بيوت بلا بيوت وديار مدمرة وأراضي محروقة من الجنوب إلى الشمال.

مشهد القيامة من بين فكي الوحش، شيءٌ يشبه الخرافة أفكر فيه كثيرًا، عن الذي يبحثُ وسط الوجع عن فرح سابق، عن جرعة أمل تحت الجلد مباشرة، عن حياة صغيرة هادئة حتى وسط الرّكام والزحام والسّخام ولكنها تستحق الحلم.

عاد طائرُ الفِينِيق من تحتِ الرّماد، يَخترقُ غُبَارَ الحربِ الطويلة، قيامةَ زَمنٍ يسابق عقارب الساعة، وسيولٌ زاحفة على خط مستقيم، تتعرج الشوارع كثيراً ثم تبدأ الأقدام تجر خطاها ببطء، من الحياة إلى الحياة، أقدام ثقيلة تتقدم نحو المستحيل، تعرف الطريق جيداً، وتقارع وحشة المسافة سيراً على رؤوس الأصابع مهما كانت متعبة.

تّقدّموا .. أبناء غزة العظيمة، لم ينتظروا من يقرع الجرس أو يطلق النداء، باكراً تجمعوا في واحد ، تصلبوا في المكان، انتصر الحلم على كوابيس الإبادة، وبرامج التطهير الدولية والمتعددة الجنسيات، ما تبقى من هلوسات الجنرالات، بتوزيع لحمنا على سائر القارات وجهزوا لنا مدناً جديدة، ودولاً جديدة.

صدق الكاتب البريطاني "ديفيد هيرست" في نصه الذي وصف الحدث فقال: " إن العودة التّاريخية للفلسطينيين، بعد خمسة عشر شهراً من التدمير الإسرائيلي، مؤشرٌ على انتصار الرّوح الإنسانية على القهر المنظم"، وجدت فيه عنواناً صالحاً للرّواية، وصياغة أخلاقية لمعنى النّصر، "انتصار الرّوح الإنسانية" انتصار غزة بلا موارية على قاتلها، بل انتصار الحقيقة على الكذب، والبقاء على الفناء و الحياة على الموت والمقاومة على الاستسلام.

تقدموا إلى ذاتكم الوطنية، لإختصار المسافة بين الحياة والموت، بين الإلغاء والانتماء، بوقت أقصر دائمًا مما قد يستوعبه الناس، تقدموا بخطوة واحدة إلى الأمام، وإلى نفسٍ ملتهبة واحدة، تتوثب وتتمرد - لا يتطلب الأمر الكثير من العناء في غزة للانتقال من الحياة إلى الموت أو العكس من الموت إلى الحياة .

تقدموا.. فالأمام لا يشبه الوراء، كل وراءٍ هو اندثار، هناك كنّا نموت بسرعة كبيرة، بمعدل مائة شخص في الساعة، لدرجة أنه كان من الصعب دفنهم، تقدموا.. في سباق ماراثوني جنوني بين المحكمة والمجرم، حتى لا يفوز بالنهاية حكم "الحيوان السّياسي".

تقدموا! حتى يعزف القلب نشيد الحرية، دون الأمام كان المستقبل قاتمًا للغاية، إلا أنه كان قَزَحيًا مثل الغبار فوق وجوه فضيّة تلتمع بشمس الصّباح.

تقدموا نحو الحرية! تحررهم من الموت، بل الحرية من الحياة التي أذلتها؛ الحرية، هي حرية الرّوح المجردة، الحرية والشجاعة والكبرياء، الحرية التي تعلمنا أنَّ البطولة تعني أنْ لا تهتم بُكل ما قد يأتي.

تقدموا إلى الدّيار، على جانبي الشارع، لا يوجد رصيف ولا أبنية واقفة، توجد محرقة تمامًا كما وصفها ديفيد هيرست أن "صور الدمار في غزة سوف تخرق ثقباً تاريخياً في الرواية التأسيسية لإسرائيل كدولة ولدت من رحم المحرقة وقامت على أكتاف ضحاياها".

تقدموا.. نحو الشّهداء الذين انزَرعوا في ترابها كالشجر، كل شهيدٍ منهم قضى واقفاً، وقال اتبعوني، تقدم أولاً، قاتل أولاً واستشهد أولاً، لذلك تقدموا كي تلامسوا حدود الروح التّاريخية الفلسطينية بين العودة الحالية والعودة التالية، تقدموا أيها الشعب الأعظم نحو الشمال إلى أقرب نقطة من أولئك الذين نحبّهم.

الهدف AL-HADAF